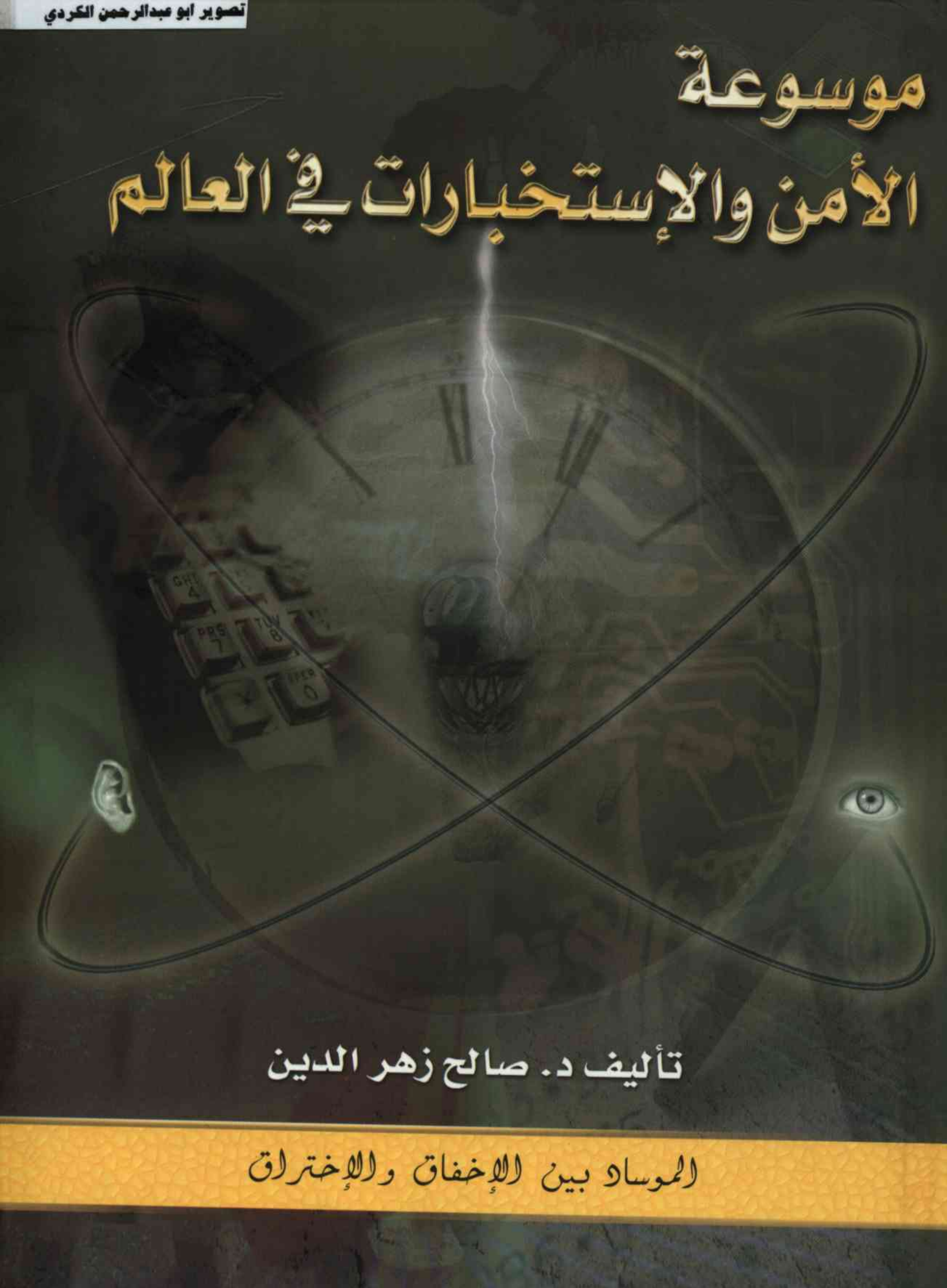
موسوعة
الأمن والإستخبارات في العالم



تأليف د. صالح زهر الدين

الموساد بين الإخفاق والإختراق



موسـوعـة
الأمن والاستخبارات في العالم

موســـوعـــة

الأمـــن والإســـتخبارات في العالـــم

د.صالح زهر الدين

الموساد بين الإخفاق والإختراق

الجزء الثامن

المركز الثقافي اللبناني

المركز الثقافي اللبناني

للطباعة والنشر والتأليف والترجمة والتوزيع

بيروت ـ هاتف: ٠٥/٤٦١١٧٧٧ ـ ٠٥/٤٦١٨٨٨ ـ ٠٢/٧٥٣٦٦٢

الطبعة الأولى

٢٠٠٣

تمهيد

العالم مليء بالخفايا والأسرار ، كما بالألغاز والأحاجي المختلفة .
واذا أردت أن تطل على عالم أخر غير عالمك الذي تعيش فيه، لا بد لك من نافذة ، أما أن تريد الكشف عن المجتمع الصهيوني في فلسطين المحتلة، وعلى أدق جهاز ومؤسسة من أجهزته ومؤسساته (خصوصا الموساد) ، فإنك بلا شك ، لن تجد أي باب أو أية نافذة تطل منها الى ذاك العالم ، بل أنت بحاجة ماسة الى أن تكون "محترفا" في عملية " النظر من ثقب الباب "، ومن ثقب الباب فقط... وذلك لأن أجهزة الإستخبارات الإسرائيلية هي بمثابة " العين " للمجتمع الصهيوني ... وإذا كانت هذه الأجهزة تمثل "عين " هذا المجتمع ، فان "الموساد" يمثل "بؤبؤ" هذه العين...وبما أن البؤبؤ هو أكثر الأعضاء حساسية وخطورة،فإن أي خلل فيه، سينعكس بلا شك على "العين" وعلى باقي "الحواس" في الجسد كله ... وهذا ما يحصل بالضبط مع البؤبؤ الصهيوني وعينه وجسده ككل.

إن معظم ما كتب حتى الآن عن جهاز الإستخبارات الإسرائيلية (الموساد)، لم يكن إلا من عمل هذا الجهاز ذاته، أو بإيحاء منه. وطبيعي أن أي عمل من هذا النوع يحمل في جوهره هدفا مركزيا . ولكن الهدف الذي سعى إليه عمل هذا الجهاز كان مزدوجا، إن لم يكن أكثر.

فانطلاقا من المقولة اليهودية المتمثلة بـــ"شعب الله المختار"، فان الموساد أراد أن يفرع عنها، ويعمل على خلق مقولة موازية لها في هذا الإطار، تتمحور حول"شعب الله المختار في الإستخبارات"،ليظهر من خلال ذلك بأنه وريث"الأسطورة والمعجزات والخوارق"منذ ظهور اليهود على وجه الأرض، فتترسخ"الهالة" حول كينونته وبنيته وتركيبته وهيكليته وعملياته"الطرزانية"ويصبح في هذه الحالة نوعا من المقدسات لا يجوز المساس بها مطلقا كي لا تصاب بالدنس،وهتك حرمتها.

والأكثر من ذلك، يحاول القيّمون على جهاز الموساد، - وكمبدأ ثابت واستراتيجي لديهم- أن يبرهنوا دوما بأن الموساد هو كل شيء، ويعرف كل شيء ، ولا يخفى عنه شيء، وموجود في كل مكان... وفي هذه الحالة يسعون الى إقناعنا إن الهواء الذي نتنفسه يوميا مشكوك فيه ومن الممكن أن يكون "موساديا"، وأن كميته مبرمجة "كمبيوتريا" وبدقة فائقة من قبله(!!!)...انها بلا شك عملية "إخراج" و "فبركة" لهذه "السلعة"، المراد ترويجها من "مصنع" أو "معمل" أو"مطبخ" مختص بهذا النوع من الإنتاج ... وككل "المعامل" القائمة في مجتمع الحرب الصهيوني، يمثل "معمل" الموساد و "مطبخه" نموذجا فريدا في هذا الإطار ، بيد أن المسلم به أن " العقلية المركزية" الإستخبارية اليهودية لا وجود لها في التاريخ ... وكذلك الحال بالنسبة لـــ"السوبرمانية" في الإستخبارات الإسرائيلية ... ومهما عمل جهاز الموساد على إقناعنا أنه قادر على أن "يغربل"

البشر، فإنه لا يستطيع بدوره أن ينكر قدرة غيره من الأجهزة الإستخبارية المعادية على أن "ينخلوه" و "ينخروه"... وقد نخلوه فعلا ونخروه ، إن إعترف بذلك أم لم يعترف...

وبالمقابل، فاننا نحن لا ننكر الهم يعملون بشكل دقيق حسب وصية يهوشفاط هاركابي القائلة بضرورة "التغلغل في أذهان أعدائهم"وهذه بحد ذاهّا توصية هامة علمها هاركابي لرجال الإستخبارت الإسرائيلية،ويجهدون بكل طاقاهم لتحويلها الى "واقع عملي ميداني" مع العرب خاصة، ومع الرأي العام العالمي ، بشكل عام.

في هذا المجال، فاننا نستطيع القول أن الاسطورة والهالة، المنسوجتين حول الموساد، هي عمل مشترك: صهيوني ـغربي وعربي أيضا، بمعنى أن بعض العرب شاركوا في نسج هذه الهالة وفي "تسويق الخديعة" من خلال تفرقهم وتشتتهم و "إجترار" ما تروّجه الموساد ليصبح كأنه الحقيقة بعينها . فروّجوا ـ قصدا أو عن غير قصد ـ سلعة في أسواقهم من "معامل عدوهم" تحت ستار "التجارة والمقاولات" ـ رغم وجود مكتب عربي إسمه "مكتب مقاطعة إسرائيل"ـ.

يضاف الى ذلك ، غياب "الخطة الإستخبارية العربية الموحدة" لمواجهة الموساد وإعادته الى حجمه الحقيقي ، وتحطيم مزاعمه "العملاقية والاسطورية والطرزانية". بعدها ستبدو "المؤسسة الموسادية" شأنها ككل

المؤسسات الأخرى، جهازا عاديا ليس إلا، نجح بعض أفراده في تحقيق بعض النجاحات ، لكنه فشل كمؤسسة ، رغم الخدمات الهائلة التي قدمتها له وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية (C.I.A)والأجهزة الغربية الأخرى.

في معرض ذلك ،يشير أحد رؤساء الإستخبارت المركزية الأميركية (حيث شغل هذا المنصب لمدة ست سنوات)، الأدميرال "سرنر" الى صحة ما تروّجه الإستخبارات الإسرائيلية حول أهميتها وفعاليتها ، فيقول:" إن هناك وجهات نظر مختلفة حول الفعالية الحقيقية للإستخبارات الإسرائيلية".. ويضيف: "إن المخابرات الإسرائيلية جيدة، ولكن ليس في جميع المجالات ، إذ أن أبرز مزاياها هي كيل المديح لقدراتها الذاتية"(١).

وحقيقة القول ،أن جهاز الموساد هو بمثابة سمكة في بحر الأجهزة الغربية ، ومتى خرج من هذا البحر فقد مقوّمات حياته وبقائه ... وبما أننا نتوخّى العلم والموضوعية والرصانة في بحثنا ، فإننا نؤكد بأننا لسنا من أولئك الذين يستهينون بالعدو ويستخّفون بإمكانياته. كما أننا متيقّنون، من ناحية أخرى ، أن حواسنا ما زالت بخير، ونشعر أن رائحة التهويل والتخويف والمبالغة تفوح بقوة ، وبشكل يزكم أنوفنا، من مقولة: "شعب الله المختار في الإستخبارات "...

ومهما برع الصهاينة في تلفيق الأضاليل والأكاذيب لإضفاء "الأسطورة" على جهازهم الموسادي وتاريخيته "التراثية"، فإننا نؤكد بأن "المؤسسة الموسادية " بالمفهوم الحديث والمعاصر لجهاز الإستخبارات لم تكن قائمة قبل قيام دولة الإحتلال الصهيوني على أرض فلسطين العربية؛ إن جميع الإستخباريين اليهود الذين عملوا في الجاسوسية قبل هذا التاريخ كانوا يهوداً مرتزقة، لصالح الدول التي عملوا معها لا أكثر ولا أقل، ولو كان بعضهم قد جيّر هذه التجربة والخبرة فيما بعد لمصلحة الإستخبارات الإسرائيلية ...وهذا ما ينطبق على بعض الشبكات اليهودية التجسسية قبل الحربين العالميتين وأثناء هما.. وكانت بريطانيا فعلاً من أكثر الدول الغربية التي جنّدت اليهود في شبكات من هذا النوع لخدمة أغراضها ومصلحتها . مع العلم أن عصابات الإرهاب الصهيونية (الأرغون والهاغاناه وشتيرن إلخ...) لعبت دوراً مهماً في تأسيس الإستخبارات الإسرائيلية بعد الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني عام١٩٤٨.

هذا ، ومما لا شك فيه أن " قسم الحرب النفسية" (لاب Lap) في الموساد يولي أهمية كبرى لأسطورة جهازه. إلا أن الواقع يثبت بوضوح أن "النشوة الإستخبارية الموسادية" ليست عاملاً ثابتاً_ ولن تكون أبداً_ في كل الأوقات ...

كما أن الغرور مميت في أحيان كثيرة أيضاً ... لكن الإستخبارات الإسرائيلية تخاف الإعتراف بهذه الحقيقة ...

ومما يجدر ذكره هنا هو أن "قسم الحرب النفسية" يعتبر من أهم الأجهزة وأكثرها فعالية وتأثيراً إذا أحسن إستخدامه ... مستفيداً من تجارب غيره من الأجهزة ، فضلاً عن تجربته هو ، وتعزيز هذه التجربة وتطويرها . ويتجلى ذلك في النقاط التالية :

١ــزعزعة الشخصية الفردية والجماعية للعدو وصولاً إلى فقدان الثقة بنفسه .

٢ــالتركيز على المعنويات والإستمرار في تهديمها لدى الخصم .

٣ــ"السيطرة على العقول" عبر التغلغل فيها وحقنها بمورفيناته وصولاً إلى إبطال مفعولها المضاد له .

٤ــزرع الشكوك الدائمة وتشويه صورة قيادات الوطن (لدى الخصم) من سياسيين وعسكريين، وصولاً إلى حدّ عدم الثقة بهم وبقيادتهم .

٥ــإضفاء هالة من الوطنية والإخلاص والقداسة على القادة الذين يتبع لهم جهاز المخابرات ، أو يخضع لتوجهاتهم ...

٦ــ التركيز على نقاط ضعف العدو ــ وعدم الإشارة إلى نقاط القوة ــ بغية إيصاله إلى حالة اليأس والإحباط (لديه ولدى الناس)، تؤدي إلى وجود هوّة عميقة بين الشعب والدولة.

٧_ خلق "جيش"من المناصرين في داخل الدولة العدوّة ، يؤدي "خدمات"في وقت الحاجة لصالح عدوه ضد شعبه ودولته ، ونفسه أيضاً... ويكون جاهزاً للتعامل مع العدو في أية لحظة (إتصال _ ضربات خاطفة _ إجتياح _ إحتلال .. إلخ ...).

٨_ التركيز على بثّ الشائعات التي تسمّم الجو السياسي والإجتماعي والإقتصادي والنفسي والعسكري ، وتخلق حالة من عدم الإستقرار ، وبالتالي الإرباك والبلبلة الأمنية ، وتؤدي إلى نتائج سلبية على الوضع الداخلي .

٩_ التركيز على إيجاد الخلافات وتعميقها بين القوى السياسية والنقابية وغيرها في البلد الواحد ، وبين البلد (المستهدف) وبين جيرانه من الدول إن أمكن ... وهذا ما يساعد في بذر بذور الشقاق والفُرقة بين من يجب عليهم التكاتف والتضامن ضد هذا العدو وجهازه الإستخباري ... فيقدمون بخلافاتهم هذه _ إذا حصلت _ خدمة مجانية كبيرة لعدوهم الذي هو بطبيعته عدو مشترك لهم ..

على ضوء أهمية هذا القسم ، وأهمية الحرب النفسية ذاتها ، تعتمد الآلة الموسادية في إعلامها وممارساتها على قواعد دعائية وصولاً إلى أهداف أساسية لها تحاول زرعها في أذهان الناس _ وخصوصاً نحو العرب _ مفادها ، أن كل عوالم الأرض ومساحاتها، تخضع لنفوذ الموساد وتحت سيطرته ، أو بالأحرى ، هي "ملك خاص" للموساد ؛ لذلك فهو

حرّ في ممارسة أي نوع من أنواع نشاطاته فوقها ومن خلالها ـ على حدّ زعمه ـ.

كما إنه حرّ أيضاً في احتكار ما يحيط بهذه العوالم والمساحات من بحر وبرّ وهواء ، إنطلاقاً من "حق الجوار"... وإذا كان ينطلق من مقولته حول "شعب الله المختار ... وفي الإستخبارات أيضاً "، فإنه ينسى أن مجتمعه الإستخباري هذا ، الذي يضفي عليه طابعاً أسطورياً ، هو بين أكثر المجتمعات التي ينخرها السوس حتى العظم ، ولا يمكن لمزاعم قوته أن تدوم أمام نخر السوس المتواصل...

وذلك أن مجتمعاً ينخره سوس الفساد والانحلال والقتل لا يمكن أن يكون مجتمعاً صالحاً ، ولا يمكن أن يكون إنسانه صالحاً وخيراً . ذلك هو حال المجتمع الصهيوني عموماً ، ومجتمع مخابراته على وجه الخصوص... إذ "كما تكونون يُوَلّى عليكم " أكثر ما يصحّ إطلاقها على هؤلاء ، ويجوز أن تكون إمتيازاً لهم.

والمعروف بأن القتل هو سمة أساسية من سمات اليهود والصهاينة ... كما يعتبر القتل ، والدعوة إلى القتل ، مبدأ أساسياً في الاستراتيجيّة اليهودية الصهيونية (ولم يشذّ جهاز الموساد عن هذا المبدأ مطلقاً ، بل هو من صلب إستراتجيته أيضاً) . ومن هذا المنطلق ، جاء في القرآن الكريم ما يشير صراحة إلى ذلك بالقول: " من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس

جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءهم رسلنا بالبيّنات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون " صدق الله العظيم .

(سورة المائدة . الآية٣٢)

إن هذه الدعوة إلى الجرائم والقتل تنضح بها معظم نصوص التلمود حول إستعباد الشعوب الأخرى وتسخيرها كالحيوانات ، وعدم التورّع عن إبادتها لتبقى السيادة في الأرض لليهود وحدهم . إنها نزعة متأصلة في الشخصية اليهودية ، ويصعب التخلص منها أو التخلي عنها، لأن اليهودي يعتبر هذه النزعة مبرراً أساسياً لبقائه وإستمراره ووجوده كيهودي أولاً وأخيراً ... وعلى هذا الأساس ، كان المؤرخ والفيلسوف البريطاني أرنولد توينبي محقّاً في قوله أثناء المناظرة التلفزيونية مع السفير الإسرائيلي في كندا ،عندما قال :"من المستحيل أن يتجاوز المرء نسبة مائة بالمائة من الشر ، فالقتل هو القتل ... ولا يمكن للمجرم أن يكون مجرماً أكثر من مائة بالمائة ..."(٢).

هذا ، وإذا كان جهاز الموساد يعرف ،في بداية عهده ، باسم "جهاز الظلام" ، فإن عرش الموساد ذاته إكتسب مكانة بارزة في دولة الإحتلال الصهيوني ، باعتباره من أهم العروش فيها . كما أن الجالس على هذا العرش يعتبر نفسه بمثابة "ملك الملوك" أيضاً ... بكل ما في هذه الكلمة من قوة ونفوذ و..."قداسه"...

أمام هذا الواقع ، يتبادر الى الأذهان التساؤل عن حقيقة هذا الجهاز، وكيفية ولادته ، وتطوّره ، وقياداته الذين تعاقبوا على رئاسته ، وصولاً إلى موضوعنا المتعلق بعمليات الفشل والإخفاق والفضائح والإختراق ، التي تعرض لها جهاز الإستخبارات الإسرائيلية ، وحطمت الكثير من هيبته ، كما زعزعت الثقة فيه ، على الصعيد الداخلي والخارجي ، وأثرت في معنوياته تأثيراً كبيراً .

الهوامش

(١) د.وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد ". دار الجليل للنشر.عمان/الأردن.الطبعة الأولى ١٩٨٧.ص ٢٦٣.

(٢) سامي هداوي
Sami Hadawi Crime and no punishment . Zio nist-Israel Terrorism (١٩٣٩_١٩٧٢). P. ١٩.

الفصل الأول

ما قبل ولادة الموساد

لا بد من التوضيح في بداية بحثنا هذا ، أن هناك محاولات عدة جرت لتنظيم العمل الإستخباري الصهيوني ، قبل قيام دولة الإحتلال وبعدها. إلا أن الجهاز الذي يسمىّ بـــ" الموساد" فإنه لم ينشأ إلا في عام١٩٥١.

وإذا كان لا بد من إعطاء وصف لهذا الجهاز الإستخباري الإسرائيلي، فإننا نستطيع القول ، أن "الجسم المخابراتي " هذا ، في معظمه ، هو عبارة عن أعضاء وأطراف ، ودورة الدم والهيكل العظمي لأجساد المنظمات الإرهابية الصهيونية مجتمعة،التي كانت تعمل قبل عام ١٩٤٨.

أما كيف ولدت الإستخبارات الإسرائيلية رسمياً ؟ ومن كان وراء هذه الولادة ؟ ومن أشرف عليها ورعاها ؟ وكيف تطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم ؟

هذا ما سنوضحه بما يلي :

يعتبر دافيد بن غوريون– أول رئيس حكومة إسرائيلية_ بمثابة الأب ، و"الضوء الأخضر" لعملية تأسيس جهاز المخابرات الإسرائيلية بشكل رسمي . وهو الذي طلب من إيسر بئيري إعادة تنظيم أجهزة الإستخبارات في أعقاب قيام دولة الإحتلال الصهيوني .

على هذا الأساس ، أعد الكولونيل إيسر بئيري ، (الذي كان يطلق عليه إسم "إيسر الكبير" تمييزاً له عن " إيسر هارئيل" الذي كان يطلق عليه اسم إيسر الصغير)، خطة لذلك ،وافق عليها دافيد بن غوريون وقام بتصديقها . ودعا على الأثر إلى إجتماع عقد في ٣٠ حزيران ١٩٤٨ في قاعة مؤتمرات صغيرة تقع فوق محل لبيع الزهور في ٨٥ شارع بن يهودا بتل أبيب ، وعلى باب تلك القاعة علقت لافتة كتب عليها (رابطة المحاربين القدماء) والتي كانت_ هذه الرابطة _مقر قيادة وغطاء لمصلحة المعلومات التابعة للهاغاناه (والمعروفة بـــ"شاي") أي (شيروت يديعوت).

ترأس الإجتماع رئيس " شاي " إيسر بئيري ، ودعي إليها عدد من المسؤولين هم:

١_ الكولونيل إيسر بئيري .

٢_ بنيامين غيبلي _ مدير فرع " شاي " في منطقة القدس _ .

٣_ ابراهام كيدرون _ مدير فرع "شاي" في المنطقة الشمالية_،

٤_ ديفيد كارون _ مدير فرع " شاي" في النقب . كان يدعى "مناخيمي"، ومن أفضل رجال عزرا دانين ، أحد أهم مسؤولي الأمن قبل قيام دولة الإحتلال .

٥ـ إيسر هلفرين ـ قائد " شاي " في تل أبيب (هو ذاته إيسر هارئيل فيما بعد).

٦ـ بوريس غورييل ـ مدير فرع الشعبة السياسية في " شاي " والذي تمكن رجاله من التسلل إلى صفوف الإدارة البريطانية القديمة. (١).

والجدير بالذكر، أنه خلال هذا الإجتماع ، تقرّر توزيع الأجهزة (بعد أن زالت " شاي" من الوجود) على فروع ثلاثة هي :

الفرع الأول : يتمثل بالإستخبارات العسكرية (أغاف موديعين)ـ مكتب المعلومات ـ، وتختصر بـ"أمان " ويرأسها إيسر بثيري نفسه . وضم هذا الفرع شعبة التجسس المضاد في الـ(شاي) : "ران". وقد اتخذت الإستخبارات العسكرية مقراً لها في مبنى عربي (جميل) في جادة القدس في يافا ، وكانت لها اليد الطولى والعليا في شبكة الإستخبارات الإسرائيلية ولمدة ستة أشهر فقط (حيث بدأت عملها بسلسلة من الفضائح ، سنشير إليها لاحقاً). وقد خلف إيسر بثيري نائبه حاييم هرتسوغ كمدير للإستخبارات العسكرية ، وهو إبن الحاخام رئيس دولة الإحتلال يومها إسحق هليفر هرتسوغ. وكانت معرفته للعمل الإستخباري قد إكتسبها من خلال خدمته مدة سبع سنوات في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية .

الفرع الثاني : يتمثل بـ" الشعبة السياسية " التابعة لوزارة الخارجية. وتكون بمثابة دائرة سرية ،يتولى رئاستها بوريس غورييل ، ويتمثل في

جمع المعلومات من خارج" إسرائيل" في البداية . ومقرها في مبنى وزارة الخارجية في تل أبيب .

الفرع الثالث : يتمثل بدائرة الأمن الداخلي_ جهاز الأمن المعروف بـ "الشين بيت " (أي شيروت بطاحون) ، وتولى رئاستها إيسر هارئيل . وقد اتخذت "الشين بيت" مقراً لها في بضعة منازل مهجورة قرب الميناء في يافا .

هذا بالإضافة الى لجنة مختارة من بن غوريون تألفت من :

_روبين شيلواح (الوزير المفوض للسفارة الإسرائيلية في واشنطن).

_موشيه شاريت(وزير الخارجية الإسرائيلية والذي أصبح رئيساً للحكومة فيما بعد).

_ والتر إيتان (المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية).

وقد تمثلت مهمة هذه اللجنة بتقديم النصح والمشورة بخصوص التغييرات التي كانت مؤسسة الإستخبارات بحاجة اليها.(٢).

والحقيقة ،إن هذه اللجان الإستخبارية ، والتنظيم المخابراتي ، لم تكن على توافق تام بينها من جهة ، وبين كبار مسؤوليها من جهة ثانية ، باعتبار أن الصراع على السلطة والنفوذ كان يمثل الحلقة المركزية في السلسلة المخابراتية هذه . لذلك لم يكن من الغرابة أن تشهد هذه الإستخبارات الوليدة، عواصف وهزّات ، تنعكس آثارها على بعض مسؤوليها بشكل مباشر ، أو غيرمباشر .ولقد تمثل هذا الصراع في أكثر

من موقع ، بين إيسر الكبير (بئيري) وإيسر الصغير (هارئيل) ، كما بين روبين شيلواح وبوريس غورييل ، مثلاً . ولعل في بعض الأحداث التي جرت في تلك الفترة، ما يعطي صورة واضحة حول طبيعة الصراع من جهة ومحاولات تعزيز السيطرة والنفوذ والسلطة من جهة ثانية . في ظل هذه الأجواء، يبدو أن الإستخبارات الإسرائيلية بدأت حياتها بالفضائح والأخطاء ، أدّت إلى محاكمة إيسر بئيري بعد ذلك بحوالي ستة أشهر وأبعد من منصبه .

وتتمثل هذه الفضائح بثلاث هي التالية :

١ـ الفضيحة الأولى هي قضية إعدام المهندس مئير طوبيانسكي بعد اعتقاله بيوم واحد في ١٩٤٨/٦/٣٠ .

٢ـالفضيحة الثانية هي قضية الإتهامات التي وجهت لإيسر بئيري بخصوص الوثائق المزوّرة حول خيانة "أبو حوشي" ، واعتقال أحد مساعديه "جول أمستر" مدة ٧٦ يوماً.

٣ـ الفضيحة الثالثة هي قضية إعدام علي قاسم.

في هذا الصدد ، تشير "الموسوعة العسكرية الإسرائيلية" الخاصة بسلاح الإستخبارات إلى هذا الموضوع بالقول:" ... فإن الحقيقة ، هي أنه عندما انتهت الجلسة ، التي أعلن فيها بئيري رسمياً عن إقامة خدمة الإستخبارات ، طلب من بعض الحضور البقاء في الغرفة ، ولم يكن إيسر هلفرين (هارئيل)، رئيس خدمات الأمن المعين ، أحدهم ، فقد خرج من

الشقة الموجودة في شارع بن يهودا وعاد إلى قيادته الواقعة في مصفاة البترول في شمال تل أبيب ".
وتضيف الموسوعة العسكرية الإسرائيلية متسائلة :"ما هو الموضوع الذي بحثه الذين ظلوا في القاعة بعد خروج إيسر هلفرين ؟ إنه من الواضح أنهم لم يبحثوا موضوع الخدمات الجديدة التي بدأت طريقها لتوّها.
ويبدو أنهم بحثوا قضية مئير طوبيانسكي ؛ فمنذ عدة أشهر وإيسر بئيري وبنيامين غيبلي ، يشتبهان بالمهندس مئير طوبيانسكي ، أحد كبار الموظفين في شركة كهرباء القدس ، والذي كان أيضاً قائداً في منظمة الهاغاناه ، على أنه قد سلّم قائمة من العناصر الحيوية في القدس ومصانع الأسلحة إلى الإنكليز .
وفي نفس اليوم الذي اجتمع فيه بئيري وزملائه لبحث موضوع إقامة خدمات الإستخبارات الجديدة تمّ إعتقال طوبيانسكي من قبل عناصر (شاي) في تل أبيب ونقل إلى مخفر بيت جيز على طريق القدس .
وفي نفس مساء ذلك اليوم ، عندما انتهى الإجتماع في الشقة السّرية في شارع بن يهودا ، خرج غيبلي، ودافيد كارون ، وابراهام كيدرون للتحقيق مع طوبيانسكي في المخفر ، وانضم إيسر بئيري إليهم فيما بعد، وجرى التحقيق مع المهندس وقدم إلى محاكمة في منزل مهجور . وكان بئيري ومساعدوه الثلاثة هم المحقّقون ، ومحامو الدفاع والقضاة في المحكمة الميدانية التي شكلت على عجل ، ولم يتم تسجيل بروتوكول.

وصدر قرار الحكم في اليوم الأول من تموز في ساعة مبكرة. وبعد حوالي ساعة واحدة من صدور الحكم ، وضع طوبيانسكي أمام صورة رماية ".

لقد أثارت قضية إعدام مئير طوبيانسكي ضجة عارمة في " إسرائيل" ولكنها ليست هي التي أدت إلى عزل بئيري في شهر كانون أول ١٩٤٨ من منصبه كرئيس لخدمات الإستخبارات العسكرية .

كما أن الإتهامات التي وجهت إليه بخصوص الوثائق المزوّرة التي قدمها في آب ١٩٤٨ إلى دافيد بن غوريون والمتعلقة بخيانة " أبو حوشي "، أو إعتقال جول أمستر أحد مساعدي "أبو حوشي" مدة ٧٦ يوماً ليعترف بالخيانة ، لم تكن السبب في عزله من منصبه .(كان أبو حوشي صديقاً شخصياً لبن غوريون ، وخليفة محتملاً له ؛ وقد شغل منصب سكرتير مجلس العمال في حيفا ...).

إن السبب في عزله من منصبه كانت قضية "علي قاسم" ، وهو مخبر عربي إتّهم بأنه خائن وإنه عميل مزدوج ، وتمّ إعدامه بأمر من بئيري . وعثر على جثة علي قاسم في كانون الأول عام ١٩٤٨، حيث شرع بالتحقيق . وعندما اتضحت أسباب وفاته (بعد العثور على جثته مملوءة بثقوب رصاص على سفح جبل الكرمل) أمر دافيد بن غوريون ، يعقوب دوري بأن يبلّغ إيسر بئيري بوقف عمله .

وجرت محاكمة بئيري في نهاية كانون الأول ١٩٤٨ أمام محكمة عسكرية (وكان النائب العام بنحاس روزين) ، وجرت محاكمته

بصورة سرّية ، وقد رفض القائد الأول للإستخبارات العسكرية الإسرائيلية الإقتراح الذي عرضه عليه القاضي بتعيين محام له وفضل الدفاع عن نفسه بنفسه ... وأدين إيسر بئيري بإرتكاب جريمة القتل ، وطرد من منصبه كرئيس لخدمات الإستخبارات العسكرية .

وبعد ذلك بشهر ، أي في كانون الثاني عام ١٩٤٩، وبعد أن قدمت نتائج التحقيق المتعلقة بموضوع الوثائق المزيّفة التي قدمها بالنسبة لقضية "أبو حوشي" ، طلب من إيسر بئيري مغادرة الجيش الإسرائيلي وسحبت منه رتبته العسكرية وهي رتبة "مقدّم". أما الضربة النهائية فقد تلقّاها في شهر تشرين الأول ١٩٤٩ عندما اعتقل وقدم للمحاكمة بسبب قضية طوبيانسكي ، فقد حكم عليه بالسجن الرمزي ليوم واحد فقط .

لقد هزّت قضية إيسر بئيري الجيش الإسرائيلي ، والحكومة الإسرائيلية ، والرأي العام اليهودي كله، باعتبار أنه لم يكن هناك أي شخص يشك في إخلاص بئيري "للدولة" ...

وعلى ما يبدو ، أن إيسر هارئيل ، كان له دوره "الخفي" في إبعاد بئيري عن المسرح، مثلما كان له دوره أيضاً في إبعاد خلفه روبين شيلواح من بعده (٤). وعندما كان لا بد من الإستمرار في تنظيم الإستخبارات وتقويتها ، فقد خلف حاييم هرتسوغ هذا الجهاز بعد إستبعاد إيسر بئيري عنه واعتقاله .

ولعل ما يصوّر هذا الواقع تصويراً حياً هو المؤرخ اليهودي ميشال بار زوهار ، حيث يشير إلى مرحلة عدم التوافق بين الأجهزة الإستخبارية الإسرائيلية ، التي وصل التنافس بينها إلى تجنيد العملاء أنفسهم . وقد قال بار زوهار في ذلك :" لم تحرز الإستخبارات الجديدة في العام ١٩٤٨ إنجازات خلابة ، لقد انتشرت خلال المعارك أمراض الطفولة في مصلحة الأمن ، وتركت فيها آثار جروح مؤلمة على مدى الأيام . وقد حصلت الأزمة حول شخص إيسر بئيري رئيس شعبة الإستخبارات العسكرية الذي تورّط في سلسلة قضايا كئيبة : تصفية زعيم عربي هو " علي قاسم"

دون محاكمة قرب حيفا ، ثم تصفية متّهم يهودي بالخيانة يدعى "مئير طوبيانسكي" واعتقال وتعذيب يهودي من حيفا يدعى "جول أمسطر" مدة ٧٦يوماً لخلافات داخلية ، وتزوير وثائق تتهم أبا حوشي (من زعماء حزب مباي ورئيس بلدية حيفا لاحقاً ومن الداعين للتفاهم مع العرب) بالخيانة للقضاء على شعبيته .

ولهذه الأمور ، وكذلك بسبب الصراع بين بئيري وهارئيل أقيل بئيري من وظيفته بسبب أعماله هذه وأدين في محاكمة علنية (٥) .

والجدير بالذكر ،أن بعض المصادر المخابراتية (التي تعتمد على وثائق المخابرات الإسرائيلية نفسها والدعاية لها)، ذكرت أن "حاييم يائيري" رئيس فرع "سلطة الإستخبارات الخارجية" التابع للموساد (الذي حل مكان فرع العمليات الذي كان تابعاً للقسم السياسي برئاسة بوريس

غورييل)، " هو الذي زوّر ثلاث برقيات من برقيات دائرة المباحث الجنائية البريطانية (سكوتلاند يارد _CID) في عام ١٩٤٨، تنفيذا لتعليمات إيسر بئيري الذي حاول إظهار أباحوشي على أنه عميل للبريطانيين"(٦).

إن هذه الأحداث ، وما أفرزته من وقائع على صعيد العمل الإستخباري الإسرائيلي ، لعبت دورها ، وبقوة، على المسرح السياسي والعسكري والأمني في دولة الإحتلال الصهيوني ، وحملت كبار المسؤولين فيها _ وخصوصاً دافيد بن غوريون الذي كان الهمّ الأمني والإستخباري يشكل كابوساً وهاجساً له في الوقت نفسه_ إلى الخروج من مستنقع الفضائح والأخطاء إلى برّ الأمان ... فكانت ولادة الموساد إحدى أهم ثمرات "الجهد البن غوريوني " على هذا الصعيد .

الهوامش

(١) أنظر في هذا الموضوع :

_ عودد غرانوت " الموسوعة العسكرية الإسرائيلية_٢_ سلاح الإستخبارات ". ترجمة دار الجليل للنشر . عمان / الأردن الطبعة الأولى ١٩٨٨. ص ١٣.

_ ميشال بار زوهار Michel Bar Zohar “ J ai risque ma/vie ...” Paris, Fayard P. ١-٢. _

_ د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد " . ص ٦٥-٦٨ حول كتاب :

_The Imperfect spies (The History of Israeli intelligence) . yossi Melman and Dan Raviv .Si DGWICK & Jackson . London ١٩٩٠.

(٢) عودد غرانوت " الموسوعة العسكرية الإسرائيلية _ سلاح الإستخبارات" . مرجع سبق ذكره . ص ١٣و ١٧.

وأيضاً : د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد ". مرجع سبق ذكره . ص ٤٠-٤٣.

(٣) عودد غرانوت . مرجع سبق ذكره . ص ١٤-١٦.

(٤) أنظر أيضاً في هذا الموضوع : د. وجيه الحاج سالم أنور خلف . مرجع سبق ذكره . ص ٤١. وكذلك :

- Michel Bar Zohar : Jai risque ma vie (Isser Harel le N١. des services secrets israeliens) . op. Fayard Paris١٩٧١

(٥) المرجع السابق نفسه (ميشال بار زوهار) . وكذلك :

_د. صالح زهر الدين" المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية ". المركز العربي للأبحاث والتوثيق.بيروت.الطبعة الأولى ١٩٨٥.ص٧٥.

_ومجلة "الموقف العربي".العدد١٢٥.الإثنين ٧_١٣آذار١٩٨٣.ص٦.

(٦)أيان بلاك وبيتي موريس"حروب إسرائيل السرّية".منشورات الأهلية للنشر والتوزيع .عمان / الأردن . الطبعة الأولى ١٩٩٢. ص٩٦_٩٧.

الفصل الثاني

ولادة الموساد

إن ولادة الموساد كانت ، بلا شك ، نتيجة طبيعية للإهتمام الإسرائيلي بالمخابرات . وهذا الإهتمام ، بدوره ، كان نتيجة بحدّ ذاته أيضاً فرضتها الضرورة الماسة لوجود جهاز مخابراتي ، يقع على كاهله عبء ضخم من المسؤولية المتعلقة بحياة " الدولة " التي قامت على الإغتصاب والإحتلال والمجازر والدمار فوق بقعة عربية هي فلسطين ، حيث كان لهذا الجهاز مساهمته الكبرى في ترسيخ دعائمها وتقويتها .

هذا،ويقوم الإهتمام الإسرائيلي بالمخابرات على ثلاثة عناصر (١):

أولاً :عقدة الخوف التي زرعها زعماء بني صهيون في قلوب اليهود ، وإيهامهم أنهم يعيشون في غابة عربية ملآى بالوحوش المفترسة التي تتحيّن الفرص للإنقضاض على الفريسة ، وتلقيها في البحر... لذلك كان لزاماً على كل يهودي في العالم أن يكون عينا متفتّحة وأذناً صاغية بإستمرار لتلافي الكارثة ، وإلا رفضت يهوديّته وانتزعت منه ، وبالتالي لا يستحق أن يكون يهودياً ... فكل يهودي إذن هو جاسوس بالقوة للصهيونية وربيبتها " إسرائيل ".

ثانياً : مضاهاة الدول الكبرى وإقناعها بأن وجود " إسرائيل " هو ضرورة حيوية إستعمارية في المنطقة ، يجب المحافظة عليها ومساعدتها بكل الطرق والوسائل لتبقى متفوّقة على كل المحيط . ومن هذا المنطلق، قال أحد الباحثين الإستراتيجيين السوفيات بأن " إسرائيل توفّر على الولايات المتحدة الأميركية وحدها، في المنطقة ، عشرين حاملة طائرات".

كما أوردت " المجلة العسكرية السوفياتية " مقالاً عنوانه "حليف ... وإستفزازي " ذكرت فيه " أن إسرائيل ليست مجرد حليف عسكري لأميركا في الشرق الأوسط . فهي دولة إستفزازية تحتاج اليها أميركا أمسّ الحاجة أيضاً ... "(٢). لذلك قال رونالد ريغان :" أن إسرائيل لو لم تكن موجودة لاضطررنا إلى إرسال قواتنا محلها "(٣).

ثالثاً : السرقة والإبتزاز : وليست قضية الجاسوس الأميركي جوناثان بولارد ، وفضيحة الرئيس الأميركي بيل كلينتون مع مونيكا لوينسكي، (اليهودية الموسادية) إلا أحد المظاهر البارزة في هذا الإطار، مثلاً. وعلى هذا الأساس ، كان الموساد ضرورياً ، بل أكثر من ضرورة في نظر كبار المسؤولين الصهيونيين ـوفي طليعتهم بن غوريون ـعلى هذا الصعيد .

هذا ، وفي الوقت الذي تختلف فيه الآراء حول تاريخ ولادة الموساد، إلا أن الإتفاق يبدو واضحاً حول شخصية الأب الروحي لهذا الجهاز ، والمتمثل بـــ " دافيد بن غوريون".

ففي كتاب " الوجه الحقيقي للموساد " مثلاً ، جاء فيه مايلي :
" تأسست الموساد في ١٩٥١/٩/١ ، على أنقاض الشعبة السياسية التابعة لوزارة الخارجية . وكان (روبين شيلواح) أول مدير لها ، ومسؤولاً أمام رئيس الوزراء ..."(٤) . بينما يتطرق كتاب "حروب إسرائيل السّرية " إلى ذلك قائلاً :" أنشيء الموساد رسمياً في الثاني من آذار عام ١٩٥١، بناء على أمر رئيس الوزراء بن غوريون، ثم باشر مهامه في الأول من نيسان عام ١٩٥١، وأسسه روبين شيلواح ، وكان أول مدير له . وقد سمّي الموساد في البداية بإسم "مؤسسة التنسيق" (هاموساد ليتيوم) ، ثم أعيد تسميته عام ١٩٦٣ ليصبح مؤسسة الإستخبارات والمهمات الخاصة "(٥) .

والواقع أن الخطوات الأولية لتأسيس وكالة الإستخبارات السرّية الإسرائيلية بدأت على يد شيلواح عندما بعث برسالة إلى دافيد بن غوريون في تموز عام١٩٤١، يدعو فيها إلى إنشاء " وكالة مركزية مختصة بقضايا الأمن والإستخبارات" وتابعة لمكتب رئيس الوزراء . وبعد خلافات ومماحكات مطوّلة بين بن غوريون ومختلف رؤساء الوكالات ، أرسل رئيس الوزراء في ١٣كانون أول عام ١٩٤٩الرسالة الآتية إلى وزير الخارجية موشي شاريت :
" يجري الآن بناءً على توجيهاتي إنشاء مؤسسة (الموساد) ، لتجميع وتنسيق أعمال وكالات الإستخبارات والأمن (دائرة إستخبارات

الجيش، والقسم السياسي في وزارة الخارجية ،ووكالة الأمن العام ... إلخ)." ويضيف بن غوريون في رسالته قائلاً:" لقد عهدت إلى مستشار وزير الخارجية للعمليات الخاصة شيلواح تأسيس الموساد ، وليكون أول مدير له . سيعمل شيلواح تحت إشرافي ، وسيتصرف طبقاً لتعليماتي ، وسيطلعني بإستمرار عما يقوم به من نشاطات ، وسيكون مكتبه من الناحية الإدارية تابعاً لوزارة الخارجية ...".

وبسبب الخلافات والنزاعات المريرة التي حصلت فيما بين الدوائر المعنية (شيلواح، والقسم السياسي وإستخبارات الجيش الإسرائيلي ، ووكالة الأمن العام).إستطاع شيلواح في نهاية المطاف إقناع بن غوريون في نهاية عام ١٩٥٠، بضرورة توحيد كل عمليات جمع المعلومات الإستخبارية في الخارج تحت سقف واحد (الموساد)، ثم أيّدت تلك الفكرة توصية صادرة عن لجنة ثلاثية خاصة برئاسة نائب رئيس وكالة الأمن العام إيزي دوروت ، وعضوية كل من نائب مفوض الشرطة ومسؤول من وزارة الخارجية كان رفيع المستوى ويمتلك خلفية جيّدة عن عالم الإستخبارات.

وما إن حصل شيلواح على موافقة رئيس الوزراء حتى دعا لجان التنسيق في مختلف الوكالات في كانون الثاني سنة ١٩٥١ إلى عقد إجتماع لهم ، وأقرّ شيلواح بحقيقة ما ورد في شكوى إستخبارات الجيش الإسرائيلي من أنها كانت تتلقى من مراكز القسم السياسي معلومات غير كافية ولا تلائم الإحتياجات المطلوبة ، ولم يكن من المناسب أن

تشغل تلك الوكالات عملاءها في الخارج في آن واحد معا، وهذا ما عبرّ عنه شيلواح بقوله :" لا أستطيع الموافقة على إنشاء وكالات مستقلة بعضها عن بعض في الخارج " (٦) .

هذا ، وبسبب المنافسة والصراع على النفوذ، فقد واجه روبين شيلواح معارضة عنيفة خصوصاً من مسؤول الشعبة السياسية في وزارة الخارجية بوريس غورييل ، والذي أستبعد من عداد " اللجنة السّرية" التي أسسها بن غوريون برئاسة شيلواح . وهذا ما دفع رجال غورييل ــ بعد الغاء الشعبة السياسية ــ إلى تقديم إستقالاتهم بالجملة ، فكانت أكبر هزة في المخابرات الإسرائيلية ، وأول تمرّد من نوعه في تاريخ المخابرات الإسرائيلية،وربما أيضاً في تاريخ الحروب السرّية بشكل عام.

يضاق إلى ذلك ، إخفاق الشبكة الموسادية في العراق بعد حملة التفجير التي استهدفت الكنُس اليهودية بهدف تهجير يهود العراق إلى فلسطين المحتلة ، ثم إعتقال أعضاء الشبكة وإعدام بعضهم (شالوم صالح شالوم المسؤول عن مخازن أسلحة الهاغاناه في العراق والموجودة في الكنُس اليهودية ــ أُعتقل وأُعدم)، فكان ذلك سبباً في تسعير الحملة ضد روبين شيلواح ، بقيادة إيسر هارئيل ، مما أدى بدوره إلى إنتهاء خدمة شيلواح بتاريخ ١٩ أيلول ١٩٥٢. ولم تمض سنوات قليلة على ذلك حتى توفي في عام ١٩٥٩(٧).

مرحلة إيسر هارئيل : (١٩٥٣_١٩٦٣):

إستلم إيسر هارئيل قيادة الموساد في ١٩٥٢/٩/١٩ بعد إستقالة شيلواح . ولكنه بقي يخضع له باعتباره كان مشرفاً عاماً على أجهزة الأمن الإسرائيلية حتى ٨ شباط ١٩٥٣، حيث قام بن غوريون بالمحاولة الثالثة لإعادة تنظيم أجهزة الأمن وزيادة فعاليتها ونفوذها . وعلى ضوء ذلك عيّن بن غوريون إيسر هارئيل _ بالإضافة إلى منصبة كرئيس للموساد _ رئيساً للجنة رؤساء الأجهزة والتي أصبحت تتشكل من:

(١) الموساد

(٢)الإستخبارات العسكرية

(٣) الأمن الداخلي _ الشين بيت _ التابعة لوزراة الداخلية.

(٤) المهمات الخاصة والتحقيقات في جهاز الشرطة .

(٥) دائرة الأبحاث في وزراة الخارجية .

ولقد اتسم هذا _ التنظيم _ بتسخيره لخدمة أغراض بن غوريون (الشخصية) وخدمة الحزب الحاكم _ ماباي _ في ذلك الوقت .

وأصبح هارئيل يتمتع بنفوذ قوي نتيجة الثقة المطلقة التي أولاه أياها بن غوريون ، حيث كان يعتبر "أعداء بن غوريون هم أعداؤه ".

هارئيل _ الصعود إلى القمة :

وعمل هارئيل على إدخال الموساد _ والأجهزة الأمنية في " اللعبة السياسية الداخلية " .

_ في آذار ١٩٥٠ فرض مراقبة على حزب (مابام) وشكل وحدة خاصة لهذا الهدف، كما فرض أيضاً الرقابة على " الحزب الشيوعي ".
_ في ١٩٥٣/١/٢٨ أكتشف في مكتب (ميير يعاري) الأمين العام (لمابام)"جهاز تنصت"،وضع من قبل عملاء" هارئيل "في (الشين بيت) والتي كان يشرف عليها (هارئيل) أيضاً .
_ وفي بداية عهد هارئيل_(إنكشفت الشبكة في العراق _ في ١٩٥١) وتفجرت ثورة يوليو في مصر ١٩٥٢،وسقطت شبكة (سوزانا) في أيدي أجهزة الأمن المصرية في ١٩٥٤/٧/٢٢ والتي اشتهرت بفضيحة (لافون) والتي أدت الى سقوط حكومة(موشيه شاريت)الذي تولى رئاسة الوزارة بعد استقالة بن غوريون في١٩٥٣/١٢/٧ قد تنصّل كل من شاريت،ولافون،وبنيامين جبلي،وديان من مسؤولية عملية(سوزانا)، والتي أطلق عليها شاريت (الميلودراما المجنونة) وصدرت الأحكام بحقهم في القاهرة في ١٩٥٥/١/٢٩.
_ وعلى أثر تلك الهزة العنيفة _ في أجهزة الأمن الإسرائيلية ، عاد بن غوريون مرة أخرى في ١٩٥٥/٢/٢٢ ليتولى مسؤولية وزارة الدفاع.
وقد أدى تورط _ الإستخبارات العسكرية _ في عملية سوزانا الى صعود نجم هارئيل ، الذي تولى مرة أخرى السيطرة على العمليات الخاصة ، وحيث لم يعد بمقدور الإستخبارات العسكرية القيام بأية عملية خاصة دون مصادقة هارئيل .

وقد عمل هارئيل في نفس الفترة التي تولى فيها بنيامين جبلي مسؤولية الإستخبارات العسكرية ، والذي سقط في فضيحة لافون. وكذلك مع _ هاركابي _ وهرتسوغ وعميت . وقبيل العدوان الثلاثي على مصر _ ١٩٥٦ حاز هارئيل على شهرة دولية واسعة في أوساط رؤساء الإستخبارات بعد حصوله _ بواسطة أحد عملائه في موسكو _ على النص الحرفي لخطاب خرتشوف أمام مؤتمر الحزب الشيوعي السوفييتي في ١٩٥٦/٢/٢٥ _ وقد صنف ذلك بأنه " أكبر إنتصار شخصي " لهارئيل في حياته المهنية. وقد باع (هارئيل) هذا الخطاب لـــ(CIA) بصفقة ضخمة ، مكنت الموساد من " الحصول على نسخة من كل تقارير (CIA) عن الشرق الأوسط ، وكذلك تعيين " انغلتون" مسؤول التجسس المضاد كمسؤول عن قسم إسرائيل في الـــ CIA. وانغلتون هذا معروف بتعاطفه الشديد مع إسرائيل وقد إعتبر انغلتون أن كل عميل لـــ CIA يعمل بشكل ثانوي للإسرائيليين .على أن النجاح البارز الذي قوّى هارئيل هو نجاحه في إختطاف (ايخمان) في١٩٦٠/٥/١١.

لقد بدأت علاقة هارئيل تتصدّع مع بن غوريون ، في قضية (إسرائيل بير) والذي قام هارئيل بمراقبته واعتقاله في١٩٦٢/٣/٣١دون علم وموافقة بن غوريون .

وبالرغم من نجاحه أيضاً في العثور على الصبي المخطوف (يوسيلي شوماخر) (٨ سنوات) وارجاعه من الخارج في ١٩٦٢/٧/٤ منفذاً ما تعهد به لـ " بن غوريون".

أفول نجم هارئيل _ السَقوط

وكان الصراع الداخلي بين (هارئيل وعميت) وفتور العلاقة مع بن غوريون ، سبباً في بداية هبوط هارئيل من على قمة _ الموساد _ واجهزة الأمن الإسرائيلية .

وجاءت قضية العلماء الألمان في مصر ، ومعالجة هارئيل لها بذعر واضح ، ورفضت نصائحه المقترحة لمعالجة ذلك من طرف بن غوريون واستمراره في هذه القضية " بإعلان الحرب على العلماء الألمان في مصر" وإرساله للطرود الناسفة لهم ، وتهديدهم وتهديد عائلاتهم في الخارج ، حتى جاء إعتقال عميلي "هارئيل" في سويسرا (أوتوجو كليك) والضابط (يوسف بن غال) من قبل سلطات الأمن السويسرية في ٣/٢/ ١٩٦٣ لتهديدهما الآنسة هايدي إبنة البروفسور (باول غوايرك)، ومطالبة المانيا الغربية لسويسرا بتسليمها هذين العميلين ، ووقف بن غوريون مرة أخرى ضد طريقة هارئيل في معالجة هذا الحادث مع المانيا وسويسرا ، ووصل هذا الأمر إلى الصحافة وتمت مناقشته في الكنيست، لقد كانت معركة (هارئيل) ضد العلماء الألمان معركة (للنفوذ

والسيطرة داخل إسرائيل نفسها.. وفي النهاية _ خسر (هارئيل) هذه المعركة).

لقد انعدم التوازن داخل أجهزة الأمن الإسرائيلية بشكل عام ، وداخل _ الموساد _ بشكل خاص ، وشعر بن غوريون أنه تعرض للخيانة من قبل هارئيل.

واستقال هارئيل في ٦٣/٣/٢٥ وهو في سن الخمسين ، وكان يشرف أيضاً على (الشين بيت) وبالتحديد على (مواجهة التغلغل السوفييتي) ومكافحة الــ KGB وخلفه في رئاسة الموساد ، الجنرال (مير عميت).

(١) وفي ختام مرحلة هارئيل _ الموساد _ بقي أن نشير الى أن النجاحات التي حققها (هارئيل) لم تكن نجاحات _ الموساد _ فباستثناء الحصول على خطاب خرتشوف ١٩٥٦_ فإن باقي العمليات ، كانت بمشاركة _ باقي الأجهزة الأمنية _ فمثلاً : لقد اشترك في عملية ايخمان ، كل من الإستخبارات العسكرية والشين بيت ، وفي قضية الصبي (يوسيلي شوماخر) اشتركت الشين بيت أيضاً .

(٢) إن هارئيل لم يتصرف كقائد لأجهزة الأمن الإسرائيلية ومديراً للموساد ومشرفاً على (الشين بيت) ، وبالتالي فإن مهمته : إدارة (كل هذه الأجهزة وتنسيق جهودها) ، بل تصرف _ خلال العشر سنوات _ التي قاد فيها بلا منازع

أجهزة الأمن الإسرائيلية _ تصرف كعميل سري ، كمسؤول شبكة صغيرة ، كقائد فريق صغير ، ولهذا فإن هارئيل كان من الممكن أن يكون ناجحاً _ كمسؤول لشبكة _ ولكنه بالإجمال : كان مديراً فاشلاً.

(٣) لقد حاول (مايكل بارزوهر) وعلى مدى (٣١٨ صفحة) في كتابه (خاطرت بحياتي-إيسر هارئيل رقم "١" في الخدمات السرية الإسرائيلية) أن يعمل دعاية شخصية لهارئيل من جهة وللموساد من جهة أخرى .

إننا نورد هنا تعليقاً ، على هذا الكتاب _ الذي هو بحد ذاته كتعليق على الأجهزة الأمنية الإسرائيلية حتى أفول نجم هارئيل في ١٩٦٣_ حيث يدعي المؤلف أن اليهود كانوا على علم بكل ما يحدث في فلسطين قبل ١٩٤٨ وفي كل الإدارات البريطانية ، وعلى كل المستويات ، وإنهم كانوا يستخدمون كل اليهود _ ضباطاً وجنوداً _ في الجيش البريطاني ، وإنه يعود الفضل في إنشاء إسرائيل الى جهاز مخابراتها ، وإن الصهاينة وأعمالهم (فوق كل المقاييس المعروفة) فهي إن جندت عربياً (فهو يستطيع الوصول الى مكامن الأسرار) وإن جندت أجنبياً (يستطيع الدخول الى كل بلاط.. والى كل الأوساط). وعندما يتحدث (بارزوهر) عن تاريخ المخابرات (يروي ملحمة) وعن المخابرات (فهي مؤسسة بديعة ، تعمل

"بقواعد أخلاقية " فممنوع إستعمال (؟؟) الجنس والعاهرات (في المخابرات الإسرائيلية) ، بالضبط كما يتحدث قادة الجيش الإسرائيلي عن (طهارة السلاح ؟؟؟) وأما عشرات المجازر فكأنها لتأكيد ؟؟؟ طهارة السلاح. وعندما ينتقل بارزوهر للحديث عن إنتشار المخابرات الإسرائيلية _ يوحي _ بأن (كل يهودي وكل أجنبي هو ضابط في المخابرات الإسرائيلية) .. وإن الحدود العربية مفتوحة لهم ، مرحبة بهم ..

إن كتاب بارزوهر ، هو كتاب من تأليف (قسم الحرب النفسية في الموساد) وفيه يتحدث عن (السوبرمان الإسرائيلي).(٨) .

مرحلة الجنرال مير عميت (٦٣/٣/٢٥) الى (٦٨/٩/١)

عيّن مير عميت في رئاسة الإستخبارات العسكرية في عام ١٩٦٢ وذلك كخلف لحاييم هيرتسوغ الذي تقاعد نهائياً.. ويعتبر هيرتسوغ أول رئيس للإستخبارات العسكرية ينهي مدته بشكل طبيعي حيث تمت إقالة كل رؤساء الإستخبارات العسكرية السابقين، أو أجبروا على الإستقالة (بئيري ، جبلي ، هاركابي) وذلك نتيجة للفضائح أو الهزات _ أو الفشل _ الذي حام حول مناصبهم . وقد تقلد عميت رئاسة الإستخبارات العسكرية بترشيح من موشيه دايان كما شارك (زفي تسور) رئيس الأركان في إقناع بن غوريون (رئيس الوزراء ووزير الدفاع) بتعيين عميت، تحت

حجة (إنه يجب السماح للجيش ، بتعيين رجاله الكبار بدون تدخل خارجي) وقد حارب هارئيل ترشيح عميت كرئيس للإستخبارات العسكرية بحجة (أنه ليس له تجربة تذكر في الإستخبارات)، وقد كان _ هارئيل _ في حرب دائمة مع الإستخبارات العسكرية بسبب سعيها الدائم (للاستقلال في التفكير والعمل)، ومن هنا، فقد كان_ هارئيل _ينظر اليها كمنافس وليس كشريك، ولهذا لم يستفد الا قليلاً من ابحاثها، وكان شديد الشكوك في تقييماتها المعلوماتية. وباختصار، فلم يكن بمقدور _ هارئيل _ ان يحتمل المنافسين الاقوياء،وقد كان(عميت) منافساً قوياً، ولم يكن من النوع الذي (يقبل بسهولة لعب دور ثانوي)، لقد كان عسكرياً (قلباً وقالباً) ومن الذين يعتبرون (تولي القيادة من الخطوط الامامية ليس امراً صحيحاً فحسب بل ايضاً طبيعياً). لقد كان عميت _ بخلاف هارئيل _ قائد ميدان ، ولذلك عرف اهمية المعلومات الجيدة للجندي المقاتل،ومن هنا، فإنه أدخل (للموساد) "عقلية الجندي "، حيث كان عميت يقول لرجاله : "اذا وجد شخص في طريقكم، استخدموا كل ما لديكم من قوى نارية لازاحته من الطريق".

وبعد خسارة (هارئيل) معركته في (قضية مواجهة العلماء الالمان في مصر) .. استقال في ٦٣/٣/٢٥، ولقد حاول بن غوريون الوصول الى (جويل موراب) رئيس الشين بيت للإضطلاع بإدارة

الموساد بشكل مؤقت. وبما انه لم يكن موجوداً في "اسرائيل "، طلب بن غوريون من عميت، تولي قيادة الموساد، بالإضافة الى رئاسته للإستخبارات العسكرية، الى أن يتم تعيين مدير جديد. وفي اليوم التالي ١٩٦٣/٣/٢٦ خطا عميت الى (مقر الموساد). وفي ١١/٦/ ١٩٦٣ استقال بن غوريون_ متعباً _من (فضيحة لافون) وذهب الى المنفى السياسي بدون رجعة .

الموساد في ظل عميت :

وقد استقال نائب هارئيل نتيجة_ تعيين عميت _ الرجل الثاني في الموساد.. ووجه (عميت) بوجوه غاضبة من قبل رجال تنفيذيين كبار لاعتقادهم بأن (عميت) هو المسؤول عن الخسوف الذي حلّ بـ (هارئيل) .

قاد عميت "الموساد" و "الاستخبارات العسكرية" معاً لمدة خمسة اشهر ، وفي سبتمبر /ايلول ١٩٦٣ تفرغ لإدارة الموساد وتم تعيين نائبه _ الكولونيل أهارون ياريف _ كرئيس للاستخبارات العسكرية ، ولقد شكل الثنائي (عميت _ ياريف) إتحاد شراكة إستثنائي ، وتجاوزت انجازاته، أي شيء قامت به الاستخبارات الاسرائيلية لانسجام قمتي الاستخبارات والموساد.

لقد عزل عميت كل الرجال المؤيدين _ لهارئيل _ في ادارة الموساد. وجلب بدلاً منهم كوادر من الاستخبارات العسكرية

وشكل منها إدارة داخلية مستثنياً منها (رجال هارئيل) خاصة في الفترة التي أصدر فيها اشكول قراراً بتثبيته كمدير للموساد ..

كما جلب معه من الاستخبارات العسكرية الى الموساد(الوحدة ۱۳۱) والتي تقوم (بتنفيذ العمليات الخاصة). وقد لاحظ عميت داخل الموساد الغياب التام لأي تسلسل حقيقي للقيادة الا بشكل سطحي. وبغياب (هارئيل) اصبحت الموساد "تدور كالدجاجة بدون رأس " .

ولكن (عميت) تربى على غير ذلك ، تربى على مبدأ " اذا تغير ضابط القيادة فإنه يعرف مسبقاً بأن نائبه سيحل محله .. الى آخر سلسلة القيادة بدون أي اضطراب في الوحدة _ ولو_ للحظة واحدة "، أما في عهد (هارئيل) فلقد كان "هارئيل هو الموساد.. والموساد هو هارئيل" .

وقد أضفى مير عميت الصفة الرسمية البيروقراطية على الموساد، واصبح التخصص ظاهرة مميزة في الجهاز.

وفي عهد عميت اعتقل اهم عميلين سرّيين اسرائيليين في دمشق والقاهرة، بالإضافة الى فضيحة اختطاف المهدي بن بركة في فرنسا بمشاركة الموساد ، واغتياله ...

ولقد أعتقل ايلي كوهين في دمشق في ۱۹٦٥/۱/۲۱ واعدم في ۱۹٦٥/٥/۱۹. كما أعتقل (لوتز) قي القاهرة في ۱۹٦٥/۲/۲۲

وحكم عليه بالسجن مدى العمر ، وعلى زوجته (فالتراود) بثلاث سنوات سجن ، وقد تم مبادلتهما بالإضافة الى (فريق لافون) بـــ ٥٠٠سجين مصري منهم تسعة جنرالات بعد حرب ١٩٦٧.

وبعد إعدام إيلي كوهين في دمشق عام ١٩٦٥، قال مير عميت رئيس الموساد بتاريخ ١٩أيار ١٩٦٥ أن إعدام إيلي كوهين كان بالنسة لنا أول ضربة قاسية ومؤلمة منذ عام ١٩٥٤ (بعد إعدام صموئيل عازار والدكتور مرزوق عام ١٩٥٤ في القاهرة) والتي أطلق عليها إسم " فضيحة لافون " (٩).

والواقع أنه إذا كان إيلي كوهين قد اعتقل في دمشق وأعدم شنقاً، وإذا كان لوتز قد اعتقل في القاهرة ... إلا أن المناضل العربي المصري " رأفت الهجّان" إستطاع أن يخترق كل الأجهزة الأمنية والسياسية والعسكرية الإسرائيلية دون أن يُكتَشَف . ولو كان هناك جهاز إعلامي عربي موحّد ، وقسم " حرب نفسية" عربي موحّد ، لرفع رأفت الهجّان إلى مرتبة القديسين...

مرحلة تسفي ــ زفي ــ زامير

من نوفمبر/ تشرين ثان ١٩٦٨ الى سبتمبر/ ايلول ١٩٧٤

تولى الجنرال تسفي زامير رئاسة الموساد في نوفمبر ١٩٦٨ خلفاً للجنرال عميت الذي استقال في ١٩٦٨/٩/١، وعندما كانت

الحرب ضد الثورة الفلسطينية في أوجها، وبشكل خاص في الخارج واقترح آلون على رئيسة الوزراء غولدا مائير تعيين زامير .

إن تعيين زامير _ الأقل تألقاً _ بين الجنرالات الإسرائيليين جاء مفاجئاً له بقدر ما كَان مفاجئاً لأي شخص آخر ، فبدلاً من أن يغادر بلطف ويذهب للنقاهة ، حيث كان على أبواب إنتهاء خدمته العسكرية ، أوكلت اليه مهمة الإضطلاع بأكثر المناصب تطلباً للبراعة والعناية الفائقة في " إسرائيل " وبدون أن تكون لديه أية خبرة تساعد في إدارته .. ومع أن الجيش أخذ يتذمر من هذا التعيين وهذا الإختيار ، إلا أنه تم التغلّب على ذلك من قبل (ليفي أشكول) حيث واجه الجيش بقوله :" لقد طلبتم جنرالاً وحصلتم عليه" ولم يكن بإمكانهم التذمر .. أما في الموساد .. فقد أصيب محترفو الموساد أثر تعيين (زامير) برعب شديد ، وعندما سئل أشكول :" كيف يمكن لرجل غير متمرس أن يدير هذا المنصب الحساس ؟ "_ أجاب_:"حسن سيتعلّم في سنة أو سنتين".

لقد استغرق زامير _ سنتين _ قبل أن يصبح مدركاً ومتفهماً للأبعاد الحقيقية لعمله، ولكنه نجح على أية حال، وكانت أساليبه مختلفة عن أساليب أي من سابقيه ، وكانت تقاريره " ضخمة " و"وافرة " ولم يحاول أبداً إخفاء أي شيء عن الحكومة ، ولقد منحته _ غولدا مائير _ (رئيسة الوزراء) لاحقاً الثقة المطلقة.

لقد كان زامير الرجل القادر على إستغلال أفضل ما لدى رجاله وبالمقارنة مع عميت .. فقد كان (عميت) " مسؤول الشركة " أما زامير فكان " رئيس اللجنة ". وحتى بداية السبعينات ، لم تكن الموساد تمتلك قدراً كافياً من الرجال، وهو الامر الذي تتطلبه عملية (ملاحقة رجل) أو (مراقبة منزله) وهكذا قام زامير بتوسيع خطة كانت مطروحة من قبل في عهد _ هارئيل _ : تجنيد الإسرائيليين الذين يعيشون في الخارج .. ممن يشهد سجل خدمتهم العسكرية بأنهم رجال يعوّل عليهم للقيام بعمليات محدودة .

لقد شغل زامير منصبه كرئيس للموساد خلال حرب الإستنزاف بين مصر وإسرائيل ، وفي عهده تمت سرقة زوارق شيربورغ الفرنسية ، وسرقة تصاميم طائرة الميراج / ٣ السويسرية .

اما الهزة الضخمة التي زلزلت الموساد .. فكانت اطلاق النار على (باروخ كوهين) في مدريد في ١٩٧٣/١/٢٦ ، ويعتبر -باروخ _ اكبر ضابط للموساد في اوروبا، ولقد تهاوت بمصرعه -كل شبكات الموساد_ في اوروبا ، ولقد اثبت ان (منظمة ايلول الاسود) كانت قد اخترقت شبكات الموساد في اوروبا .. كما قتل (د.آمي شيحوري) مدير محطة الموساد في لندن والذي يعمل تحت غطاء دبلوماسي_ كملحق زراعي _ بواسطة طرد ناسف تلقاه من أمستردام .

وقام زامير على الفور_ باتخاذ اجراءات _ (وقائية) فورية حيث قام بحل كل الشبكات القائمة والتابعة للموساد في اوروبا ، وتم استدعاء كبار ضباط الموساد في اوروبا . ومضت فترة من الوقت ، قبل ان يتم إرسال عملاء جدد يعملون من "مقرات قيادة جديدة"وبأغطية جديدة ، وقد استغرقت عملية التجديد هذه_ عدة أشهر _ وكان من الاثار المباشرة لمقتل (باروخ كوهين) فشل عملية _ ليليا هامر: _ ففي ١٩٧٣/٧/٢١ قتلت الموساد عاملاً مغربياً يدعى (احمد بوشيكي) على انه (ابو حسن سلامة)، وتم اعتقال (٦) من عملاء الموساد في النرويج من الذين اشتركوا في هذه العملية الفاشلة ضد مواطن اعزل. ان عملية_ ليليا هامر _فشلت في رأي (زامير) لأن التحليل كان سيئاً ، ولأنه تم تجاهل الاجراءات ، فاضطرت (اسرائيل) لدفع ثمن العجز.

لقد تجرّع _ زامير _ كأس الفشل ومرارة الهزيمة في ٢١/٧/ ١٩٧٣ في ليليا هامر _ في النرويج_ حيث تواجد هناك اثناء قتل (احمد بوشيكي)، وكان ينتظر أن يشرب نخب اصطياد ابو حسن سلامة ولكنه فشل واصيب بخيبة الامل . وكذلك فشل (زامير) _ ايضاً_ في جمع المعلومات والتنبيه وتقييم احتمالات نشوب الحرب في

تشرين / اكتوبر ١٩٧٣، وخاب امل (الجمهور الاسرائيلي) في اجهزة استخباراته التي فشلت في لحظة (المحنة الكبرى).

وفي عهد_ زامير _ ايضاً عادت الاستخبارات العسكرية لتسيطر على كافة الاجهزة الامنية ، واصبحت المحور الرئيس بين تلك الاجهزة ، وتعززت مكانتها بصورة ملحوظة، واصبح الاعتماد على تقديراتها الاستراتيجية والعسكرية كبيراً جداً .

وكان رئيس الاستخبارات العسكرية في ذلك الوقت/ العميد الياهو زاعيرا/، وابدى(زامير) خلال فترة رئاسته للموساد .. اهتماماً خاصاً بالمعلومات الواردة عن (النشاط الالكتروني ، والتصوير الجوي ، وكذلك توثقت في عهده العلاقات والتعاون مع الاستخبارات الغربية تحت مظلة "مكافحة الارهاب ") .

وقد شمل تقرير لجنة اغرانات الموساد ، وظهر _ زامير _ ضعيفاً بعد حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣.. لقد أهمل(دول المواجهة) وانتقل "ليتنّزه" في شوارع اوروبا.. ولهذا، تم الاستخفاف بالموساد، لقد انهكتها الحرب التي شنّتها في العواصم الاوروبيه ضد الكوادر الفلسطينية. لقد اصبحت الموساد _ مجرد وكالة لجمع المعلومات _ ولم يعد لها_ كالسابق_ اي نفوذ، او تأثير حقيقي في صنع القرارات في تل ابيب .

وفي ١٩٧٣/١٢/٩. دعت غولدا مائير الى تشكيل(لجنة للامن القومي) في اسرائيل ، تابعة لرئاسة الحكومة وتشمل رؤساء دوائر الجهاز الأمني بحيث تكون منفصلة ودائمة، ومن اشخاص ذوي خبرة يشتركون في اتخاذ القرارات حول مختلف الامور .

لقد تقاعد_ زامير _ من رئاسة الموساد بعد ٧سنوات من الخدمة، (اي انه خدم سنتين زيادة عن فترة الخمس سنوات التى تم تحديدها كحد اقصى للخدمة عندما استقال هارئيل) ، وذلك في عام ١٩٧٤ وبعد اختلاف مع اسحاق رابين ... وقد خلفه في رئاسة الموساد الجنرال_ اسحاق حوفي _ والذي استلم رئاسة الموساد في١/٩/ ١٩٧٤.

وانتقل (زامير) ليعمل مديراً لشركة مقاولات .

مرحلة اسحق حوفي
١٩٧٤/٩/١ الى ١٩٨٢/٦/١

تولى الجنرال اسحاق حوفي_حاكه_رئاسة الموساد في ١٩٧٤/٩/١ خلفاً للجنرال زفي زامير ، وهو مرشح ديان لرئاسة الموساد .

كان اختياره كرئيس للموساد اختياراً غريباً. فقد كانت صلته المباشرة بالإستخبارات ضعيفة جداً، ولم يكن بالمفكر التأملي القادر على إظهار الحنكة الجوهرية الى حد كبير لعمل الإستخبارات ، كان

هادئاً الى درجة الصرامة ، محافظاً ويتمتع بشعبية لدى رجاله بفضل صراحته و (شجاعته) الواضحة ، لكن لم يكن لاحد أن يضعه بين العشرة الأوائل في الجيش ، وتقول التقارير أن (حوفي) وسّع دور (الموساد) في جمع المعلومات عن الإمكانيات والقدرات العربية وكذلك في تحليل مثل هذه المعلومات.

كان حوفي مقتنعاً ، أن الهجوم وشيك الوقوع ، ولذلك فقد أغرق مقر القيادة بكل التقارير المثيرة الإضطراب والتي كان يقدمها ضباط إستخباراته .

في بداية تشرين حاول أن يدافع عن واقعه أولاً، ثم القيام بهجوم معاكس ضد الجيش السوري في معركة من أعظم معارك الدروع التي شهدها تاريخ الحرب الحديثة ، وحوفي جلب الى الموساد كل البريق الذي حملته شهرته ، بالتعبير عن رأيه بصراحة ، عندما يعتقد أن الامور تسير بشكل خطأ .

إنه لمن المشكوك فيه ، أن يسمح حوفي لنفسه بأن يتعرض للسخرية والإهمال، كما كان حال _ زامير _ قبل حرب ١٩٧٣، في الوقت الذي كان فيه زامير مقتنعاً أن الإستخبارات العسكرية تقود إسرائيل الى الكارثة . وبالرغم من أن عملية (عنتيبي) (حزيران ١٩٦٧) تنسب إلى إنجازات (حوفي) والموساد ... إلا أن هذه العملية إشترك فيها ضباط الإستخبارات العسكرية والمظليون

ولواء جولاني وسلاح الجو .. والموساد .. وكان دور الموساد فيها محدوداً.

لقد إستطاعت عملية (عنتيبي)أن تزيل الظلال التي خيمت على أجهزة الإستخبارات الإسرائيلية في أعقاب حرب تشرين / أكتوبر ١٩٧٣ وأعادت لهذه الأجهزة الثقة بالنفس . حافظ (حوفي) على علاقة جيدة مع رابين ووايزمن وبيغن وكان على علاقة سيئة مع(شارون) الذي أراد أن يضم الموساد الى إقطاعياته في وزارة الدفاع . وفي عهد (حوفي) كان الموضوع الاساس في الموساد هو المتعلق (بجمع المعلومات _ والتنفيذ وليس التقرير). وتميزت فترة رئاسة (حوفي) للموساد ، بأحداث سياسية مهمة. فقد إنكسرت شوكة المخابرات بعد فشلها في الإنذار لحرب تشرين / ٧٣ وخرجت من لجنة (إغرانات) مهيضة الجناح .. ومقيدة بمجموعة من القيود أهمها تعيين"مستشار رئيس الحكومة للمهمات الخاصة"_ "ومستشار رئيس الحكومة لشؤون الإستخبارات" وعدد من القيود والإجراءات. وعام ١٩٧٤، كان عام فلسطين _ ومنظمة التحرير الفلسطينية في الارض المحتلة _ وعلى الصعيد العربي والدولي _ حيث تم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني. وفي الوقت الذي افتتحت فيه منظمة التحرير الفلسطينية عشرات المكاتب والممثليات لها ، قطع عدد كبير من

الدول علاقاتها مع إسرائيل . أيضاً ، مع بداية تسلم "حوفي" لرئاسة الموساد.. إندلعت الحرب _الاهلية _ في لبنان ، وبدأت الاتصالات مع الكتائب والقوى المسيحية اللبنانية الاخرى.

واستمرت الحرب الخفية الدائرة بين المجموعات الفلسطينية وحلفائها والإستخبارات الإسرائيلية في شوارع أوروبا، وجرت عدة إغتيالات لكوادر فلسطينية مسؤولة في قبرص ، وأنقرة، وروما ، وباريس ...

وبالرغم من أن العادة جرت ان يتم تغيير الطاقم العسكري والأمني مع وصول رئيس الوزراء الى هرم السلطة، إلا ان وصول بيغن الى رئاسة الوزراء عام ١٩٧٧ لم يغير الطاقم الأمني ، بل أبقى (حوفي) في رئاسة الموساد وابراهام أحيطون في رئاسة الشين بيت ، وقد فشل (حوفي) في المعرفة المسبقة لعدد من العمليات الضخمة _ كسافوي_وكذلك عملية الساحل (عملية الشهيدة دلال المغربي) آذار ١٩٧٨ وفشل أيضاً في تحديد قدرة الثورة الفلسطينية على رد الهجوم في عملية (الليطاني) آذار ١٩٧٨.

وفي عهد حوفي وقعت إتفاقية كامب دايفيد ووفرت على حوفي جهوداً ضخمة،فبدلاًمن أن يضع خططاً لإرسال(عميل)الى القاهرة، أصبح _ هو وكل قادة الموساد _ يستطيعون الوصول الى السفارة الإسرائيلية في القاهرة ، والتي كانت تأخذ ٥٠ % من جهودهم .

والانجاز " الكبير " الذي يتباهى به " حوفي" والموساد في عهده هو إغتيال الشهيد أبو حسن سلامة .. في بيروت .. والذي طلب بيغن بعد وصوله للسلطة عام ١٩٧٧ إستمرار المحاولات التي بدأت وتعثرت منذ ١٩٧٢ لاغتيال أبو حسن سلامة ،وكذلك إغتيال الشهيد ماجد أبو شرار وكمال يوسف في روما ، وأبو صفوت وسمير طوقان في نيقوسيا ، كما تم إغتيال محمد قدومي في أنقرة ، كذلك أغتيل فضل الضاني في باريس .

وشاركت (الموساد) بمساعدة الــCIA في الإعداد لضرب المفاعل النووي العراقي في حزيران ١٩٨١، وكان من المتوقع أن ينهي (حوفي) خدمته _ قبيل الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وتم تعيين الجنرال يكتوئيل آدام بدلاً منه ، ولكن _ بدأ الغزو _ وقتل _ آدام _ في الدامور في ١٩٨٢/٦/٨، وبقي في منصبه ، حتى أختير " عدنوني " الذي إستلم منصبه في ١٩٨٤/٩/١٢ كأول رئيس مدني للموساد .

وعمل الجنرال _حوفي _ بعد إنتهاء خدمته كمدير للموساد ، مديراً لشركة الكهرباء الإسرائيلية .

مرحلة ناحوم عدنوني

١٩٨٢/٩/١٢ _ ١٩٨٩

جرت العادة في (اسرائيل) ألا يكشف اعلامياً عن شخصية رئيس (الموساد)، ولا يكتب عن حياته ، وشخصيته ولا تنشر صورته ولا ونشاطه، إلا بعد أن يغادر منصبه.

لقد تم تعيين _ ناحوم عدنوني _ في حزيران / يونيو ١٩٨٢ كرئيس للموساد_ خلفاً للجنرال ياكتوئيل ادام الذي كان قد صدر قرار بتعيينه _ كمدير للموساد _ ولكنه _ وقبل ان يمارس _ منصبه _ بشكل فعلي _ قتل في الدامور بلبنان في ١٩٨٨/٦/٨ .. مما حدا بـــ (مناحيم بيغن) رئيس الوزراء الاسرائيلي، ان يعين _ ناحوم عدنوني_ كرئيس للموساد .. ولقد استلم _ عدنوني _ مهام منصبه فعلاً في ١٩٨٢/٩/١٢ أي قبل يومين فقط من إغتيال بشير الجميل، ومن مجازر صبرا وشاتيلا _ ١٩٨٢_ وبقي عدنوني في رئاسة الموساد حتى عام(١٩٨٩).

ويعتبر تعيين _عدنوني_في رئاسة الموساد.. سابقة لم تشهدها الموساد _ منذ تأسيسها _ اي تعيين رئيس من خارج صفوف العسكريين .

وقد فشل (عدنوني) _ مرتين _ في اغتيال ياسر عرفات احداهما في مخيم نهر البارد في شمال لبنان ١٩٨٢، كما فشل ايضاً في العثور على القادة الفلسطينيين عندما اختطفت الطائرة المتوجهة من

طرابلس الى دمشق والتي تحمل الوفد السوري ، ولم يتواجد على متنها، اي مسؤول فلسطيني، وتعتبر عملية الاختطاف_ هذه _ ثالث محاولة تفشل فيها (الموساد) في اختطاف طائرة على انها تقل قادة فلسطينيين .

ومن ناحية اخرى يسجل لناحوم عدنوني _ مشاركته الفعالة _ مع الـــ CIA في تهجير اليهود الفلاشا من أثيوبيا، هذه العمليه التي بدأها سلفه(حوفي)في الاعداد وارسال عملاء الموساد الى الخرطوم. كما يسجل لــــ (ناحوم عدنوني) _ مشاركته الفعالة _ وبالتعاون مع الـــ CIA ايضاً في التمهيد والاعداد_ للغارة الجوية على مقر القيادة الفلسطينية في تونس بتاريخ ١٤/١٠/ ١٩٨٥م.

وفي مجال الاغتيالات قامت (الموساد) باغتيال الرائد (اسماعيل درويش) من كوادر "فتح" في روما ١٥/١٢/١٩٨٤ وكذلك تفجير سفينتين يمتلكهما مواطن فلسطيني في ايطاليا ، بالاضافة الى تفجير سفينة جزائرية في ميناء عنابة الجزائري ، وفي احباط العملية البحرية الفلسطينية في٢١/٤/١٩٨٥.وقد أقيل عدنوني عام ١٩٨٩، وخلفه شبطاي شافيت .

المراحل الأخرى بعد ناحوم عدنوني :

مرحلة شبطاي شافيت

١٩٨٩-١٩٩٦

تولى جهاز الموساد ورئاسته من سنة ١٩٨٩ حتى سنة ١٩٩٦. وكان على خلاف دائم مع رئيس جهاز (أمان) يوري ساغي . كان عهده كعهد أسلافه مليئاً بالأخطاء والتقصير والفضائح والفشل . أقيل سنة ١٩٩٦، وخلفه داني ياتوم.

مرحلة داني ياتوم

١٩٩٦-١٩٩٨

تولى رئاسة الموساد من سنة ١٩٩٦ حتى سنة ١٩٩٨. يعتبر عهده من أكثر العهود فشلاً وفضائح في تاريخ هذا الجهاز ، ومن بينها : محاولة إغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة"حماس" في الأردن خالد مشعل ، وفضيحة يهودا غيل ، وفشل الموساد في قبرص وسويسرا ...

عزل من منصبه في بداية شهر آذار ١٩٩٨، وحل محله افرايم هاليفي .

مرحلة افرايم هاليفي

١٩٩٨-٢٠٠٢

تولى رئاسة الجهاز في عام ١٩٩٨بعد سلسلة من العثرات تسببت في إحراج كبير للجهاز وأساءت الى سمعته . وكان رئيس الوزراء

الإسرائيلي الأسبق بنيامين نتنياهو إستدعى هاليفي الذي كان سفيراً لبلاده لدى الإتحاد الأوروبي وأسند إليه مهمة قيادة الموساد ، في الوقت الذي كان فيه مختصاً بالعمل في الجانب الدبلوماسي بما في ذلك مهمات الإتصال مع دول لا تقيم إسرائيل معها علاقات بصفة رسمية . وأدى دوراً محورياً في التوصل " لإتفاقية سلام" مع الأردن في العام ١٩٩٤. كما أن عهده لم يَخلُ من هزّات أمنية كبيرة سببّها له جهاز أمن "حزب الله" والتي أدت في النهاية الى الإنسحاب المهين للجيش الإسرائيلي من الجنوب والبقاع الغربي في أيار ٢٠٠٠.كما مثلت عملية أسر العقيد الموسادي ألخنان تانينبوم في بيروت بعد إستقدامه من بروكسل ، فضيحة كبيرة للموساد ، إضافة إلى فضيحة إعتقال العقيد النووي إسحق ياكوف ، وفشل عملية نسف برلمان المكسيك ، واعتقال أفراد الشبكة المالية الإقتصادية اللبنانية في بيروت ... إنتهت خدمته في آب ٢٠٠٢، ليصبح رئيساً لمجلس الأمن القومي التابع للحكومة الإسرائيلية ، وحلّ مكانه في رئاسة جهاز الموساد الميجر جنرال مائير داغان.

الهوامش

(١)ـراجع كتاب " الإستخبارات والأمن القومي" . إعداد المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر. ترجمة دار الجليل . عمان / الأردن . طبعة أولى ١٩٨٩ . ص ٥-٧ .

(٢)ـ" المجلة العسكرية السوفياتية ". العدد الثالث . شهر آذار ١٩٨٨ . ص ٥٠-٥١ .

وكذلك تفصيلياً : د. صالح زهر الدين " مشروع " إسرائيل الكبرى" بين الديمغرافيا والنفط والمياه" . المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٦ . ص ٥٣ .

(٣)ـ مجلة " الطليعة " بتاريخ ١٢ تشرين أول / أكتوبر ١٩٨٣ .

(٤)ـ د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد " ص. ٥١ .

(٥)ـ أيان بلاك وبيتي موريس " حروب إسرائيل السرّية " . ترجمة عمار جولاق وعبد الرحيم الفرّا . الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٢ ص ٩٤.

(٦)ـ أيان بلاك وبيتي موريس . المرجع السابق نفسه ، ص ٩٥.

(٧)ـ راجع كتاب " الوجه الحقيقي للموساد " مرجع سابق ، ص. ٤٢-٤٥ .

وكتاب " أمراء الموساد " الفصل الثاني . وكذلك : مجلة "إستراتيجيا ". العدد١٠٧.ص.٦٦

(٨)_ أنظر كتاب :" الوجه الحقيقي للموساد "... ص. ٧٢-٧٥. كذلك مجلة " شؤون فلسطينية"العدد ٢٢٠ . حزيران ١٩٧٣.

وأيضاًكتاب بارزوهار : Michael Bar Zohar _ J ai risqué ma vie (Isser Harrel le N١ des services secrets Israeliens). Editions Fayard, Paris ١٩٧١.

(٩) أنظر كتاب جاك مرسييه . _ Jacques Mercier (Eli Cohen le combatant de Damas). Editions Robert Laffont . Paris ١٩٨٢. page ٣٠٣.

الفصل الثالث

فضيحة "لافون" أو " القضية المشينة"

يعتبر مركز رئاسة الوزراء في دولة الإحتلال الصهيوني من أكثر المراكز حساسية فيها ، وهو أهم منصب يتحكم بكل الامور المتعلقة بالقضايا السياسية والإجتماعية والعسكرية وغيرها . ويأتي في الأهمية قبل منصب الرئاسة الأولى . لذلك لم يكن مستغرباً حدوث الفضائح بسبب الوصول اليه والتحكم به. وهكذا كانت " فضيحة لافون " سنة ١٩٥٤.

تبدأ هذه الفضيحة مع دافيد بن غوريون ، أول رئيس وزراء إسرائيلي حين كان بعيداً عن السلطة ، إلا أنه لم يكن بعيداً عن مراكز النفوذ والتأثير . في تلك الفترة ، كان يتخذ من مستعمرة "سيدي بوكر " في صحراء النقب ، مركز إقامته ومراقبته . بينما كان موشيه شاريت رئيساً للوزراء ، وبنيامين غيبلي رئيساً للإستخبارات العسكرية ، كما كان بنحاس لافون وزيراً للدفاع .

وفي الوقت الذي وصل فيه الرئيس جمال عبد الناصر الى سدّة السلطة في مصر ، مع ما حمله هذا الوصول من إنعكاسات على مجمل الأوضاع في الوطن العربي خاصة ، والعالم عامة ، كان لا بد

لدافيد بن غوريون أن يقدم على أي خطوة يكون من شأنها عرقلة مسيرة ثورة يوليو والحد من تأثيرها ونفوذها .

ولذلك عمد الى إصدار أمر شخصي ، بالاتفاق مع رئيس الاستخبارات العسكرية غيبلي ، ووزير الدفاع لافون ، دون علم شاريت رئيس الوزراء ، حيث يقضي هذا الامر بزرع شبكة جاسوسية في مصر توكل اليها مهمة تنفيذ عمليات تخريب ، ضد المصالح الاميركية والبريطانية . وبدأت العمليات التخريبية فعلاً في القاهرة والإسكندرية ، ضد مصالح دبلوماسية وإقتصادية بريطانية واميركية ، لتثبت دولة الإحتلال الصهيوني أن مصر دولة ضعيفة لا تستطيع حماية أمنها ذاتياً ، ولا بد من تكريس الوجود العسكري البريطاني الذي كانت إشارات البدء بمفاوضات سحبه من مصر قد انطلقت من جانب عبد الناصر .

إضافة الى هذا الهدف ، كان للإسرائيليين هدف آخر هو منع صلة الحوار التي بدأت بين مصر والولايات المتحدة ، مع إنطلاقة ثورة ٢٣ يوليو/ تموز سنة ١٩٥٢.

هدف ثالث أراده بن غوريون على الصعيد الشخصي وهو إسقاط حكومة موشيه شاريت في حال كشف هذه العمليات ، وإعادته الى الحكم ، وهو ما حصل فعلاً بعد عدة أشهر فقط ، عندما كشفت المخابرات المصرية العملية بكاملها ، بعد حادث وقع أمام

إحدى دور السينما في الإسكندرية ، حيث إنفجرت قنبلة حارقة في جيب عميل صهيوني ، هو " فيليب ناتنسون " ، كان مكلفاً بوضعها أمام دار السينما نفسها في ذكرى ثورة يوليو (١) .

- هذا ، ولقد كان صموئيل عازار على رأس فرقة الإسكندرية للإستخبارات الإسرائيلية . ولد في الإسكندرية عام ١٩٢٩ من والدين ينتميان الى أصل تركي . كان محباً للعمل السياسي، ويعمل على تهجير اليهود الى فلسطين ، تحت شعار السياحة والسفر الى الخارج .

تعرّف صموئيل عازار على إيلي كوهين (الجاسوس الإسرائيلي الذي أعتقل وأعدم في دمشق عام ١٩٦٥) في صف دروس الهندسة الإلكترونية في جامعة فاروق في مصر. تمّ إلقاء القبض عليه مع ستّة آخرين من أفراد شبكة التجسس في ٢٣ تموز/ يوليو أثناء الاحتفالات بعيد الثورة في مصر ، بعد أن قبض البوليس أمام سينما " ريو " على رفيقه " فيليب ناتنسون " ، ثم على فيكتور ليفي ، والدكتور موشيه مرزوق ، وفكتورين نينيو، وروبرت داسا، كما أعتقل معهم أيضاً ايلي كوهين ، لكنه استطاع تبرئة نفسه وإقناع المحقق بأن لا علاقة له بالشبكة فأطلق سراحه.

- لكن الدور الهام كانت تلعبه فيكتورين التي أعطيت إسم " مارسيل " وهي إحدى الغانيات التي كانت تعمل في أحد مقاهي مصر عندما أتصل بها

- " جوهين دارلينَغ " أو الكولونيل ابراهام دار (أحد رجال البالماخ وهو بحري ومزارع ونشط في مجال الهجرة) وجنّدها لصالح الإستخبارات الإسرائيلية ، أثناء لقائه مع الدكتور فيكتور سعدي ، لقد رأى " دار لينغ " أن هذه الفتاة مؤهلة للقيام بمثل هذا العمل التجسسي ، فالتقاها في مقهى كبير ، بالقرب من سينما نصر ، المتوهج نوراً بأضواء النيون ، وكان الوقت صيفاً ، واتفقا على أساس أن تلعب دور " علبة البريد " تحت إسم "مارسيل " لكل شبكات الجاسوسية الإسرائيلية في مصر ؛ وقد أعطاها مبلغ ألف جنيه مصري ، ثم غادر عام ١٩٥٢ الى دولة الاحتلال الصهيوني في فلسطين.وبالفعل،لعبت" مارسيل " دورها ببراعة،وكانت روح الشبكة وحركتها المندفعة.وقد حاولت الانتحار بعد أن قبض عليها حتى لا تتكلم ، فلم توفّق (٢) .

- وبعد مغادرة دارلينغ لمصر ، تولى إدارة الشبكة التجسسية مكانه ضابط الماني الجنسية برتبة كابتان إسمه " ماكس بينيت ". ولد في كولونيا ، وكان يمتاز بأنه لا يختلف عن الآريين في مظهره ، حيث هاجر مع والديه الى فلسطين وهو دون العشرين من عمره ،

وانضم الى الهاغانا فوراً . وبعد أن تدرب على أعمال الجاسوسية ، تمّ إرساله في مهمة كبيرة الى العراق حيث أشرف على عمليات الهجرة زمناً طويلاً . وكان يقود خمسة مجنّدين أرسلوا الى دولة الاحتلال الصهيوني من قبل الكولونيل ابراهام دار و"مارسيل" لتعلّم مساق مستعجل في مبادىء أعمال الاستخبارات وفنون التخريب ، حيث مكثوا ثلاثة أشهر لم يروا خلالها أحداً سوى مدرّبيهم ، ثم أعيدوا الى مصر حيث خضعوا لقيادة عميل حنّكته التجارب هو الضابط الالماني " ماكس بينيت " . وعندم أعتقل مع فيليب ناتنسون عذّب كثيراً لكنه لم ينهار . انتحر في سجنه في ٢١ كانون الاول عن طريق قطع شرايين يديه بواسطة " شفرة حلاقة " (٣). . كما كان الى جانب هؤلاء أيضاً أحد الضباط السابقين في البالماخ يدعى " أفني فايز نفلد " أشرف على إعداد ثلاث قنابل بطريقة يدوية لمجموعة الإسكندرية . كما يعتبر " ابراهام زايد نبرغ " (المعروف بـــ"باول فرانك") قائد الشبكة هذه أيضاً .

والجدير بالذكر ، أن هؤلاء المعتقلين والمحكومين في هذه القضية قد أطلق سراحهم بعد تبادل الاسرى بين مصر ودولة الاحتلال الصهيوني في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧. وكانت قد بدأت محاكمتهم في القاهرة في ١١ كانون الاول ١٩٥٤. وفي ٢٧ من

كانون الثاني ١٩٥٥ نشرت المحكمة العسكرية في القاهرة قرار الحكم الصادر بحق المجموعة هذه ، حيث حكم على الدكتور مرزوق (وهو طبيب في المستشفى اليهودي في القاهرة وعمره ٣٦ سنة) وصموئيل عازار (وهو مدّرس في الاسكندرية وعمره ٢٦ سنة) بالإعدام شنقاً ، وحكم على ليفي ، وداسا ، وناتنسون بالسجن المؤبد .

وحكم على مارسيل نينيو بالسجن لمدة ١٥ سنة ، وحكم على مئير زعفران ومئير ميوحاس بالسجن لمدة ٧ سنوات ، أما ايلي يعقوب وعزرا كوهين فقد برئت ساحتهما ، ورفض المصريون الطلبات التي وجهت اليهم لتخفيض الاحكام الصادرة بحق مرزوق وعازار . وفي ٣١ كانون الثاني ١٩٥٥، اعدم الاثنان شنقاً حتى الموت في سجن القاهرة .

وفي نهاية تموز/ يوليو ١٩٥٤، عندما انتشرت الاخبار في وسائل الاعلام العربية حول اعتقال اليهود في مصر ، نشب خلاف في الزعامة الاسرائيلية حول ، من أعطى الامر بإشعال الحرائق، ومتى أعطي هذا الامر ولأي سبب؟ فزعم رئيس شعبة الاستخبارات بنيامين غيبلي أنه تلقى الامر من وزير الدفاع ونقله الى قائد الوحدة المقدم مردخاي بن تسور ، وهذا الامر حرّر في يوم السبت السابع عشر من تموز عام ١٩٥٤الى القاهرة .

ولكن اتضح ان العمليات بدأت قبل هذا الموعد وضد اهداف اميركية لم تكن مشمولة .

أما وزير الدفاع بنحاس لافون فقد زعم بأن العمليات في مصر بدأت قبل اعطاء موافقة عليها . ولم يعرف العقيد غيبلي كيف يبرر العمليات التي نفذت قبل اعطاء الامر ، وهنا شكلت لجنة رفيعة المستوى مكونة من : رئيس المحكمة العليا اسحق أولش ورئيس الاركان الاول للجيش الاسرائيلي يعقوب دوري، وكلفت بالتحقيق في خلفية الاحداث التي عرفت منذ ذلك الوقت باسم " الفضيحة " (٤) .

وهنا اكتشفت اللجنة صورة من العلاقات العكرة والتهم المتبادلة بل والشهادات المزوّرة ، والوثائق المزيفة ولم تنجح اللجنة في التحقيق في الروايات المتناقضة وتبنّي إحداها .

كما أن المزاعم حول تزييف الوثائق في شعبة الاستخبارات لم تعف وزير الدفاع من المسؤولية ، ولكنها بسطت ظلاً ثقيلاً على الشعبة ورئيسها آنذاك بنيامين غيبلي . أما التحقيقات الجزئية المختلفة التي جرت في أعقاب شهادة قائد الشبكة ابراهام زايدنبرغ (الذي عرف آنذاك بلقب الرجل الثالث) والذي اتهم بتسليم الشبكة في القاهرة من خلال التعاون مع المصريين ، وقدم للمحاكمة بسبب علاقاته مع الاستخبارات المصرية، وأرسل الى

السجن ، ان تلك التحقيقات ولدت (فضيحة لافون) التي استمرت عدة سنوات ، وقوّضت أسس نظام الحكم الاسرائيلي، وتسبّبت في استقالة لافون ...
لقد استقال بنحاسَ لافون من منصب وزير الدفاع في ١٧شباط ١٩٥٥. وفي مطلع نيسان تمّ نقل رئيس شعبة الاستخبارات بنيامين غيبلي ، ثم خلفه في هذا المنصب العميد يهوشفاط هركابي المتخصص في شؤون الشرق الاوسط بالاضافة الى تحقيق ما عمل إليه بن غوريون وهو العودة الى منصب رئاسة الوزراء .

لقد جاءت هذه الفضيحة أيضاً لتعزز مكانة أيسر هرئيل وتزيد من فعاليته وتأثيره ، خاصة عندما عيّن في عام ١٩٥٣، أثناء محاولة تنظيم أجهزة الأمن،رئيساً " للجنة رؤساء الأجهزة " ورئيساً للموساد الذي أنشىء حديثاً . وأصبحت أجهزة الأمن تتشكل من خمسة أقسام هي :

١ــ الموساد
٢ــ الإستخبارات العسكرية .
٣ــ دائرة الابحاث في وزارة الخارجية .
٤ــ المهمات الخاصة والتحقيقات في وزارة الخارجية .
٥ــ الأمن الداخلي (الشين بيت) في وزارة الداخلية (٥) .

وهنا ، وقد أكدت الموسوعة العسكرية الإسرائيلية الخاصة بـــ" سلاح الاستخبارات " في تناولها لهذه القضية ، " أن قصة هذه الفضيحة بغضّ النظر عن الفضيحة السياسية ، هي قصة فشل الاستخبارات العملية من ناحية اختيار الاهداف والتخطيط والتنفيذ . فهذه " الفضيحة " كشفت الستار عن علاقات مقوّضة داخل شعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية ومثلت الانهيار الذي وصلت إليه العلاقات داخل المجموعة الاستخبارية وخاصة بين شعبة الاستخبارات والموساد، في السنوات الاولى لقيام هاتين الهيئتين ..." (٦) .

وهكذا ، أدى تسلم يهو شفاط هركابي منصب رئيس شعبة الاستخبارات الى عملية تطهير جزئية للأجواء المتعكرة داخل شعبة الاستخبارات وتحسين العلاقات مع الموساد . ولكن مشكلة الفوارق في وجهات النظر بالنسبة لوجود الوحدة ١٣١ تحت أمرة شعبة الاستخبارات أو تحت أمرة الموساد قد وجدت حلّها بعد ذلك بثماني سنوات .

جملة القول ، أن فضيحة لافون ، كشفت الستار عن فضائح جعلت" دولة إسرائيل " عارية أمام الرأي العام العالمي ، كما كانت هذه الفضيحة بمثابة الهزيمة النكراء التي منيت بها المخابرات الاسرائيلية على يد أجهزة المخابرات العربية المصرية،

فهزّت أركان وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وأوجدت ضجة كبرى في الاوساط الدبلوماسية رغم المحاولة اليائسة التي قام بها بن غوريون لاخفاء معالم تلك الفضيحة حفاظاً على سمعته الشخصية، وسمعة دولته في المجالات الدولية ... وقد أسهبت الصحف العالمية في وصف تلك الفضيحة الشنعاء التي دلّت على ما يتجلّى به الحكام الاسرائيليون من مؤامرات يحيكها بعضهم ضد الآخر ، وكأنهم كلاب مسعورة إن لم تجد ما تنهشه ، تنهش بعضها بعضاً... (٧) .

الهوامش

(١) راجع كتاب د. صالح زهر الدين " المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية " .المركز العربي للابحاث والتوثيق . بيروت ١٩٨٥ ص. ٧٨_٧٩.

وكذلك :_ مجلة " الموقف العربي " . العدد ١٢٥. الاثنين ٧ _١٣آذار ١٩٨٣.ص٦

_ ومجلة " الشراع " . العدد ٥٨. الاثنين ٢٥نيسان ١٩٨٣ ص. ١١_١٢.

_ ومجلة " الحوادث". العدد ١٩٨٢. الجمعة ٢٩نيسان ١٩٨٣.ص. ١٩.

(٢) عودد غرانوت " سلاح الاستخبارات " (الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢)) . ترجمة دار الجليل . عمان / الاردن . الطبعة الاولى ١٩٨٨ . ص. ٤٦ و ٥١.

وكذلك : دينيس ايزنبرغ وأخرون " الموساد جهاز الاستخبارات الاسرائيلية السرّي " . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٨١. ص. ٥٣

_ وعمر أبو النصر "ايلي كوهين جاسوس اسرائيلي في دمشق "بيروت ١٩٦٨ .ص٤١-٤٨.

(٣) عودد غرانوت " سلاح الاستخبارات " . مرجع سبق ذكره . ص. ٥١.
كذلك : نزار عمار " الاستخبارات العسكرية " المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٧٦. ص. ٧٣.
ودينيس ايزنبرغ وآخرون . مرجع سبق ذكره. ص.٥٣_٥٥.

(٤) عودد غرانوت ." سلاح الاستخبارات " . مرجع سبق ذكره ص. ٥١_٥٢.

(٥) د. صالح زهر الدين " المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية " . مرجع سبق ذكره . ص. ٨٠_٨١.

(٦) عودد غرانوت . " سلاح الاستخبارات " ص.٥٢.

(٧) أيمن العلوي " الجاسوسية الاسرائيلية تحت المهجر " . دار الرافد للطباعة والنشر . لندن. الطبعة الاولى ١٩٩٣. ص. ١٥٢...

الفصل الرابع

الموساد وعنصر النساء

عندما يسمع الإنسان خطابات القادة الصهاينة وحاخاميهم تسترسل في شرحها عن الاخلاق والقيم الإنسانية ،يظن نفسه في بيت عبادة ، أو في حضرة قدّيسين ورجال دين ذوي مستوى رفيع ، ولكنه عندما يدرك أن هؤلاء هم يهود وصهاينة ، يتبادر الى ذهنه فوراً ما كان يردّده الأديب سعيد تقيّ الدين دائماً بقوله : ما أفصح (العاهرة) وهي تحاضر عن الشرف والاخلاق".

وفعلاً ان الأنبياء هم في آخر القائمة اليهودية ، وقبلهم يأتي التجار والصيارفة ومحترفو القتل والتزوير والفساد والإفساد ... وقد أصبحت "المخدرات"و"الدولارات المزوّرة "و"الجنس والنساء"من أكبر الأسلحة اليهودية العابرة للقارات،أسرع وأجدى من الصواريخ العابرة للقارات،وتوازيها في الاهمية.وقد بلغ الامر بالمرأة اليهودية الى أن تبرع وتتفوق في فنّ لم يقدر على مجاراتها فيه أحد وهو"إجادة العهر".

لقد أيقنت الاستخبارات الاسرائيلية أن عنصَر النساء هو عنصر مهم وضروري جداً في عملية التجسس ، ولذلك لم توفر فرصة سانحة إلا

واستغلتها في هذا المضمار، مستفيدة من تجارب غيرها من الاجهزة ومن تجربة اليهوديات أيضاً وقد لمع من اليهوديات في هذا الميدان :
سارة أرونسون _ شولا كوهين _ فيكتورين نينو (مارسيل) _ سيلفيا رافائيل وغيرهن ... ولعلّ مصير سيلفيا رافائيل كان أسوء مصير عرفه جهاز الاستخبارات الاسرائيلية على الصعيد النسائي ، نظراً لما كانت عليه هذه الجاسوسة من الاهمية على ضوء عملياتها " الناجحة " و "الفاشلة " في آنٍ معاً .

فمن هي سيلفيا رافائيل هذه ؟ وماذا كان دورها ؟ وكيف كانت نهايتها ؟
إنها إحدى أبرز نساء جهاز الموساد . ولدت في جنوب أفريقيا من والد يهودي وأم غير يهودية ... مارست عملها في المخابرات الاسرائيلية أكثر من (١٥) سنة ، وذهبت فيه الى النهاية . وكانت تملك شقة في باريس وأخرى في تل أبيب .قتلت سيلفيا رافائيل في لارنكا ، على ظهر يخت إسرائيلي في ميناء لارنكا مع رفيقين لها هما: زيفين بالزيو وابراهام افنيري (مدير الموساد في أوروبا ونائبه) (١) ، وكان ذلك في ٢٥ أيلول سنة ١٩٨٥.
كانت نهايتها جثة ممزّقة بالرصاص مرمّية على حاجز (درابزون) اليخت الذي كانت تعدّه مصيدة لرجال المقاومة الفلسطينية في ميناء لارنكا القبرصي ، لكنها قتلت برصاصهم ، حيث كانوا ثلاثة شبان فلسطينيين

سلّموا أنفسهم الى السلطات القبرصية بعد تنفيذ عمليتهم الجريئة التي هزّت أصداؤها صحافة العالم ، وهم :

ـ جورج حنا (٢٧ سنة)

ـ يحي ناصيف (٢٤ سنة).

ـ خالد عبد الله (٢٤ سنة).

وكانت هناك جهتان بالتحديد تعرفان وحدهما على وجه الدّقة خطورة وأهمية تصفية الاسرائيليين الثلاثة في ميناء لارنكا .
الجهة الاولى هي الحكومة الاسرائيلية وجهاز المخابرات (الموساد) .
والجهة الثانية جهاز الأمن الفلسطيني ...
وكانت سيلفيا رافائيل هي قائدة هذا الفريق الارهابي الاسرائيلي بالرغم من مكانة رفيقيها في هذا الجهاز ... وعندما كان من الطبيعي أن تقوم اسرائيل بعملية إنتقام ، لكن أحداً لم يتوقع أن يبلغ الانتقام الصهيوني حدّ الإغارة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في " حمام الشط " في تونس بعد عملية لارنكا بأيام فقط (٢) .

هذا ، وأن المفاجأة التي أسفرت عنها عملية لارنكا واغتيال سيليفا رافائيل ، كانت مدوّية للغاية . فقتيلة اليخت " أستر يالتسر " كانت هي نفسها " أريكا ماري تشامبرز " التي اغتالت أبو حسن سلامة في بيروت في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٩. وهي المرأة نفسها التي كانت

تنتظر في السيارة أثناء عملية اغتيال وائل زعيتر في روما في ١٧/١٠/ ١٩٧٢. وهي المرأة نفسها التي كانت في عملية فردان في بيروت واغتيل يومها كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار ليلة ١٠ نيسان ١٩٧٣ ، وكان إيهود باراك مشاركاً فيها بلباس وزيّ إمرأة . وهي المرأة نفسها التي كانت في عملية إغتيال العامل المغربي في النروج أحمد بوشيكي ، ظناً بانه أبو حسن سلامة . وكان ذلك في ٢١ تموز ١٩٧٣، وهي المرأة نفسها أيضاً التي فتشت حقائبها في فندق "الاكسلسيور " في بيروت (لأنه كان مشكوكاً بامرها كجاسوسة ولم يسرق شيء من غرفتها،فغادرت بيروت فوراً) . وهي المرأة ذاتها أيضاً في عمان بإسم (ماهي) الفرنسية.وهي باتريسيا لوكسمبورغ المصوّرة الصحفية في الأردن في أواخر الستينات ومطلع السبعينات (٣) .

إنها باختصار سيلفيا رافائيل التي عاشت نجاحات كبيرة في عملها تماماً كما عاشت إخفاقات وفشلاً أيضاً ، حيث تتوّجت إخفاقاتها أخيراً بوقوعها في " الفخ الأمني الفلسطيني " في ميناء لارنكا ، وأودى بحياتها ووضع حداً لإرهابها وجرائمها .

هذا ويكشف كتاب"إرهابيو الموساد "لفلاديمير ميخائيلوف،عن معلومات مهمة جدا بشأن سيلفيا رافائيل وإغتيال العامل المغربي في النروج أحمد بوشيكي(بدلا من أبو حسن سلامة كهدف مقصود باعتباره كبير قادة حركة فتح)

ـ المعلومة الاولى تقول: ان إثنين من القتلة قد القي عليهما القبض في شقة دبلوماسي، ضابط أمن في السفارة الاسرائيلية في أوسلو.

ـ المعلومة الثانية : أن تسعة إرهابيين ، ضمنهم رئيس المجموعة تسفي زامير (الذي كان هو نفسه رئيس الموساد) قد أفلحوا في الاختفاء عن أعين المطاردين ، معينهم في ذلك كما أكدت الصحافة النرويجية ليس غير المخابرات النرويجية نفسها .

ـ المعلومة الثالثة : وهي أن رئيسة الشبكة الارهابية هناك سيلفيا رافائيل هي زوجة محامي المحكمة العليا للنروج ، ذي المنصب السامي ، ومن خلاله منحت الجنسية النروجية وأصبحت مواطنة نروجية منذ عام ١٩٧٩. ولعل هذه العلاقة كان لها دورها في إخفاء وتهريب رئيس الموساد تسفي زامير الذي لو اعتقل لكانت كارثة وفضيحة في الوقت نفسه (٤) .

وبالفعل ، تداخلت في هذه القضية غيوم الفشل والاخفاق مع غيوم الفضيحة ، فاكفهرّ الجو كله في دولة الاحتلال . حيث كشفت هذه القضية زيف الهالة الاسطورية لجهاز الموساد وعرّته تماماً حتى من " ورقة التين " . ذلك أن عناصر الفشل والاختراق والفضيحة إقترنت بقوة في هذه العملية ، وقلّما كان قد حصل هذا الاقتران من قبل بهذا الشكل ودفعة واحدة في عملية واحدة من هذا النوع . لذلك كان وقعها على الموساد خصوصاً ، وعلى كل الاجهزة الامنية والعسكرية والسياسية

الاسرائيلية كبيراً جداً ومؤثراً الى أقصى حدّ من جهة ثانية . لذلك سمّيت هذه الكارثة بـــ" نقطة الحضيض"بالنسبة للاستخبارات الاسرائيلية(٥) . هذا ، وتفيد بعض المراجع الى أن ميخائيل مايك هراري ، الذي تولى رئاسة شبكة الموساد في أميركا اللاتينية ، والقنصل الفخري الإسرائيلي في بنما ، هو الذي قتل العامل المغربي أحمد بوشيكي في النروج(٦) ورغم ذلك تبقى سيلفيا رافائيل أخطر جاسوسة للموساد خلال العقد الاخير ، يصعب على الموساد أن يجد مثيلاً لها بسهولة على صعيد العنصر النسائي الاستخباري والتجسسي معاً .

أما بالنسبة للجاسوسة الاخرى شولا كوهين التي تعتبر " أخطر جاسوسة إسرائيلية عرفها الشرق الاوسط " (٧) ؛ فإنها ولدت سنة ١٩٢٠ في بيونس آيرس(٨) عاصمة الارجنتين . وكان والدها تاجراً يهودياً من زعماء طائفته . وكان يزور فلسطين وتأتي معه عائلته . وعرّف هذا اليهودي إبنته على تاجر يهودي لبناني يدعى " يوسف كشك "، يزيدها بحدود (٢٠) عاماً وزوّجها منه ، فانتقلت بعد ذلك لتسكن في بيروت مع زوجها ، في بيت ملاصق للكنيس في الحيّ اليهودي المعروف بـــ" وادي أبو جميل" وهنالك تعرّفت الى رجال حركة " مكابي " اليهودية ، والى النادي اليهودي الذي نشطت من خلاله في العمل لمصلحة الصهيونية واسرائيل ، حيث إستمر نشاطها من سنة ١٩٤٧ حتى تاريخ إعتقالها في سنة ١٩٦١.

كانت شولا كوهين تتمتع بمزايا كثيرة . كما أصبح منزلها ملتقى للعملاء الناشطين في خدمة العدو الصهيوني . أطلق عليها ألقاب عديدة منها : "الزعيمة" و "سفيرة اسرائيل في لبنان" (٩) . وكانت تغرق زبائنها وعملاءها بالنساء والفتيات اليهوديات اللواتي كنّ على جانب كبير من الجمال والأناقة ليسهل "الصيد" والإيقاع بالضحايا، وكأنها كانت تملك _ فضلاً على الملهى الليلي _ "سوبر ماركت " من الجنس اللطيف مثل : فورتينة _ راشيل _ مارسيل _ اسبيرانس وروزيت ...وتستدرج الزبائن على أساسها ، وكلٌ حسب "البضاعة " المطلوبة للإستهلاك ، إذ كانت على دراية تامة بـــ "نوعية" الزبون، وعلى أساسها تؤمن "نوعية البضاعة".

لقد كان "شباك الجنس" ، بالاضافة الى المال ، من أقوى أسلحة اليهود في اصطياد ضحاياهم . وقد برعت شولا كوهين في ذلك أكثر من غيرها ، حيث كان دورها من أخطر الادوار ، حيث تمثل _ ليس فقط بالتجسس وتهريب اليهود والاموال الى فلسطين _ "بخلق جو سياسي وشعبي يمهّد للصلح مع إسرائيل" (١٠) .

والواقع ، ان العملاء الذين قبلوا التجنيد لصالح المخابرات الاسرائيلية من قبل شولا كوهين _ وغيرها_ مقابل اي نوع من الاغراء المادي او الجنسي او غيره، كانوا يمارسون "الزنى" بمختلف وجوهه،

وكذلك "الانحراف" الخلقي والوطني والسياسي ... وبمعنى اوضح : لقد كانوا يمارسون "العهر" مع ذواتهم قبل غيرهم _ بعد ان باعوا انفسهم للشيطان _ وكانوا يشاركون في شنق الحق العربي وذبحه بأيديهم .

هذا، واذا كان الضغط_ في بعض الاحيان _ يؤدي الى انفجار _ أو ثورة_ فإن محاولات "الضغط" على اليهود في البلاد الاوروبية والاميركية لم تهدف إلاالى تهجير اليهود من الاماكن التي يقيمون فيها، الى فلسطين ، التي يسمّونها "ارض الميعاد" . لذلك كانت عملية هجرة اليهود الى فلسطين هذه _ أو بالاحرى تهجيرهم _ هي بمثابة العمود الفقري للحركة الصهيونية، التي تعتمد استراتيجية استيطانية عدوانية للوصول الى هذا الهدف . ومن المعروف أن لا دولة بدون شعب، ولا استيطان بلا هجرة ، ولا كيان بلا مادة بشرية له هي المواطنين _ أو المستوطنين _ . إنها عملية بناء "جسم إنسان" من لحم ودم وعظم وشرايين وأعصاب، من دورة دموية وعمود فقري وقلب ...
ان هذا الضغط على "اليهود" أفرز ضغطاً على العرب ، وهجرة وتهجيراً من ارضهم التاريخية والجغرافية... الضغط يولد ضغطاً ... والهجرة تولد هجرة وتهجيراً ...

وهكذا كانت شولاكوهين من ألمع الأسماء النسائية اليهودية التي برعت في استخدام هذا الفن ، ونجحت في مهمتها هذه، ليس في لبنان

فقط، بل وفي معظم البلدان العربية التي تسلمت فيها من الموساد مسؤولية قيادة شبكة تهريب اليهود والاموال إلى فلسطين (١١)، مع العلم أنه صدر عنها في باريس منذ سنوات كتاب هام بعنوان "اللؤلؤة" (La Perle) .

وضعت شولاكوهين تحت مراقبة رجال الأمن العام اللبناني فترة من الوقت، إلى أن تمّ اعتقالها مع باقي أفراد الشبكة في منزلها بتاريخ ١٢آب ١٩٦١، وأثناء محاكمتها، اعترفت بنشاطها التجسسي من خلال تاجر يهودي فرنسي إسمه "جورج مولخو" ويقيم في لبنان. وقد صدر الحكم بسجنها عشرين عاماً ، حيث اهتزت أجهزة الموساد عندما علمت بما حصل لرئيسة وأعضاء عصابة التجسس ، باعتبار ان شولاكوهين كانت اهم واخطر عميلة لاسرائيل في الشرق الاوسط، وقد اضطر موشي دايان حينذاك أن يظهر على شاشة التلفزيون الاسرائيلي مهدّداً ومتوعداً بالثأر والانتقام قائلاً بأنه سيكون عقاب المخابرات اللبنانية عسيراً وقاسياً، بينما إستهزأ قادة المخابرات اللبنانية يومها من هذا التهديد الاسرائيلي (حيث كان الكولونيل أنطوان سعد رئيساً للمخابرات ، يساعده بعض الضباط من أمثال سامي الخطيب وغابي لحود وغيرهم) .

ونظراً للمكانة التي كانت تحتلها شولا كوهين لدى جهاز الموساد ، فقد تحيّن هذا الجهاز الفرصة الى أن وجدها أثناء قيام دورية من الجيش

اللبناني بمهمة تفتيش على الحدود ، وتتألف من ثلاثة ضباط ، فعمدت إسرائيل الى خطفهم وراحت تفاوض عليهم ، حيث جرى فيما بعد ، مبادلتهم بشولا كوهين ، التي استقرت في إسرائيل ، وتابعت عملها في الموساد ، حيث لعبت دوراً خطيراً أثناء الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢(١٢).بينما تذكر بعض المراجع الاخرى أن شولا كوهين تعيش في إسرائيل يائسة بعد أن تنكّروا لها وشتتوا عائلتها في طول البلاد وعرضها بدلاً من لَمّ شمل العائلة ، مما دفعها الى القول " ليتهم أعدموني في لبنان ولم أعد الى إسرائيل فكانوا يحوّلوني بذلك الى قدّيسة بعد موتي"(١٣).

يبقى أخيراً أن نقول بأن شبكات التجسس النسائية اليهودية عملت _ ولا تزال_ بمقولة الحاخام :" إن الذين يعملون ويناضلون من أجل الارض ، عليهم الاّ يغاروا على بناهم " (١٤) .

(١) د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف" الوجه الحقيقي للموساد " ص.٤٧.
وأيضاً كتاب : هاني الخَيِّر "أشهر الاغتيالات السياسية في العالم " . دار الكتاب العربي .دمشق ١٩٨٨. ص. ٢١٢_٢١٣.
كذلك : ديب علي حسن " المرأة الصهيونية " . المكتبة الثقافية. بيروت ١٩٩٥ ص ١٩٤

(٢) هاني الخيّر . المرجع السابق نفسه ص ٢١٣_٢١٤ .
وأيضاً : مجلة "الوطن العربي " العدد ٤٦٠ في ١٢كانون أول ١٩٨٥.
كذلك : غوردون طوماس "إنحطاط الموساد" ترجمة محمد معتوق . دار بيسان بيروت ٢٠٠٠ . ص. ١٤٢_ ١٤٣ .

(٣)هاني الخيّر . المرجع نفسه . ص. ٢١٢. كذلك كتاب : ميشال بارزوهار وأيتان هابر " الامير الاحمر " (كيف اغتالت الاجهزة السرية الاسرائيلية أبو حسن سلامة ؟" ترجمة فارس غصوب . دار المروج .بيروت ١٩٨٦. ص ٢١٧_٢٢٥.وأيمن العلوي " الجاسوسية الاسرائيلية تحت المهجر" . دار الرافد . لندن ١٩٩٣ ص.١٢٩_١٣٢.

(٤) فلاديمير ميخائيلوف " إرهابيو الموساد " دار التقدم . موسكو ١٩٨٧ ص.١٥٩_١٦٣.

(٥) أنظر ريتشارد ديكون عن " المخابرات الاسرائيلية " ص ٢٦و ٥٣١.

(٦) مجلة"الاسبوع العربي"(بيروت)العدد١٥٦١.في١١/٩/١٩٨٩ص٤-٩.
كذلك كتاب " عن طريق الخداع" لأوستروفسكي . المؤسسة العربية للدراسات .بيروت ص.٣٠٣.

(٧) أنظر كتاب : حاتم خوري "شولاكوهين أخطر جاسوسة إسرائيلية عرفها الشرق الاوسط". دار اليقظة للنشر ١٩٩٣.

(٨) مجلة "الصياد" (اللبنانية) . العدد ١٣٩٣ سنة ١٩٧٣. كذلك كتاب ديب علي حسن " المرأة الصهيونية " . مرجع سابق ص ١٨٦_١٨٧.

(٩) راجع كتاب:حاتم خوري"شولا كوهين"مرجع سابق ص.١٢٣و١ ١٣.

(١٠) المرجع نفسه ص.١٠.

(١١) راجع مذكرات شولا كوهين the pearl . _ Shula Code name by AVIEZER golam and Danny pinkes .Delacorte press , New york ١٩٨٠وأيضاً كتاب بدر الحاج" الجذور التاريخية للمشروع الصهيوني في لبنان".دار مصباح الفكر . بيروت ١٩٨٢. ص. ١٣٨.

(١٢) راجع كتاب : حاتم خوري . مرجع سابق ص. ٢٠٥_ ٢١٦.

(١٣) ديب علي حسن . مرجع سبق ذكره . ص. ١٨٦و ١٩٣.
وأيضاًكتاب أيمن العلوي " الجاسوسية الاسرائيلية تحت المهجر ". دار الرافد . لندن ١٩٩٣. ص. ١٢٩_١٣٢.

(١٤) جريدة " نداء الوطن" اللبنانية . العدد ١٨٣٥. ص. ١٠.في ٢١/ ١١/١٩٩٨.

الفصل الخامس

حرب تشرين
ومَفاجأة الإسرائيليين وذهولهم

تعتبر المعلومات عنصراً أساسياً في الحرب كما في السلم . وإذا كان من المهم جمع المعلومات ، فإن الاهم من المهم هو فهم هذه المعلومات ، وحسن إستخدامها في المكان المناسب والوقت المناسب. وفي أحيان كثيرة ، تؤدي كثرة المعلومات الى حالة من "الغرور والنشوة" لدى صاحبها... وهذا الغرور ، وهذه النشوة ، تدفعاه أحياناً الى حالة من " العمى" عما يجري في جبهة الخصم ، من خلال إعتماده يقينياً على " نظرة سابقة " و " تصوّر " يكاد يكون "استراتيجياً" عنده، فيقع في " فخ المفاجأة" ومصيدتها الكارثة. وهذا ما حصل مع جهاز المخابرات الاسرائيلية في أوقات مختلفة _ خاصة في حرب تشرين ١٩٧٣_. لذلك كانت الباحثة روبرتا وولستاتر على حق عندما قالت (في معرض الاشارة الى الهجوم الياباني المفاجيء ضد القوات الاميركية في بيرل هاربر) بأن " التقصير لم ينجم عن النقص في المعلومات ، بل في عدم فهم المعلومات ...

لذلك لا يوجد في كثرة المعلومات ، حتى الموثوقة منها أي ضمان لعدم الوقوع في مصيدة المفاجأة"(١) .

هذا ، وتؤكد الموسوعة العسكرية الاسرائيلية الخاصة بسلاح الاستخبارات ، بدورها "أن القاسم المشترك لفشل الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في حرب يوم الغفران ، والعدد من الامثلة التاريخية على فشل إستخبارات أجنبية هو : أن هذه الانتكاسات لم تأت عن قلّة المعلومات أو الدلائل المؤشّرة والمحذّرة ، وإنّما عن التقييم غير الصحيح لهذه المعلومات..." (٢) .

والجدير بالذكر، أن " الغرور الاستخباري الاسرائيلي" وصل الى حدّ عدم التمييز بين "الاشارة" و "الضجّة" (أو الهزّة)، في تعامله مع المعلومات المتعلقة بحرب تشرين ١٩٧٣، وهو ذاته الذي أدّى به الى تحميله مسؤولية "التقصير" الناجمة عن هذه الحرب ... يضاف الى ذلك ، عدم التنسيق الاستخباري بين "خبراء الاشارة" و "خبراء الضجة" (أو الهزّة) في هذه الاجهزة ، مما أوقعهم جميعاً في الفخ الواحد الذي نصب عربياً ببراعة فائقة ، مما ولّد "الذهول والمفاجأة" معاً داخل المجتمع الاسرائيلي (٣) .

وهكذا أثبتت حرب تشرين / أكتوبر ١٩٧٣، هشاشة بعض "المسلّمات" الاسرائيلية من جهة ، وقلب بعض " المفاهيم " على

الصعيد العربي ، التي كانت تعتبرها الاستخبارات العدوّة تدخل في باب " البديهيات " المسلّم بها لديها من جهة ثانية ، بعد أن أثبت المقاتل العربي قدرته على القتال عندما يتوفر له القرار السياسي بذلك ، وكذلك تفوّقه أيضاً على نظيره الاسرائيلي عبر جرأة وكفاءة نادرتين ، فاجأت العدو الصهيوني وحلفاءه من ناحية ، كما أذهلتهم من ناحية أخرى ، وأحدثت فيهم ما يشبه الصدمة الكهربائية ، والهزّة النفسية الكبيرة . وهذا ما أدى بدوره الى سقوط النظرية الاسرائيلية القائلة بـ " الفرق النوعي " بين الجندي الاسرائيلي والجندي العربي . وقد أقرّ رئيس الاركان الاسرائيلي يومها دافيد اليعازار بهذا الاعتراف ، ونجاح الجندي العربي نجاحاً منقطع النظير ، عبر مذكراته قائلاً : "... بعد أن بدأ جنودنا يهربون من الجبهة ، وكانوا يتعمّدون إتلاف معداتهم العسكرية وهم في طريقهم الى الجبهة ، وقبل أن يصلوا اليها ، وبعد أن انهارت الروح المعنوية للشعب في إسرائيل ... أود أن أقرّ قبل أن أنهي الكتابة عن هذه الأيام الطويلة ، والمريرة ، في تاريخنا ...أود أن أقرّ أن الجنود العرب قد نجحوا في إستخدام الاسلحة الالكترونية الحديثة ، وأنهم تقدموا تكتيكياً على إستخدام العتاد الحربي المتطور ... كما أنهم نجحوا في إخفاء إستعدادهم للحرب وموعد الهجوم ... بالإضافة الى نجاحهم استراتيجياً... حيث سيطروا على مناطق استراتيجية هامة في

سيناء... بالإضافة الى قناة السويس ، كما أنهم نجحوا في عبور القناة. وفي إتلاف أجهزة الإشعال على الضفة الشرقية... ولست أريد أن أتحدث عن الثغرة التي أحدثها جيشنا في الضفة الغربية من قناة السويس ، لأن رجل الشارع في إسرائيل أصبح يدرك تماماً أن معناها الوحيد أنها مصيدة نصبها الجيش المصري لاستمرار النزيف من شريان الدم الإسرائيلي ؟؟ وأخيراً... استخدموا سلاح البترول بمهارة ودّقة فائقتين... "(٤) .

فضلاً عن ذلك ، أن لجنة إغرانات (التي تشكلت بعد حرب تشرين والتي يطلق عليها الإسرائيليون إسم " حرب يوم الغفران ") " قررت بأن جهاز الإستخبارات (الإسرائيلية) هو مسؤول بدرجة كبيرة عن النجاح غير المتوقع الذي حققته مصر وسوريا في الأيام الأولى للحرب"(٥) .

وهذا النجاح سببه عنصر "المفاجأة" بجميع أشكالها وأساليبها ووسائلها ، ذلك لأن المفاجأة "هي عبارة عن إكتشاف مفاجىء وقاطع لعدم وجود تطابق بين التقدير ، والواقع" (٦) . وفي الوقت الذي يعترف فيه تسفي لنير (عميد إحتياط في الإستخبارات العسكرية) بأن "حرب يوم الغفران مفاجأة وذهول" للإسرائيليين كلهم ، فقد وصفها الجنرال دافيد اليعازر في مذكراته بأنها "زلزال مروّع وعاصفة مباغتة" (٧) .

والواقع ، أن لجنة اغرانات "قررت بأن مفاجأة حرب يوم الغفران حدثت بسبب أن شعبة الإستخبارات في الجيش الإسرائيلي كان لديها "تصوّر" خاطىء، بالنسبة لإفتراضين إستراتيجيين :

الأول : لن تخرج مصر للحرب ضد إسرائيل إلا إذا ضمنت لنفسها قدرة جوية على مهاجمة العمق الإسرائيلي ، وخاصة القواعد الجوية الرئيسية في إسرائيل ، بهدف شلّ قدرة سلاح الجو الإسرائيلي.

الثاني :"لن تبدأ سوريا بشنّ هجوم واسع على إسرائيل إلا بالإشتراك مع مصر في آن واحد" (٨) .

وعلى هذا الأساس ، كان تقدير الإستخبارات الإسرائيلية في هذه المرة ، بأن إمكانية الحرب قليلة"(٩).

وإذا تساءلنا عن السبب الكامن في هذا "التصوّر الخاطىء" للإستخبارات الاسرائيلية ، فإننا نجد بأن ذلك يعود الى أن الكيان الصهيوني "رسّخ بعد سلسلة حروب إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨ وحتى يوم حرب تشرين ، في ذهن المجتمع الإسرائيلي إعتقادين :

الأول أن أمن إسرائيل يضمن بالوسائل العسكرية ، وليس السياسية.

والثاني أن كل مجابهة عسكرية مع العرب ، ستنتهي بتعزيز الأمن الإسرائيلي...

ولقد أدت حرب تشرين الى إنهيار هذين الإعتقادين تماماً .
وأثارت من جديد، وبشكل بارز ، الشعور بعدم ضمان إسرائيل .
إن أحد الدروس التي تعلمها الإسرائيليون من تجاربهم في حروبهم مع الدول العربية ، هو عدم قدرة إسرائيل على ترجمة إنجازاتها العسكريةالى مكاسب سياسية دائمة ... لقد كانت حرب يوم الغفران تجديداً بالمقارنة مع سلسلة حروب إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨ (التي يطلق عليها الإسرائيليون إسم "حرب الإستقلال") .

وهذه هي المرة الأولى التي يجد فيها الجيش الإسرائيلي نفسه متورطاً في حرب بدأت بكامل قوة العدو... ومن المحتمل أن لا يكون لها مثيل بالنسبة للشعب الإسرائيلي من حيث قوة تأثيرها... " (١٠).

لقد كانت حرب تشرين فعلاً ، من أهم المفاجآت التي حملت كابوس "الكارثة" بالنسبة للمسؤولين الأمنيين والعسكريين والسياسيين الإسرائيليين ، حيث انهار أثناءها ، وبكى أيضاً ، عدد من غلاة العسكريين الصهيونيين من أمثال موشي دايان وحاييم بارليف ، وكذلك من السياسيين من أمثال غولدا مائير وغيرهم ... وهذا ما عبرّ عنه أفضل تعبير رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي الجنرال دافيد اليعازر يومها _ الذي اعتبر نفسه كبش محرقة _ في مذكراته ، لأنها بالفعل " كانت تلك أول حرب ، بلغ فيها تدمير القوات هذا المستوى العالي ، الى درجة جعلت الحكومة الإسرائيلية

تقرّر في اليوم الثالث للحرب أنه بدون وصول شحنات أسلحة أميركية وقطع غيار ، لن تستطيع إسرائيل مواصلة الحرب . كانت تلك حرب إستخدم فيها السلاح الإقتصادي ،سلاح النفط، بشكل ضعضغ التأييد الدولي لإسرائيل، وكما اتضح فيما بعد ، التأييد الأميركي لإسرائيل أيضاً"(١١)_على حد قول لنير_.

على ضوء ذلك ، كتب دافيد اليعازر في مذكراته عن "مكالمة أطول من الدهر" بين الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون ، ورئيسة وزراء العدو غولدا مائير ، طلبت فيها غولدا مائير أحدث الأجهزة الألكترونية والطائرات والدبابات وغيرها ... فكان ردّ الرئيس نيكسون عليها قائلاً :

" سوف يأتيكم أكثر مما تتوقعون ... لكن عليكم أن تتجنبوا الخسائر البشرية ... حتى لا نضطر الى التدخل بصفة علنية ، وذلك بإرسال قوات أميركية ... لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي لا نستطيع أن نعبئه في صناديق ونرسله اليكم ... " (١٢) .

إن حرب تشرين ١٩٧٣ قلبت المقاييس والخطط : فالعرب وقّتوا والعرب هاجموا ... والإسرائيليون كانوا في موقع "المفاجأة" ، عكس كل المرات السابقة ... والدفاع أمر قاتل ومرير بالنسبة للإسرائيليين ... لقد أسقطت حرب تشرين الهالة المنسوجة حول "آلهة"الحرب الإسرائيليين ، كما أحدثت تغييراً هائلاً في نظرة الإسرائيليين والمجتمع

الإسرائيلي بمختلف فئاته تجاه القيادة السياسية والعسكرية والأمنية لدولة الإحتلال . بمعنى إنهيار الروح المعنوية فيها ... وفي الوقت نفسه ، فقد هزّت هذه الحرب جهاز الموساد بكل تركيبته وهيكليته، وزعزعت ثقته بنفسه من ناحية،وثقة الإسرائيليين به من ناحية ثانية .

واللافت للنظر، أن فشل المخابرات الإسرائيلية في حرب تشرين أدى الى تحطيم إسطورة " الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ". وقد عبّر العميد تسفي لنير عن هذا الواقع أصدق تعبير عندما قال :
في يوم الغفران إنهار الإيمان بأن الجيش الإسرائيلي يمثل "هدب العين" داخل المجتمع الإسرائيلي ... وظهر على حقيقته كأنه شرنقة تتداعى أمام أدنى درجات التنسيق العربي ..."(١٣).

وبدوره ، عبّر الجنرال دافيد اليعازر عن ذلك قائلاً : " لقد إبتلعنا الطعم الأول في خطة الخداع (المصرية السورية) . وبقدر ذكاء خطة الخداع هذه ، كان القصور في جهاز مخابراتنا " (١٤) .
وحسب ما ذكره اليعازار أيضاً في مذكراته عن بعض الصحفيين الإسرائيليين قولهم : "إن هذه الحرب كانت أقسى حرب شهدها إسرائيل على مدى تاريخها " (١٥) ... ولقد نسفت بالفعل الاوهام الإسرائيلية ، والثقة الفائقة بالنفس ، وأكدت للعالم كله _ ومن قبله

للإسرائيليين وقادهم الأمنيين تحديداً _ أن الإستخبارات العسكرية والموساد يخطيء كغيره من الأجهزة الإخرى .

إضافة لذلك ، يعترف الجنرال اليعازر أيضاً أن رئيس الإستخبارات الإسرائيلية ايلي زعيرا كان مقتنعاً بأن المصريين عاجزون عن شنّ أيّة حرب ضد إسرائيل لأهم مقتنعون بأهم سيهزمون هزيمة ساحقة ... وقد كان الجنرال موشي دايان موافقاً لرأي ايلي زعيرا (١٦) . لقد كان "الغرور" راكباً رأس بعض القادة الإسرائيليين _ ومنهم بالطبع دايان وزعيرا_ حيث كانت "نزعة التخليد" هي التي تفعل فعلها في نفوس هؤلاء ، باعتبار أن موشي دايان مثلاً "كان يحلم بعمل يخلّد إسمه الى الأبد " (على غرار الجنرال حاييم بارليف وخطه الدفاعي الذي أطلق عليه إسمه). وقد كان دايان يعبّر عن هذا الحلم بخريطته العسكرية التي رسمها بخط يده، والتي كان يحملها في حقيبته تحت إسم "الحزام العسكري الأسود" . وبتحقيق حلم الحزام الأسود يتغير إسمه الى "حزام دايان" (١٧) . إلا أن حرب تشرين ، واندلاعها بالشكل الذي اندلعت فيه، أدّت فيما بعد الى مشادة عنيفة بين الجنرالين موشي دايان وايلي زعيرا ، بعد أن حّمل دايان لزعيرا مسؤولية ما حدث، وبنفس الحدّة حّمل زعيرا لدايان والمسؤولين الآخرين تلك المسؤولية (١٨).

ويعلّق دافيد اليعازر على "حلم موشي دايان وخارطته العسكرية لخلق إسرائيل الآمنة الى الأبد ، وجعل حدودها مع العرب قوية وحصينة ، لا يخترقها الهواء"،بالقول :" لقد كان دايان يفكر كما لو أن العرب غير موجودين،أو انهم انتهوا الى الابد...أو كما كان يردّد دائماً:الجسد الميت لا يحتاج ابداً الى أن نقيم له حسابات" (١٩) .

في هذا الاطار ، تبدو شهادة ابنة موشي دايان ، يائيل دايان ، مهمة جداً ، عندما تقول : " ان الحروب السابقة التي خضناها ضد العرب ، كانت توحّدنا ؛ وحدها ، حرب يوم الغفران ، فرّقت صفوفنا ، وطرحت علينا أسئلة هزّت المجتمع الاسرائيلي ، وأفقدته توازنه . لماذا جرى ما جرى ؟ كيف حصل ؟ من المسؤول ؟ الدماء التي نزفت على الجبهات من يعوّض عنها ؟ كنا نظن أننا في حدود آمنة ، والعرب مهزومون جداً ، فمن وضعنا في أيام قليلة ، أمام الخطر ؟" (٢٠) .

أسئلة ابنة موشي دايان هذه ، جاءت في كتاب بعنوان " أبي" ، جاءت عندما كانت تساعد المصابين والجرحى في المستشفيات . وكانت أسئلة مكتومة في صدرها وفي عيون من تراه الى جانبها . ولكن عندما انتهت الحرب ، رأت كل الاجابات في طريقة والدها في الكلام ...

تقول :" كان أبي ضحية ... نبرة صوته تغيرت ... لم يعد فيه حياة ... أين ابتسامته ؟ لماذا تغير ؟ كلما حدثته عن نفسه وعن العائلة وعن زوجته كان يجيبني عن تقرير" أغرانات " وعن المسؤولية(٢١). هكذا يبدو ، أن يائيل دايان كانت مقتنعة _ كأبيها وكجميع المغرورين في دولة الاحتلال الصهيوني _ بأن العرب مهزومون الى الابد ... وهذا ما يدل دلالة واضحة على أنهم جميعاً كانوا يجهلون تماماً ما كان يردّده دائماً صديقهم الحميم ، وزير الخارجية الاميركية الاسبق ، هنري كيسنجر ، حيث كان يقول :" إن اليد التي تظنّها ضعيفة ، تصيبك بالعمى إذا وصلت الى عينيك".

أليس هذا التعبير هو ما يصوّر تصويراً حياً حالة "العمى الاسرائيلية " بعد أن وصلت اليد العربية الى "عين إسرائيل " والى كل أعضائها في حرب تشرين ؟ أليس هذا ما دفع برئيس دولة الاحتلال يومها (الذي كان في مقر القيادة مع موشي دايان واليعازر وغيرهم) أن يغادر المقر صارخاً في وجوههم بعصبية : " إدفعوا الآن ثمن غروركم وسوء تقديركم واسترخائكم ؟" (٢٢) .

هذا،وبالاضافة الى "العقدة"التي اصيب بها كثيرون من المسؤولين الاسرائيليين والمسمّاة بـ" عقدة خليج بيرل هاربر "(٢٣) ، فقد انتشر ،بعد حرب تشرين ، في عقول وقلوب واجساد القادة

الاسرائيليين وجنودهم ـ من مختلف الفئات والمراتب والوظائف على انواعها ـ ما يمكن تشبيهه بـ "ورم خبيث " هو "ورم الثقة" و"ورم الخوف الدائم" ، الذي لم يعرفوه من قبل ... ولا يزال هذا الورم يتفاقم يوماً بعد يوم من جراء الهزائم المتوالية التي يمنى بها جهاز المخابرات الاسرائيلية والجيش الاسرائيلي (خصوصاً إثر الاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢ وبروز جبهة المقاومة الوطنية والاسلامية ...). ولكن عقدة "الغرور والاستعلاء والتفوق " التي يتميز بها قادة الأمن الاسرائيلي (والموساد خاصة) تجعلهم في موقع ينقصهم فيه " الجرأة والقدرة " على الاعتراف بهذا " الورم " الذي يتسلّل الى كل مفاصلهم ، بل أصبح يعيش مع الدم ويسري في عروقهم ...

والحقيقة أن دولة الاحتلال الصهيوني ، التي قامت عل أرض فلسطين العربية، فوق أكوام من الجثث والدمار والمجازر ، ليست دولة سلام ، ولا يمكن أن تكون ... إنها دولة حرب بكل ما في هذه الكلمة من معنى ... إنها مجتمع حربي ، وثكنة عسكرية قائمة بذاتها ؛ انها دولة المدنيين العسكريين والعسكريين المدنيين بمختلف صورها ووجوهها ... إنها دولة سيطرة بالقوة ، وقوة بالسيطرة ...

لذلك فإننا لا نستغرب أن نجد بعض مسؤوليها يدعو الى السيطرة عبر الاقتصاد ، واقامة "سلام اقتصادي" ، بينما يعارض البعض

الآخر ذلك داعياً الى "سلام القوة". ويتمثل هذا النموذج مثلاً بكل من ناحوم غولدمان(الذي يسمّى الاب الرابع لإسرائيل) الذي يقول:"بأن السلام الاقتصادي هو أكثر ضماناً لبقاء اسرائيل"، بينما يقول موشي دايان :" اني لا أرضى إلا بسلام القوة ... الذي يحقق لإسرائيل الحدود الآمنة ... فيجب أن تكون لنا أنيابنا . وهذه الأنياب عسكرية واقتصادية وجغرافية ... والناب الاول . أي الناب العسكري يحقق الانياب الأخرى ... " (٢٤) .

ولعل تحقيقات لجنة أغرانات ، ونتائجها وتوصياتها ، بهذا الشأن، والتي أدّت الى إقامة وعزل بعض المسؤولين المخابراتيين وكبار العسكريين الاسرائيليين،تشكل دليلاً قاطعاً على " التقصير " و "الفشل" اللذين أدّيا الى "فضيحة " بالنسبة "للسوبرمانية" الاستخبارية الاسرائيلية ، حتى وصلت الامور الى حدّ إطلاق بعض العبارات الجارحة والمهينة على قيادة هذه الاجهزة الاستخبارية كقولهم مثلاً :" قيادة الاستخبارات العفنة... " وغيرها ...

فبعد توقف الحرب ، عمدت القيادة الاسرائيلية الى عملية تقييم شاملة لما جرى ، وشكلت لهذه الغاية لجنة خاصة مهمتها تحديد مسؤولية "التقصير" ، عرفت فيما بعد بـــ"لجنة اغرانات".

كانت هذه اللجنة برئاسة الدكتور " شمعون اغرانات" رئيس المحكمة العليا ، وعضوية " موشي لاندوا" قاضي المحكمة العليا ، والدكتور

"يتسحاق تفنشال " مراقب حسابات الدولة ، واللواء الاحتياط "يغال يادين " أستاذ بالجامعة العبرية ، واللواء الاحتياط " حاييم لاسكوف " مفوّض شكاوى الجنود . وجاء في تقرير هذه اللجنة ما يلي : " لقد تركت حرب يوم الغفران جروحاً عميقة في جسم الاستخبارات العسكرية ؛ فقد اعتبرت الاستخبارات العسكرية المسؤولة الاولى عن الفشل في التنبّؤ بوقوع الحرب...

ومما لا شك فيه أن هذه كانت أكبر صدمة تصيب الاستخبارات العسكرية منذ أواسط الخمسينات . لقد برزت آثار هذه الازمة التي طرأت في الاستخبارات في المجال الشخصي ، حيث أبعد أربعة من كبار ضباط الاستخبارات في أعقاب لجنة اغرانات وهم رئيس الاستخبارات ، ومساعد رئيس الاستخبارات لشؤون التقييم ، ورئيس المقعد المصري في دائرة الابحاث ، وضابط الاستخبارات في القيادة الجنوبية ؛ وكل ذلك أبرز الحاجة الى ملء المناصب التي أصبحت شاغرة بأسرع وقت ممكن (٢٥).

من هنا يبدو ، أن الموسوعة العسكرية الاسرائيلية الخاصة بسلاح الاستخبارات ، لم تتطرق الى أسماء هؤلاء الضباط المخابراتيين ، لذلك ، نجد أن من أولى واجباتنا التنقيب عن هذه الاسماء ، وتحديدها بالضبط ، ليصبح القارىء على بيّنة من ذلك .

على هذا الاساس ، تتوضح أمامنا الحقائق التالية في هذا الصدد :

١ـ العميد " الياهو زعيرا " (أو ايلي زعيرا) . مدير الاستخبارات العسكرية . عيّن مكانه"شلومو غازيت " الذي رقيّ الى رتبة لواء في اول كانون الثاني ١٩٧٣. وأصبح منذ الثالث من نيسان ١٩٧٤ رئيساً للاستخبارات العسكرية وبالتالي عضواً في هيئة الاركان العامة.

٢ـ "أرييه شاليف" مدير شعبة الابحاث في مديرية الاستخبارات حيث عيّن مكانه العميد " يشعياهو رافيف" الذي أصبح عضو لجنة التنسيق العليا لأجهزة الاستخبارات الاسرائيلية .

٣ـ المقّدم " يونا بندمان " رئيس قسم مصر في شعبة الابحاث .

٤ـ المقدّم"دافيد غيداليا"رئيس فرع الاستخبارات في قيادة المنطقة الجنوبية.عيّن مكانه الكولونيل"تسفي شاليف"الذي كان يشغل منصب ضابط الاستخبارات في قيادة القوات المدرعة في سينا"(٢٦)

والواقع ،أن التغيرات في زعامة سلاح الاستخبارات صعّدت من حدّة الازمة النفسية التي يعاني منها ضباط الاستخبارات بسبب حرب " يوم الغفران " هذا و " كان موقف وداع العميد زعيرا موقفاً صعباً جداً ، فقد قال أحد الضباط لرئيس الاستخبارات زعيرا، إننا لم نجد قائداً مثلك في الاحوال الصعبة " (٢٧) ... لقد بلغ الامر بالإستخفاف بقيادة المخابرات الاسرائيلية ، كما تبين ،

حداً خطيراً ، قلّما عرفته هذه الاستخبارات من قبل ، أو بالأحرى لم تتصّور مرّة في تاريخها أنها ستصل الى ما وصلت اليه ، باعتبار أن عقدة "الغرور" كانت بمثابة الساتر الاسود الذي منعها من الرؤية الواضحة للأمور ، فوقعت في حفرة كانت من عمل يدها هي ، (ولكن ليس على قاعدة "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها " ،لأن اليهود والصهاينة لم يكونوا أخوة لنا وتاريخهم الطويل خير شاهد على ذلك) .

هذا ، ومن المتوقع أن يتبادر الى ذهن القارىء سؤال جوهري يقول : من هم صنّاع القرار في حرب تشرين ؟ . لذلك نجد لزاماً علينا أن نوضح الصورة على حقيقتها .

فعلى ضوء الوثائق المتعلقة بهذه الحرب ، نرى أن صانعي قرار حرب تشرين ، إن كان في مصر أو في سوريا ، أو في دولة الاحتلال الصهيوني ، كانوا على الشكل التالي :

ـ على صعيد الادارة المصرية لحرب تشرين ، فقد تركز القرار السياسي العسكري بين الرئيس أنور السادات يعاونه في إدارة الحركة سياسياً كل من مستشاره للأمن القومي حافظ إسماعيل ، ووزير الخارجية محمد حسن الزيّات ، ومستشار السادات للشؤون

السياسية الدكتور أسامة الباز ، ومحمد حسنين هيكل ، وأشرف غربال ، واسماعيل فهمي .

وأما القيادة العسكرية فكانت قد تشكلت في غرفة العمليات من وزير الحربية المشير أحمدِ اسماعيل ، ورئيس دائرة العمليات المشير عبد الغني الجمسي ، ورئيس أركان حرب القوات المسلحة الفريق سعد الدين الشاذلي ، ومدير سلاح المدرعات الفريق كمال حسن علي ، وقائد الجيش الثاني اللواء فؤاد عزيز غالي ، والمشرف على عمليات العبور الفريق سعد مأمون ، وقائد القوات الجوية حسني مبارك ، وقائد سلاح المدفعية محمد عبد الحليم أبو غزالة ، وقائد المخابرات فؤاد نصار،ويوسف عقيقي(أحد قادة الجيش الثالث).

(وتجدر الاشارة هنا بالدور الكبير والمهمة العظيمة التي قام بها المناضل رأفت الهجّان في هذا الاطار من خلال المعلومات القيّمة التي زوّد بها المخابرات المصرية ، وكانت عاملاً في إحداث "الذهول" و "المفاجأة " للإسرائليين في هذه الحرب) .

_ أما غرفة العمليات السورية ، فقد تشكلت في دمشق القيادة السياسية العسكرية خلال حرب تشرين من : الرئيس حافظ الاسد، ووزير الخارجية عبد الحليم خدام ، ووزير الدفاع اللواء مصطفى طلاس ، ورئيس هيئة أركان الحرب اللواء يوسف شكور، وقائد القوات الجوية اللواء ناجي جميل ، ومدير المخابرات اللواء حكمت

الشهابي ، ورئيس هيئة العمليات اللواء عبد الرزاق الدرديري ، وقائد القوات البحرية العميد فضل حسين .

_ أما في دولة الاحتلال الصهيوني ، فقد كان صنّاع القرار السياسي والعسكري، وطبقاً للدراسة التي قام بها الدكتور " مايكل بريشر " ، أستاذ العلوم السياسية في الولايات المتحدة ، إمرأة واحدة هي رئيسة الوزراء غولدا مائير ، ووراءها عشرة رجال هم: وزير الدفاع موشي دايان ، نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالي الجنرال ييغال آلون، وزير الدولة يزرائيل غاليلي ، رئيس الأركان دافيد اليعازر، مدير المخابرات العسكرية الياهوزعيرا رئيس الابحاث والتقديرات، في المخابرات الجنرال ايلي شاليف ، قائد الطيران بنيامين بيليد ، نائب رئيس الاركان الجنرال يزرائيل طال،مسؤول القيادة الشمالية الجنرال هوفي،ومدير مكتب رئيسة الوزراء الجنرال مردخاي غازيت.

أما من الاسماء التي برزت في الجانب الاسرائيلي خلال حرب تشرين ، نذكر منهم أيضاً : السفير الاسرائيلي في واشنطن سيمحا دينتز ، وقائد المجموعة الاسرائيلية التي نفذت عملية الثغرة في منطقة دفرسوار الجنرال أرييل شارون (٢٨).

الهوامش

(١) تسفي لنير "أزمة الاستخبارات الاسرائيلية " . اعداد قسم الدراسات في دار الجليل للنشر . عمّان / الاردن . الطبعة الاولى ١٩٨٦. ص. ٩٩.

وكذلك :" الموسوعة العسكرية الاسرائيلية / سلاح الاستخبارات " لمؤلفه عودد غرانوت . ترجمة دار الجليل . عمّان / الاردن . الطبعة الاولى ١٩٨٨. ص.١٤٥.

(٢) عودد غرانوت " الموسوعة العسكرية الاسرائيلية / سلاح الاستخبارات " المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣)تسفي لنير " أزمة الاستخبارات الاسرائيلية . ص.٥١.

(٤)" من مذكرات جنرال دافيد اليعازر ". تعريب رفعت فودة . دار المعارف .القاهرة ١٩٧٩. ص.١٤٦_١٥٠.

(٥)تسفي لنير . مرجع سبق ذكره ص.١٥.

(٦)المرجع السابق نفسه . ص ٨٨.

(٧)من مذكرات جنرال دافيد اليعازر . مرجع سبق ذكره . ص ٣.

(٨)تسفي لنير . مرجع سبق ذكره . ص ٤٨. وكذلك : الموسوعة العسكرية الاسرائيلية / سلاح الاستخبارات .ص ١٤٦_ ١٤٧.

(٩)تسفي لنير . مرجع سبق ذكره . ص١٠٠ .

(١٠)المرجع السابق نفسه . ص ٥١_٥٢ و ٦٣ و ٨٦.

(١١)المرجع نفسه . ص ٨١.

(١٢)من مذكرات جنرال دافيد اليعازر ... ص ١٣٩_ ١٤٠.

(١٣)تسفي لنير في كلمة الغلاف الأخير لكتابه "أزمة الإستخبارات العسكرية".

(١٤)من مذكرات جنرال دافيد اليعازر .. ص ٩١.

(١٥) المرجع السابق نفسه . ص ٤٣.

(١٦) المرجع نفسه . ص ٤٧_٤٨.

(١٧) المرجع نفسه . ص ٥٦_٥٨.

(١٨) المرجع نفسه . ص ١١٧_١١٨.

(١٩) المرجع نفسه . ص ٥٨.

(٢٠) أنظر الملحق الخاص لجريدة " السفير " حول" حرب تشرين المغدورة " . الثلاثاء في ٦ تشرين الاول ١٩٩٨. ص ١٠.

(٢١) المرجع السابق نفسه . والصفحة نفسها .

(٢٢) من مذكرات جنرال دافيد اليعازر . ص١٢٢.

(٢٣) الموسوعة العسكرية الاسرائيلية / سلاح الاستخبارات . ص ١٦١.

(٢٤) من مذكرات جنرال دافيد اليعازر .. ص ٨١_٨٢.

(٢٥) عودد غرانوت " الموسوعة العسكرية الاسرائيلية ص ١٦٠ _١٦١

(٢٦) د. صالح زهر الدين " المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية ". المركز العربي للابحاث والتوثيق . بيروت . الطبعة الاولى ١٩٨٥. ص١٢١_١٢٢.

وكذلك :" المجلة العسكرية" (تصدرها مديرية التدريب العسكري في وزارة الدفاع العراقية) بغداد . العدد الثالث . السنة ٥١ . تموز ١٩٧٤. ص ٧٢.

_ ونزار عمار " الاستخبارات الاسرائيلية ". المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٧٦. ص ٢٢٧_٢٢٩ و٢٣٩_٢٤١.

(٢٧) عودد غرانوت " الموسوعة العسكرية الاسرائيلية / سلاح الإستخبارات" ص ١٦١.

(٢٨) راجع " الملحق الخاص " لجريدة " السفير "(حرب تشرين .. المغدورة).الثلاثاء في ٦ تشرين الاول ١٩٩٨. ص ٦.

الفصل السادس

عملية أنصارية والفشل الموسادي الفظيع

كثيراً ما يؤدي الغرور لدى البعض وتصوراته الخاطئة إلى كوارث لم تكن في الحسبان عنده . وهذا ماينطبق بشكل كبير على العقلية العسكرية الاسرائيلية والموسادية تجاه لبنان، وفق منظور سابق يتمثل باعتبار هذا اللبنان بمثابة "الحلقة الأضعف" في السلسلة العربية ، والتي يمكن من خلالها تحقيق ما لا يستطاع تحقيقه على جبهات عربية اخرى ؛ وعلى اساس هذا الاعتبار، ساد اعتقاد اسرائيلي عام تمثل في مقولة أخذت طابع "المسلمات البديهيات" مفادها ان الحرب في لبنان هي "نزهه" أو "رحلة ترفيهية" أو "عمل سياحي" من نوع خاص... مع العلم ان الوصول بالامور الى هذا الحد من "إلغاء الآخر" إلغاءً تاماً ، وكأنه جسد ميت، غير مدفون، في كل الاوقات والاماكن ، يعتبر"الغرور القاتل" في قاموس الحروب والعمل العسكري ... وقد دفعت القوات الاسرائيلية والموساد ثمناً باهظاً "لغرورها " هذا في لبنان ، في أكثر من موقع ، وفي أكثر من مرة ... ولعل عملية أنصارية في جنوب لبنان ، في الخامس من شهر أيلول ١٩٩٧، هي النموذج الحيّ على مهزلة "السوبرمانية" العسكرية

الاسرائيلية والموسادية على حد سواء، وكأن العبر والدروس التي يجب استخلاصها من الاحداث والتجارب ، لا وجود لها في قاموس جهاز الاستخبارات الاسرائيلية والعقلية العسكرية الاسرائيلية ، وذلك تلافياً لأي "خلل" أو "زعزعة" في الايمان العميق "بأسطورية" الاجهزة العسكرية الاسرائيلية وموسادها لدى فئات المجتمع الاسرائيلي من ناحية ، ولدى اوساط يهود العالم من ناحية ثانية ، مما يؤدي الى حالة من "الشك "اليهودي، تطال كل شيء ، ولا ينحصر تأثيرها بشيء محدد ... فتكون الكارثة ... التي يجب ان لا تقع ـ بنظرهم ـ .

والواقع انه، في الخامس من شهر ايلول / سبتمبر ١٩٩٧ ، وبالتحديد عند الساعة الواحدة إلا ربعاً ليلاً ، دوى انفجار كبير في قرية "انصارية" في الجنوب اللبناني ، تلاه سلسلة انفجارات اقل قوة من الانفجار الاول، وارتفعت ألسنة النار. وبعد دقائق قليلة إنطلقت الرشاشات والاسلحة الخفيفة في منطقة انصارية لتبدأ معركة عنيفة بين الطوافات الاسرائيلية والمقاومين في الجنوب من رجال المقاومة الوطنية والاسلامية والجيش اللبناني هناك، لم تعرف تفاصيلها إلا بعد مرور ساعات على وقوعها.

وذلك ان وحدة من رجال الكوماندوس الاسرائيلي، تابعة للبحرية ، اقتربت من الشاطىء ثم استعمل عناصرها اجهزة غطس

ليصلوا الى الشاطيء، ثم سلكوا سيراً على الاقدام طريقاً باتجاه بلدة انصارية، وهم يحملون عبوات للتفجير وأسلحة رشاشة ، دون ان يعرف بالضبط ما هو الهدف المقصود من هذه العملية ، حيث تضاربت الآراء حول إمكانية نسف مركز للمقاومة الاسلامية ، أو خطف مسؤول أمني أو عسكري، أو القضاء على مجموعة قادة دفعة واحدة، الخ ... وعلى ما يبدو ، ان عبوة زرعها المقاومون انفجرت، وأدت الى تفجير العبوات التي كان يحملها الجنود الاسرائيليون ، الذين كلفوا من جهاز الموساد الارهابي ، وبتخطيط منه، بالتوجه الى الاراضي اللبنانية، تحت جنح الظلام، والى قرية انصارية تحديداً، لكنهم فوجئوا بيقظة المقاومة الوطنية والاسلامية اللبنانية ، وتصديها البطولي للمجموعة الاسرائيلية وإبادتها، كعنوان عريض لفشل ذريع لها وقاس في الوقت نفسه ، قلما ان عرفت مثيله في عملية مشابهة من هذا النوع .

لقد خرجت القوة الاسرائيلية على متن سفينة صاروخية (ساطيل)، وكانت عبارة عن مجموعتين، الاولى للتنفيذ، وهي مؤلفة من ستة عشر شخصاً ، والاخرى هي مجموعة انقاذ وإخلاء، بقيادة ضابط برتبة عقيد . أما مجموعة التنفيذ فكانت بقيادة ضابط برتبة مقدم يدعى " يوسف كوركين " ، يساعده الرائد "إسحاق بن طوف" والنقيب "رام لونيم" والنقيب "تسفي كروسمان"

والنقيب "راز تيف" ، ومجموعة من ضباط الصف . وكانت النتيجة مقتل احد عشر جندياً وضابطاً، وجرح أربع.

أما في مجموعة الانقاذ والاخلاء ، فقد قتل طبيب برتبة رائد، وجرح ممرض، وأصيب جسم الطائرة الحوامة بأضرار طفيفة ، إعترفت السلطات الاسرائيلية باصابتها قائلة إنها تمكنت من الوصول الى قاعدتها بسلام. وقد عرض التلفزيون الاسرائيلي صوراً لهذه الطائرة الهليكوبتر من طراز "بيسعور" وقد اصيبت بشظايا قذيفة هاون اثناء عملية إخلاء الجرحى .

وفي اليوم التالي، كانت ردة الفعل الاسرائيلية عنيفة على هذه العملية التي تمثل "قمة الفشل والاخفاق" على الصعيد العسكري والامني والاستخباري الاسرائيلي . وقد سارعت الصحافة الاسرائيلية ، على غير عادتها ، بنشر المعلومات الكاملة عن العملية، وشنت هجوماً صارخاً على حكومة بنيامين نتنياهو ، وعلى الاجهزة الاستخبارية الفاشلة، واعتبر بعضها أن لبنان بات "لعنة على رؤوس الصهاينة" (١) .

أما من جهته، فقد أعلن بنيامين نتنياهو، رئيس الحكومة الاسرائيلية ، بعد اجتماع للمجلس الامني في مكتبه "أن الوحدة المختارة في سلاح البحرية، دخلت لبنان لتنفيذ عملية معينة، ولكن حدثت مأساة . إنها واحدة من اسوأ المآسي التي واجهتنا" .

وأضاف :"ليست هذه العملية الاولى من نوعها، فنحن نقوم بعمليات كهذه منذ عشرات السنين، وشاركت انا في بعضها في حينه"(مشيراً الى انتمائه هو ايضاً الى وحدة كوماندوس عندما خدم في الجيش).

وزاد قائلاً:"وقعت مآسٍ في الآونة الأخيرة وسنفحص تفاصيل ما حدث جيداً ونستخلص دروساً،ولكن ما دامت هناك عمليات عدائية ضدنا من جنوب لبنان،فإن النتيجة واحدة لا تتغير" (٢).

وفي مكان آخر، يقول نتنياهو بأن هذه العملية "واحدة من اسوأ المآسي التي واجهناها . ولست أبالغ اذا قلت باننا فقدنا بعض افضل جنودنا " .

أضاف : "لقد ذهبت وحدة الى هناك ، وفي مثل هذه الحالات هناك دائماً خطر حصول شيء رهيب. لقد سبق وحصل العديد من المآسي لكنني لم أر مأساة من هذا النوع " (٣) . لذلك فقد اعتبر نتنياهو في بيان له بتاريخ ١٩٩٧/٩/٥، ان هذا اليوم هو يوم حزن مزدوج للاسرائيليين ...

هذا ، وكان العنصر الاسرائيلي الوحيد الذي نجا من الموت في هذه العملية قد قال: " لقد كان المكان خالياً مئة بالمئة ، وبشكل مفاجيء ، حدث ما حدث ، وشعرنا أننا في كومة من النار ؛ وهذا

العنصر هو الذي اتصل مع مجموعة الانقاذ فوراً " . وعندما سئل كيف حدث ذلك أجاب : " أنا كنت في المقدمة أستطلع المكان بعيداً عن المجموعة ، ولقد سبقتهم وجلست لأستريح تحت شجرة أنتظر وصول القائد " (٤) .

أمام هذا الواقع المرير، عقد وزير الدفاع الاسرائيلي اجتماعاً طارئاً مع رئيس الأركان ، بحضور عدد من ضباط الاستخبارات والموساد والشرطة ، وتم تشكيل طاقم عمليات ومراقبة ، ثم توجه الجميع الى قاعدة جوية قريبة لمتابعة العملية ...

وبالرغم من كل الاجراءات التي اتخذها السلطات الاسرائيلية ، وعلى مختلف الصعد ، فقد منيت بهزيمة أخرى أيضاً عندما قتل طبيب قوة الانقاذ ومساعده . هذا في الوقت الذي كانت فيه أوامر وزير الدفاع اسحق مردخاي لقوات الانقاذ تقول : " لا عودة لكم إلا مع الجثة المفقودة "... ولكن دون جدوى ، حيث كان النهار قد بدأ يشق طريقه وسط الظلام ، فكان القرار عندئذٍ بمغادرة المنطقة ، حيث تم سحب المجموعة على متن حوامة (بلاك هوك) ، وكانت الساعة قد قاربت الرابعة والنصف صباحاً .

بعد ذلك ، وصل جنود الجيش اللبناني ، وعناصر المقاومة الوطنية والاسلامية الى مكان العملية ، وأجروا عملية تمشيط خلف قوات

الاحتلال خوفاً من وجود ألغام وعبوات ناسفة موقوتة ، وقاموا أيضاً بجمع العتاد والاجهزة ، وتم العثور على الجثة الوحيدة للمدعو "اينمار الياهو " . وعلى الشاطىء وجدت بعض الاعتدة والاجهزة التي استخدمها جنود العدو في أثناء العملية ، وتم عرض بعض هذه الموجودات على الصحافة العالمية وعبر الاجهزة المرئية ، في حين احتفظ " حزب الله " بمستندات ووثائق خطيرة لاسباب وظروف أمنية ، أعلن أنه سينشرها في الوقت المناسب...

في الوقت نفسه كان وفد من رئاسة الاركان الصهيونية يقوم بتوزيع الجثث على عائلاقم عبر اصوات الشتائم واللعنات والمطالبة بالخروج من لبنان فوراً . حتى أن العضو الليكودي في الكنيست ، روبي ريبلن ، صرّح قائلاً أن : " مسألة وجودنا في لبنان بات أكبر من أن نتحمّلها " .

ومهما يكن من أمر ، فإن عملية أنصارية تمثل هزيمة إسرائيلية وخسارة كبيرة للمؤسسة العسكرية ولأجهزة الامن الاسرائيلي -كما صرّح الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في مؤتمره الصحافي الذي عقده في السادس من أيلول / سبتمبر ١٩٩٧ على أثر هذه العملية ـــ. وقد توضح أنه عندما يواجه الاسرائيلي أزمات في الداخل يفتش عن إعادة الاعتبار لبعض هيبته ومعنوياته في الخارج ... ولم يكن لبنان سوى هذا " الخارج " الاكثر ملاءمة لرفع

معنوياته وهيبته _ بنظره. لكن حساب الحقل لا يطابق حساب البيدر دائماً ...

وبالفعل نجح "حزب الله" في قطف ثمار فشل العملية الاسرائيلية في قرية أنصارية ، بغض النظر عن تعدد الروايات حولها . إذ فيما كانت دولة الاحتلال الصهيوني تحاول التفاوض على استعادة الطيار الاسرائيلي " رون آراد " وجدت نفسها تستعد لدفع ثمن كبير مقابل استعادة اشلاء بعض جنودها الذين قتلوا في العملية الفاشلة . ولم يعد مهماً كيف بدأت العملية ، بل الاهم كيف انتهت. خصوصاً بعد أن تمرّغت الهيبة الاسرائيلية _ العسكرية والامنية _ في الوحل الجنوبي ، وتعمقت حدّة الخلافات بين المسؤولين الاسرائيليين _ المدنيين والعسكريين _ على مختلف المستويات ، وزادت في تعميق الازمة بدل التخفيف من حدتها ، وعلت الصيحات الداعية الى الانسحاب الفوري من لبنان دون قيد أو شرط ، في الوقت الذي شكل فيه التلاحم بين الجيش اللبناني والمقاومة الوطنية والاسلامية في الجنوب قوة خارقة بدأ الاسرائيليون يأخذونها في الاعتبار ويحسبون حسابها ، كنقله نوعية ساهمت في قلب الكثير من الموازين ، وافرزت نتائج هامة على هذا الصعيد ، خصوصاً بعد أن نجحت المفاوضات المتعلقة بعملية التبادل بين الاسرى والمعتقلين اللبنانيين في السجون

الاسرائيلية واشلاء الجنود الاسرائيليين هؤلاء الذين قضوا في عملية أنصارية ...

وهكذا تبقى عملية أنصارية لؤلؤة النجاحات اللبنانية المقاومة ، كما تعتبر في الوقت نفسه لؤلؤة الفشل والاخفاق الاسرائيلي على هذا الصعيد ... وقد تلقّن الاسرائيليون في هذه القرية الجنوبية اللبنانية الصامدة درساً قاسياً ، ليس من السهولة على الاطلاق أن ينساه الاسرائيليون _ عسكريون وأمنيّون ومدنيون _ كما لا ينساه اللبنانيون أيضاً ...

هذا ، وبتاريخ يوم الجمعة ١٩شباط ١٩٩٩، نشرت جريدة "السفير" في بيروت خبراً ذكرت فيه أن صحيفة "يديعوت أحرونوت" الاسرائيلية أكدت أن لجنة التحقيق الثالثة التي شكلت بعد فشل عملية الكوماندوس البحرية في قرية أنصارية قررت أن الكمين الذي نصب لجنود الكوماندوس الاسرائيلي كان مخططاً وليس عرضياً . وقالت أن هذه الاستنتاجات تخالف رأي لجنة التحقيق الاولى .

وكانت لجنة التحقيق الاولى بقيادة الجنرال غابي أوفير قد قررت أنه " باحتمال كبير ، وإن يكن بشكل غير مؤكد ، لم تكن لدى " حزب الله " معلومات استخبارية مسبقة حول العَملية الاسرائيلية" غير أن

لجنة التحقيق الثانية برئاسة المدعي العام العسكري العميد أوري شوهم قررت ان"هناك احتمالاً ما بأن الكمين كان مخططاً ".

وقبل شهرين قرر رئيس الاركان تعيين لجنة ثالثة برئاسة العميد زوريغ . وأبدى أعضاء هذه اللجنة المشكلة من ثلاثة ضباط تقديرهم بأن " حزب الله " انتظر العملية ، ولذلك نصب كمائن في ذلك القطاع . واشار اثنان من اعضاء اللجنة الى انه لم تكن لدى " حزب الله " معلومات دقيقة عن مسار تحرك الجنود الاسرائيليين ولا عن توقيت العملية ، غير أن واحداً من اعضاء اللجنة اوضح ان "حزب الله " كان يعرف مسار الجنود ...

وقد سلمت اللجنة تقريرها الى رئيس الاركان وعائلات الجنود القتلى (٥) .

هذا ، وعندما لم يعد من مجال للتغطية على الحقيقة أو إخفاء بعض مظاهرها ، يلعب " التوقيت " دوره المركزي في اخراجها الى النور وفق طبيعة المرحلة ومتطلباتها . واصحاب البيت " هم أدرى بما فيه ومن فيه " _ كما يقولون _ وهم في الوقت نفسه يعلمون أكثر من غيرهم ما يجب أن يقال ويعلن ، وما يجب أن يبقى سراً من الاسرار التي تنتظر اللحظة الحاسمة لكي تفقد سرّيتها . لذلك كانت "عملية أنصارية" تحمل اسماً سرياً هو " فخ العباس".فما هي حقيقة هذا الفخ ؟

عملية "فخ العباس" هي بالفعل من أروع ملاحم التصدي " للاسطورة " الاسرائيلية ، وهي بحد ذاتها قصة إبادة درة التاج الاسرائيلي ، نخبة النخبة في جيش العدو . وقد تمت تفاصيلها على الشكل التالي :

يخطىء من يعيد تاريخ ملحمة أنصارية الى الخامس من شهر ايلول ١٩٩٧، لان الاحداث لا سيما الجسام منها لا تؤرخ أو تقاس زمنياً بلحظة تنفيذها ، بل هي تتوغل الى الوراء ، وتضرب عميقاً في الجذور ، وكما أن الامور تخضع لصيرورات وسنن محددة ترتقي فيها ومن خلالها ، فإن جهاد المقاومة الاسلامية لا يشكل استثناء في هذا المجال، بل لعل المقاومة من أكثر الجهات تعلماً من تجاربها ومراكمة لخبراتها وبلورة لرؤياها وصياغة لآليات عملها وتطويراً لأساليب نضالها لسببين بسيطين وواضحين :

أولاً : لانها انخرطت بجدية أكيدة في حرب لا هواده فيها وطالما اعترف العدو بأنها مؤلمة .

ثانياً : لان الثمن الذي تدفعه المقاومة في عملها الجهادي غال جداً هو دماء وارواح وزهرات اعمار شبابها .

ولكن حتى لا نوغل في زمن بعيد الى وقت استشهاد أمين عام حزب الله السابق السيد عباس الموسوي في ١٦شباط ١٩٩٢ وما اعقب ذلك من اجراءات وأساليب جديدة اتبعتها المقاومة ، فإننا

نتوقف عند سلسلة من التغيرات اللافتة في اساليب جيش الاحتلال العدوانية بعد هزائمه المتكررة وعدم قدرته على المواجهة الميدانية وتمثلت في اعتماد اسلوب محاولات اختراق المناطق المحررة من خلال التسلل وزرع العبوات الناسفة ، على أن ابرز هذه التطورات والتي جاءت فاشلة وكارثية أيضاً على العدو كان حادث اصطدام طوافتين عسكريتين كانتا تقلان قرابة الـ ٧٣جندياً مما أدى الى سقوطهما ومقتل جميع من كان على متنيهما وذلك في ١٩٩٧/٢/٤، وما اعترف به العدو علناً أن الطوافتين اطفأتا انوارهما أثناء عبورهما الحدود خوفاً من صواريخ المقاومة الاسلامية المضادة للطائرات فكان أن وقع حادث الاصطدام بينهما، على ان المسألة لم تنته بسقوط الطوافتين بل أن فصول الرواية الحقيقية لأنصارية بدأت منذ ذلك الوقت حين بدأت أجهزة الاستخبارات الامنية والعسكرية للمقاومة بتقصي المعلومات حول المهمة الحقيقية التي كانت الطوافتان بصددها.

وهنا أصبح من الضروري الكلام على حادثة الكفور التي حصلت قبل شهر ويوم من تاريخ ملحمة انصارية اي بتاريخ ١٩٩٧/٨/٤، وملخصها ان قوة من العدو الصهيوني قامت بإنزال في خراج بلدة الكفور وانقسمت الى مجموعتين ، قامت كل واحدة منهما بتنفيذ مهمة مختلفة ، فالاولى كانت تتولى الحماية ، هي التي اكتشفها

مجاهدو المقاومة واشتبكوا معها اما الأخرى فقامت بمحاولة زرع بعض العبوات الناسفة كي تستعملها لاحقاً ضد المدنيين اللبنانيين على غرار ما درجت عليه العادة لدى الصهاينة ، وبعد إنسحاب القوة الصهيونية تحت وطأة المواجهة العنيفة التي لاقتها من رجال المقاومة ، قامت مجموعة من المجاهدين بأعمال التمشيط الروتيني بحثاً عن عبوات مزروعة ، فكان أن انفجرت عبوة ناسفة يجري التحكم فيها عن بعد بالمجموعة مما أدى الى إستشهاد خمسة من مجاهدي المقاومة على الفور .

لقد شكلت حادثة الكفور مفصلاً هاماً في الصراع ما بين المقاومة الاسلامية وجيش العدو الذي على رغم تبجحه بالنصر فإنه أغفل نقطة هامة جداً أشار اليها قائد المقاومة الاسلامية أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله حين لفت الى تبدل الموازين والمفاهيم لدى قادة العدو حيث قال ان العدو كان يتفاخر بأنه قادر على الوصول الى أي مكان من عينتيبي في أوغندا الى تونس لينفذ اعتداءاته وهجماته الامنية ، أما الان فهو يفتخر إذا استطاع أن يتوغل بضعة كيلو مترات خارج المنطقة المحتلة من لبنان لزرع عبوة تستهدف مدنياً أو مقاوماً يجند لها أطقم سلاحه واستخباراته العسكرية براً وبحراً وجواً .

وفي الدلالات العملية والعبر المستفادة من حادثة الكفور التالي :

أولاً : ان المقاومة الاسلامية استطاعت تفكيك شبكات العدو التخريبية من عملاء ومخبرين مما أضحى يضطره الى مباشرة الاعمال العسكرية بواسطة جنوده وليس عبر عملاء ، مما يضع جنوده في مواجهة مباشرة مع مجاهدي المقاومة ويعرضهم بالتالي لخطر الموت او الاصابة .
ثانياً : عجز العدو عن تحقيق أية اهداف في المواجهات ومحاولته بالتالي التعويض من خلال زرع عبوات داخل المناطق المدنية في محاولة للضغط على المقاومة .
ثالثاً : ان كل القرى والبلدات الجنوبية أصبحت عرضة لاهداف العدوان الصهيوني، وبالتالي فإن محاولات الانزال والتسلل والاختراق واردة في أية قرية جنوبية .

وإذ وصلت المقاومة لهذا الاستنتاج بدأ فصل هام من فصول القصة.
_ كنا قد أسلفنا ، بأن حادثة الطوافتين كان امراً بالغ الدلالة لدى المقاومة التي استنفرت أجهزتها لمعرفة المهمة الحقيقية التي كان العدو يسعى وراءها ، صحيح جداً أن العدو كان بدأ يلجأ الى استعمال الطوافات لنقل قواته من والى لبنان بعد ان استطاعت المقاومة رصد مواكبه العسكرية ومعرفة اوقات تنقلها بفضل اجهزة التنصت ، واعتراض سلاح هندسة الاتصالات التقنية لدى المقاومة لمكالمات قادة العدو وأجهزته عبر الخليوي ، مما أتاح للمقاومة اصابة قائد وحدة

الارتباط في جيش العدو ايلي اميتاي مرتين خلال ٤ ايام تحديداً في ١٥/ ٩٦/١٢، و ٩٦/١٢/١٩، وقد اعقب ذلك تجريد حملة قاسية في جيش العدو وسن قوانين لمنع استخدام الهاتف الخليوي اثناء الخدمة او التكلم بمهمات عسكرية، غير ان هذا الاحتمال، اي احتمال ان تكون الطوافتان بصدد نقل وتبديل قوات بشكل روتيني يبدو ضعيفاً بالنظر الى تركيبة القوة ونوعية الاسلحة والذخائر والمعدات الحربية التي كانت موجودة على متن الطوافتين ، على ان الاهم مما تقدم وجود اثنين من مقتفي الاثر (الأدلاء) في عداد القتلى ، وهو ما يمكن ان يلقي الضوء على احتمال ان هناك عملية عدوانية خارج المنطقة المحتلة، فما هو الهدف المقصود .

_ كما اشرنا فان احتلال العدو للبنان بدأ يتحول الى كابوس حقيقي ومأزق لافكاك منه للإسرائيليين ، وبدأت روح الانهزام والخوف تطاردهم ، فكثرت الرشى المدفوعة للتخلص من الخدمة في لبنان كما ازدادت حالات الفرار او حجج المرضى وغيرها، اما الذين يترددون على العيادات النفسية من جنود العدو الذين يخدمون في جنوب لبنان فاعدادهم كبيرة هي ايضاً والى ازدياد . في هذا الوقت كانت المقاومة الاسلامية تسجل الانتصار تلو الانتصار على العدو .

وإذا بلغت الامور هذا الحد بات الاسرائيليون بحاجة ماسة الى ضربة أمنية عسكرية ترفع الروح المعنوية للإسرائيليين وتعيد اليهم الوهج

المفقود والهيبة المهدورة ، خاصة وان وحدة القوة لم تقدم شيئاً على رغم الهالة الاعلامية التي سبقتها ، وكان الهدف يرتكز على احدى خيارين :
اولاً : استهداف رمز من رموز المقاومة او قائداً من قادتها الميدانيين ومحاولة اختطافه او اغتياله وذلك للتدليل على قدرة الاسرائيليين ويدهم الطولى ما يوفر دفعاً معنوياً لجنود العدو الذين يخدمون في جنوب لبنان ، ويظهر سيطرتهم على الموقف كما يؤثر سلباً على الطرف المقابل .
ثانياً : قتل عدد كبير من مجاهدي المقاومة عبر زرع عبوات تستهدفهم بشكل جماعي وقد تكثفت محاولات العدو لاجل تحقيق هذه الغاية .

ونتيجة للدينامية الاستخباراتيه والأمنية للمقاومة الإسلامية وقدراتها وكفاءتها العملانية ، استطاعت قراءة التوجه الاسرائيلي الجديد واستهدفاته المحددة مكان التحضير بخطة بالغة الخطورة والاتقان هي عبارة عن وضع الطعم في سنارة اعدت خصيصاً لاصطياد السمكة الاسرائيلية.ولم يكن ذلك الطعم الا ما اشتهر لاحقاً على انه فخ العباس.

أسرار وحقائق

تكشف قصة فخ العباس عن واحدة من أهم المعارك الأمنية بين العدو الإسرائيلي والمقاومة الإسلامية تظهر بشكل واضح لا لبس فيه المستوى المتقدم لاستخبارات المقاومة والتنسيق العالي بين مختلف وحداتها بما لا

يوجد له مثيل حتى عند أرقى الجيوش المنظمة ، وهذا ما اعترفت به قيادات العدو، ففي صراع الأدمغة ايضا كان النصر حليف المقاومة الإسلامية .

وبالعودة الى مسألة الطعم الذي وضعته المقاومة الاسلامية للعدو لاستدارجه الى المكان والزمان المناسبين فإن ما سنورده بعد قليل لا يمكن تأكيده بأي وجه ذلك أن أصحاب القصة الحقيقية وهم قادة المقاومة يرفضون الإدلاء بأي معلومة رسمية حول الموضوع ويتمسكون بالرواية التي قدمها الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله بعد يوم على ملحمة أنصارية من خلال المؤتمر الصحافي الذي عقدة في حارة حريك وهذا أمر طبيعي ذلك أن المقاومة تريد الحفاظ على السرية الكاملة للقصة حتى لا تتسرب أي معلومة تفيد العدو في هذا المجال ، وهي ترفض بشدة كما أعلن قادها مراراً عن تعرض أسرارها العسكرية للإنفضاح لتحقيق دعاية أو كسب إعلامي مهما بلغ حجمه أو قيمته .

غير ان كل هذا لا يقلل من قيمة الرواية ومصداقيتها ، لأنها تظل الأكثر قرباً من الحقيقة ، ولكن وقبل الدخول في الرواية نتوقف عند رواية حزب الله لأنها ذات دلالات وتلقي ضوءاً ينير الدرب أمام القارئ. يقول حزب الله على لسان أمينه العام سماحة السيد حسن نصر الله ، أن المقاومة الاسلامية وبعد حادثة الكفور وتكاثر محاولات التسلل

والاختراق الاسرائيلية للمناطق المحررة ، بدأ بتنظيم حملة حراسات ليلية تمتد حتى الصباح وذلك بعد أن قسّم الجنوب الى مربعات ومناطق حيث تقوم مجموعات مؤلفة من شبان القرى والبلدات بتولي الحراسة لصد أي عدوان إسرائيلي محتمل ، ويضيف السيد حسن نصر الله ان هذه المجموعات تزود بألغام وعبوات ناسفة ، تقوم بزرعها ليلاً في بعض الاماكن والممرات التي يحتمل دخول العدو منها ثم تنـــزعها صباحاً كي لا تتفجر بالمدنيين ، وإذ تصل رواية الامين العام الى هذا الحد فإنها اكثر من كافية لتصور ما حدث في أنصارية ، تدخل قوة إسرائيلية الى منطقة كمين مفخخة بألغام زرعتها المقاومة الاسلامية وعندما تصبح القوة في نقطة المقتل يتم تفجير العبوات والألغام ويفتح مقاتلون من المقاومة الاسلامية النيران في الوقت نفسه على من تبقى من القوة فتكون النتيجة ما سمعته الناس وكتبته الصحف وتحدثت عنه الإذاعات وشبكات التلفزة المحلية والعالمية ، إبادة ثلثي القوة المهاجمة ، وجرح ما تبقى منها . الرواية صادقة ومتماسكة لكنها تخفي أكثر مما تظهر ، ولعل السؤال الأساسي والمفارقة الكبرى هنا ، هو كيف أن جنود العدو تقدموا ووقفوا أو جلسوا فوق الألغام التي زرعها رجال المقاومة الإسلامية تماماً ! .

بطبيعة الحال، فإن الأمر لا يتعلق بتعويذة سحرية بقدر ماسيتبين أنه تخطيط ومتابعة منظمين ومتقنين وإرادة حديدية ، ولو قدر لخطة المقاومة

الإسلامية أن تتحقق مائة في المائة كما أرادها هي لكانت ملحمة انصارية أكبر مما حدث بكثير من حيث المفاعيل والمترتبات .

تخـــطيـــط :

كانت خطة المقاومة الاسلامية تقضي باستدراج قوة صهيونية كبيرة والايقاع بها في مكمن لا فكاك منه تتمكن من خلاله من إبادة العديد من أفرادها وأسر البعض الآخر وهو ما يؤهلها لاحقاً لمبادلتها بمئات المعتقلين في السجون الإسرائيلية من مجاهدين لبنانيين وفلسطينيين . للقيام بهذا العمل كان على المقاومة ان تجد عميلاً موثوقاً لدى الاسرائيليين تستطيع من خلاله تنفيذ خطتها .

بعد فترة من التحريات والإستقصاء إستطاعت المقاومة أن تجد العميل الهدف فكانت الخطة جاهزة لتجنيده في المهمة المطلوبة . وبعد إجتماعات سرية عدة فهم العميل الذي أصبح الآن عميلاً مزدوجاً تفاصيل مهمته . وكان عليه إقناع الاسرائيليين باكتشافه لصيد ثمين . ولم يكن هذا الصيد سوى أحد قادة المقاومة الاساسيين .

وقد نقل العميل المزدوج لرابطه الاسرائيلي معلوماته عن الصيد الثمين وأماكن تردده ومبيته ، وكان عليه الانتظار حوالي الشهر قبل ان يأتي الرد الإسرائيلي المقتضب :تابع مراقبته عن كثَب وعليك تزويدنا يوميا بتحركاته لمدة اسبوعين . في هذا الوقت كانت إستخبارات المقاومة تتابع

مراقبة العميل المزدوج على مدى ٢٤ ساعة ، كذلك كان محيطه وعلاقاته موضع مراقبة ، وسرعان ما اكتشفت أجهزة المقاومة أن العميل المذكور هو موضع مراقبة مكثفة ورصد دائم من الاسرائيليين عبر احد العملاء الآخرين . وهو ما كانت المقاومة قد افترضت حدوثه منذ البداية، اذ ليس من المنطقي ان يركن جهاز الاستخبارات لمعلومات قدمها عميل دون التحري الكافي عنها للتأكد من صحتها ، ذلك ان تواتر المعلومة الواحدة من مصادر متنوعة يلعب دوراً حاسماً في قبولها أو رفضها . كما أن المعلومة الخاطئة غالباً ما تكون مهلكة وقاتلة. ولكن الذي حصل في انصارية أن المقاومة كانت تعطي معلومات صحيحة لكنها قاتلة لسبب بسيط انها معلومات مفخخة .

والآن جاء دور المقاومة في تجنيد العميل الثاني ، وهو امر لم تلاق فيه صعوبة نسبياً، ويعود السبب في ذلك الى انهيار معنويات العملاء والى دعوات الفرار التي وجهتها المقاومة لهم لتسليم انفسهم والتخلي عن العمالة والعودة الى أحضان الوطن ، وكانت بدأت تروج في الاوساط المختلفة لا سيما في الجنوب أخبار المعاملة الطيبة التي يلقاها الفارون الى المقاومة . لم يكن مطلوباً من العميل الثاني بحسب ما ارادته المقاومة سوى تأكيد إخلاص العميل الاول للإسرائيليين وصحة ما يزودهم به من معلومات وهو ما قام به على أتم وجه بعد تهديد وترغيب من المقاومة له

عبر طرف ثالث ليصبح الطريق معبداً أمام ابتلاع السمكة الاسرائيلية لطعم المقاومة والسقوط في الفخ ، ولكن أي فخ ، فخ العباس ! .

بأي حال ، لم يكن إستدراج المقاومة للإسرائيليين مسألة بسيطة نظراً للإحتياطات الهائلة التي يتخذونها ولكن ما جمعوه من معلومات ووثائق واستندوا اليه من أدلة كان أكثر من كاف بنظرهم لضمان نجاح عملية سيكون لها وقعٌ مدوٍّ ويعيد البريق الى سنين عجاف باهتة لجيش العدو واستخباراته . وكان على العميل الأول أن يلتقط صوراً عديدة لرجل المقاومة وفي أماكن عدة كي يطمئن الاسرائيليون الذين لم يكتفوا بذلك بل أنهم قاموا من خلال أجهزتهم المختلفة بمسح المكان كاملاً ورسم خريطة تفصيلية تظهر بوضوح جلي البيت السري الذي يأوي إليه أحد قاديي المقاومة . وقد حفظها أفراد قوة البحرية عن ظهر قلب.

ساعة الصفر:

قبل إسبوع من ملحمة أنصارية كثف الطيران المروحي الصهيوني وطائرات الاستطلاع طلعاتها فوق منطقة الزهراني وصولاً الى أنصارية ، خيزران عدلون ، وكانت طلعات الطيران ذات دلالة ما لدى الناس العاديين الذين بدأوا يتهامسون حولها ، لكن الدلالة الاكبر كانت لدى قوة الوحدات الخاصة في المقاومة التي كانت تتابع الخطة لحظة بلحظة ، وأكدت أن الامور تجري حسب ما هو مرسوم ، وكانت التحضيرات قد

اكتملت لليوم الموعود . مجموعة من القوات البحرية في المقاومة تكمن بين البساتين على الشاطئ ، مقابل انصارية بشكل بالغ التمويه ولا تؤتي أية إشارة تدل على وجود حركة هناك . فيما كانت مجموعات عدة من رجال المقاومة قد أقامت مكامن عدة في محيط المنطقة وكانت مزودة بأسلحة مختلفة وكان ثمة شاحنتين صغيرتين مموهتين بشكل بالغ لاستيعاب جثث الصهاينة ، وفي محيط البيت السري كان الهدوء يلف المكان . ولم يكن هناك سوى أربعة من رجال المقاومة يكمنون خلف تلة مموهة بعد أن قاموا بزرع الطرقات المؤدية الى البيت بعدد كبير من العبوات الناسفة التي يجري التحكم فيها عن بعد .

في الساعة الثانية عشر والربع من بعد منتصف ليل الخميس في ٩/٥/ ١٩٩٧ اقترب زورقان إسرائيليان مطاطيان الى الشاطئ مقابل أنصارية وأنزلا مجموعتين من قوات نخبة النخبة الاسرائيلية.وفي اللحظة التي لامست أقدام المجموعتين الشاطئ ، كانت الإشارة الأولى قد انطلقت من أول كمين بحري للمقاومة في أقل من ثوان الى قائد الكمين، بأن "البضاعة وصلت وهي في طريقها اليكم " وكان الرد حازماً ومذكراً بأوامر سابقة تقضي بالإمتناع عن التعرض للقوة الإسرائيلية مهما كانت الأسباب وتركها تمر بسلام . وفي لحظات كانت المجموعتان الإسرائيليتان تمران على بعد أمتار من عيون تغلي كالجمر منتظرة أول إشارة للفتك ، ولكن حسابات المقاومة لا تجري ابداً على هذا النحو ،

لقد فضلت المقاومة مواجهة الإسرائيليين بعيدا عن الشاطئ مما يضيق هامش المناورة والحركه لديهم ويوسع خياراتها في ملاحقتهم ويبعدها عن الإنكشاف أمام النيران الإسرائيلية من البحر والجو .

_ كانت معلومات الإسرائيليين تفيد بأن الرجل المستهدف موجود في البيت السري وكانت الخطة تقضي باختطافه أو في أسوأ الأحوال نسف البيت فوق رأسه ، وزرع عبوات ناسفة متفرقة يمكن إستخدامها لاحقاً ثم المغادرة ، ولكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر . لقد مشت القوة الإسرائيلية في خط مستقيم وعبرت الشارع العام بإتجاه البساتين وبدأت بالإقتراب من البيت السري ، وعند نقطة محددة في طرف البستان توقفت القوة عند بوابة حديدية صغيرة وتقدم قائدها وفتحها فأكملت سيرها ، ثم اجتمعت في خط أفقي منتظرة لحظة الإنقضاض على الهدف .

يقع البيت السري المستهدف عند الطرف الشمالي الغربي لأنصارية ويبعد عنه بيت صغير لناطور بستان قد غلب عليه الكبر . كان الهدوء مخيماً على المكان ، وبدت أنصارية تلك الليلة ساكنة الربوع ،وادعه ككل البلدات والقرى الجنوبيه،ولم يكن أحد يتصور أن تلك الليله الوادعة الأنفاس كانت حبلى بمخاض سيولد إحدى أهم الملاحم المسطّرة في تاريخ أمتنا ضد الصهاينة ، ما إن تجاوزت الساعة الثانية عشرة

والنصف حتى كان قائد القوة الإسرائيلية يستعد للمرحلة الأخيرة من خطته. وهي التوجه مباشرة الى البيت المستهدف . في هذه الأثناء كان أربعة من مجاهدي المقاومة على سلاحهم ومضاغط عبواهم. وما هي إلا ثوان على إنطلاق القوة الإسرائيلية نحو الخطوة الأخيرة في رحلتهم حتى أصبحت خطوهم هذه هي رحلتهم الأخيرة ، لقد فجر المجاهدون عبوتين كبيرتين بالقوة الإسرائيلية فتطايرت أشلاء وتناثرت دماء وعلا الصراخ والعويل وأتبع المجاهدون عبواهم بنيران غزيرة على القوة الإسرائيلية ، وفي هذه الأثناء كان معظم أفراد القوة قد أبيد وسقط بين قتيل وجريح. ولم ينج إلا جندي الإتصال الذي أبلغ قيادة العملية بمجريات الموضوع، في هذا الوقت كانت مجموعات أخرى من المقاومة من الكمائن المنتشره تتقدم للإطباق على ما تبقى من فلول القوة الإسرائيلية المدحورة. غير ان طوقاً من النيران الكثيفة كان قد زّنر المنطقة بأكملها من طائرات العدو ومروحياته وبارجاته الحربية تسهيلا لإجلاء قتلى العدو وجرحاه وأشلاء جنوده المتطايرة في بساتين أنصارية، وإذ حاولت طوافة أن تحط في مكان قريب من أرض العملية تولت قوة الإسناد الناري في المقاومة إستهدافها بالقصف المدفعي فأصيبت المروحية في انحاء عدة من هيكلها لكنها استطاعت الإقلاع والعودة الى البوارج الإسرائيلية في عرض البحر ، وقد حاول العدو البحث عن بعض جثث جنوده دون فائدة فاتخذ قرارًا عاجلاً بالإنسحاب تحت الغطاء الناري الكثيف،وانجلى فجر

أنصارية يوم الجمعة في ١٩٩٧/٩/٥ عن هزيمة قاسية لنخبة نخبة العدو وتدافع الناس الى مكان العملية لمشاهدة أرض المعركة وللبحث عن أشلاء المفقودين ، فيما إختفى رجال المقاومة عن الصورة، فكان أن ادّعت جهات شرف مواجهة العدو وهزيمته وحيكت روايات حول إكتشاف قوة العدو وإفشال إنزالها ،ولم يأت الخبر اليقين للناس إلا عندما تبين ان معظم أجزاء أجساد وأشلاء جنود القوة الصهيونية وأسلحتهم ومعداتهم هي بحوزة حزب الله الذي عرضها جميعا في حارة حريك .

ويبقى أنه وعلى رغم هذه المقاربة لما يمكن أن يكون قد حدث في أنصارية ، فإن ثمة تفاصيل كثيرة تحيط بالمسألة وسيأتي اليوم الذي تكشف فيه للجميع ، وطبعا فإن من سيكشف ذلك هو المقاومة الاسلامية فعسى يكون هذا اليوم قريبا .

على أن فصول الرواية لم تنته هنا ، إذ ما إن انقضت أيام على المواجهة ، حتى بدأ الحديث على مبادلة أشلاء جنود قوة العدو بجثث شهداء المقاومة ومعتقلين أحياء في سجون العدو ، ودخلت وساطات المانية وروسية وللصليب الاحمر ، وتضاربت المعلومات حول مطالب المقاومة وعروض العدو في هذا المجال ، حيث انه رفض بداية أن تتم المبادلة بين أشلاء وأحياء ثم عاد ليوافق بعد إصرار حزب الله وتهديده بوقف العملية برمتها وانتقل البحث الى العدد المطلوب .

ومهما يكن من أمر ، فإن النتيجة الاساسية لهذه العملية كانت إبادة مجموعة الكوماندوس الاسرائيلي ، على الشكل الذي تمت فيه ، على يد رجال آمنوا بالله والوطن والارض والكرامة ، فحققوا الانتصار ..

لأن من يؤمن هذا الإيمان يختلف عن اولئك الذين يدعون بأنهم " شعب الله المختار "، بينما لا يقومون بأي عمل يؤكد صدق هذا الادعاء ... وكل افعالهم منافية للأخلاق والمبادئ وتعاليم الأديان السماوية...

الهوامش

(١) للتفصيل ، يستحسن العودة الى كتاب : مروان توفيق النمر وربيع سلمان رشيد "الموساد والاخفاقات الاخيرة". دار الفارابي . بيروت . الطبعة الاولى ١٩٩٨. ص.١٠٨-١٠٩

_ وكذلك : جريدة " الديار " البيروتية . العدد ٣٢٣٣. في ٦/٩/١٩٩٧.

_ وجريدة " الكفاح العربي " البيروتية . العدد ١٧٧٠ في ٥/٩/١٩٩٧.

_ ومجلة "المسيرة" البيروتية تاريخ ١٥/٩/١٩٩٧. ص.٤٥_٤٦.

(٢) رفيق خليل المعلوف ورندة تقي الدين في مقالهما المشترك الذي نشر في جريدة " الحياة ". العدد ١٢٦٠٨ . في ٦/٩/١٩٩٧.

(٣) جريدة "الديار" العدد ٣٢٣٣. تاريخ ٦ ايلول/ سبتمبر ١٩٩٧.

(٤) مروان توفيق النمر وربيع سلمان رشيد . مرجع سبق ذكره . ص. ١١٠_١١.

(٥) جريدة "السفير" . العدد ٨٢٢٨. الجمعة في ١٩/٢/١٩٩٩. ص. ٥.

(٦) أنظر كتاب " فخ العباس/ أسرار وحقائق عملية أنصارية " (وهو من أهم وأدق المراجع حول هذا الموضوع). منشورات دار الندى. بيروت . الطبعة الاولى ١٩٩٨. ص.٨٧_١٠٨.

الفصل السابع

فضيحة محاولة إغتيال " خالد مشعل " في الأردن

بعد سلسلة من الإخفاقات والفشل التي مني بها جهاز الموساد ورئيسه داني ياتوم ، كانت محاولة الإغتيال التي قام بها جهاز الإستخبارات الإسرائيلية للمناضل خالد مشعل ، رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" في الأردن ، بمثابة الضربة القاسية على "دماغ" الموساد الممثل بداني ياتوم نفسه . ذلك أن فشل هذه العملية من تحقيق هدفها بالقضاء على "دماغ حماس" في العاصمة الأردنية ، شكل بداية القضاء على "الدماغ الموسادي رقم ١" في دولة العدو ومقدّمه لتنحيّه عن منصبه هذا، أو الإقالة. وفي كلا الحالين ، هزيمة كبرى للموساد ولقادة إسرائيل على اختلافهم . من هنا ، كان بعض أصدقاء داني ياتوم على حق عندما وصفوا حالته هذه بعد هذه الحادثة " كالمنتظر قطع رأسه ... من السيّاف بنيامين نتنياهو "(١) . مع العلم أن بين الرجلين صداقة وثيقة وقديمة ، لكنها تأزّمت في الآونة الأخيرة ، حيث كانت محاولة إغتيال خالد مشعل وفشلها الذريع ، سبباً في تأزّم العلاقة بينهما ، حيث أطلق عليها إسم "العملية الخرقاء" (٢) في عمان . ومع ذلك ، بقي ياتوم يتذكر تلك الفترة التي كان يصدر فيها الأوامر الى "بيبي" (بنيامين

نتنياهو) يوم كان في وحدة كوماندوس تابعة للجيش تحت أمرة ياتوم نفسه .

ونظراً لخطورة "العملية الخرقاء" هذه وانعكاساتها المستقبلية ، كان لا بد من تدارك الموقف . وهكذا عمل نتنياهو على تبنّي خطة لمعالجة أي كارثة مماثلة تقع في المستقبل . والخطوة الأولى وفقاً للخطة هي الإتصال بكبير المناوبين في وزارة الخارجية الذي يتصل بمدير مكتب رئيس الوزراء الذي يبلغ بدوره بنيامين نتنياهو . إتصل هذا بسفير إسرائيل في المجموعة الأوروبية في بروكسيل افرايم هاليفي ، وهو دبلوماسي إنكليزي المولد ، أمضى حوالي ثلاثين عاماً كأحد كبار ضباط الموساد ، وكانت من أبرز مسؤولياته الحفاظ على علاقات حسنة مع أجهزة الأمن في الدول الأجنبية التي تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل . وقد لعب هاليفي دوراً مهماً في رأب الصدع في العلاقات مع الأردن بعد العملية الخرقاء في عمان . وينسب الى نتنياهو قوله لهاليفي وقتها :" عالج هذه المشكلة وستكون صديقي مدى الحياة"(٣)وهكذا كان .

فمن هو خالد مشعل ؟ وكيف حدثت "العملية الخرقاء" ؟ وكيف إنتهت؟

فشل الموساد في تصفية خالد مشعل (٤).

خالد مشعل: من مواليد١٩٥٧، رئيس المكتب السياسي لحركة "حماس" في الاردن. والعقل المدبّر لاستراتيجية حماس، ولكل العمليات الكبيرة والبطولية في القدس . ولد خالد مشعل في قرية سلواد، قضاء رام الله، وبعدها غادر الى الكويت مع عائلته،وكان والده إمام مسجد في الكويت .

درس في المدارس الكويتية، ثم في الجامعة الكويتية، وحصل على بكالوريوس في الفيزياء ، في عام ١٩٨١ تزوج وأنجب سبعة أطفال.

أثناء دراسته قاد التيار الإسلامي ، وانضم الى حركة "الاخوان المسلمين"، وفي عام ١٩٧٨ انضم الى حركة "حماس".

عام ١٩٩١ أبعد من الكويت الى الأردن في أعقاب حرب الخليج، وأصبح عضواً في المكتب السياسي لحماس الذي يرأسه الدكتور موسى أبو مرزوق ؛ وكانا صديقين، بعدها أصبح الممثل الخارجي لحماس ، وأجرى إتصالات خارجية مع دول عديدة.
بعد اعتقال أبو مرزوق في الولايات المتحدة الاميركية عام ١٩٩٦، تم تعيينه رئيساً للمكتب السياسي لمنظمة حماس ، وأصبح الشخصية القيادية الأولى في المنظمة.

في أعقاب التفتت الصهيوني وعدم الإستجابة للنداءات الدولية لتنفيذ اتفاقيات أوسلو، وفي ظل الحصار الاقتصادي، وتوسيع المستوطنات، واتباع سياسة التجويع للشعب الفلسطيني، كان لا بد من عمل ما يدوس غطرسة العدو المعتادة ، طالما أن الشعب الفلسطيني في الداخل لم يزل قادراً على متابعة الكفاح.

من أجل ذلك قامت كتائب "عز الدين القسام"بسلسلة عمليات إستشهادية داخل القدس في سوق بامحانيا و(مدرحوف). والتي نجم عنها أكثر من ثمانين قتيلاً، وجرح مائتين وأربعين.

بعد هذا الاخفاق للأجهزة الأمنية الإسرائيلية في معرفة وتحديد هوية الفاعلين، قرر الموساد، وكعادته، القيام بعملية إرهابية ، وإنتهاك حدود الغير، وتجاوز كل القوانين الدولية.

فقد عقد رئيس الحكومة نتنياهو إجتماعاً مع كل من رئيس الموساد داني ياتوم، ورئيس الشين بيت عامي إيلون، ورئيس الاستخبارات موشي يعالون ، وقرروا القيام بعملية إغتيال خالد مشعل.

تفاصيل العملية :

في التاسع عشر من شهر أيلول لعام ١٩٩٧، هبطت في مطار عمان الدولي طائرة وعلى متنها ثمانية من رجال الموساد ، يحملون

جوازات سفر مختلفة. والموساد، في العادة، يقسم المجموعة إلى اثنتين، واحدة للتنفيذ ، والأخرى للتغطية، وأحياناً يكون هناك طاقم إنقاذ . لقد كان عناصر مجموعة التنفيذ يحملون جوازات سفر كندية .

العنصر الأول في المجموعة يدعى شون كندل ٢٨ عاماً، والثاني باري بيداس ٢٦ عاماً،طبعاً الأسماء مزورة مثل الجوازات .

وفور نزولهم في أرض المطار، إستقلوا سيارة أجرة أردنية وتوجهوا الى فندق يدعى (انتركونتننتال)، فندق يرتاده رجال الأعمال، وغالبية نزلائه من دول الخليج، بينما توجه قسم منهم إلى أبنية سكن موظفي السفارة الإسرائيلية .

في اليوم التالي، إستأجروا سيارة سياحية من الفندق نوع هوندا، تحمل الرقم ٥٣٧٤، خضراء مزودة بهاتف خليوي ، وقاموا بجولات في شوارع عمان ، رغم أنّ المجموعة الأولى كانت قد قامت بنفس المراقبة من قبل.

يوم الثاني والعشرين من أيلول ، وفي الساعة السابعة والنصف، بينما كانت سيارة تابعة للسفارة الإسرائيلية في عمان، وفيها إثنان من أمن السفارة هما عميكام هادر، وموشيه روزين، يقومان بجولة إستطلاعية إعتيادية على الطريق الذي يربط سكن الموظفين بالسفارة، وقبل خروج السفير الى عمله، وأثناء تنقلهم على هذا المحور بشكل بطيء، ظهرت

بشكل مفاجيء من أحد جوانب الطريق، سيارة أجرة (هوندا) بيضاء وبداخلها شخصان بالاضافة الى السائق ، حيث باشر أحدهم بإطلاق النار الكثيف من سلاح كلا شينكوف باتجاه سيارة الأمن التابعة للسفارة الاسرائيلية ، مما أدى إلى اصابة الحارسين بجراح بليغة، وفرت السيارة مسرعة؛ وتم اسعاف الحارسين داخل مستشفى الملك حسين الذي قام بزيارتهم، كما أجرى إتصالاً مع نتنياهو واعداً ومعتذراً ومتأسفاً .

وقد أبلغه عن إستعداده للتوسط ما بين إسرائيل و "حماس" لوقف هذه العمليات، وأبلغه نتنياهو أنه سيرد عليه قريباً ، مع العلم أنه كان من المقرر أن تتم عملية التصفية باليوم نفسه، كما ذكرت مصادر إسرائيلية. ولقد رفض الملك حسين نقل حارسي السفارة الإسرائيلية إلى إسرائيل، وتعهد بتقديم كل العلاج اللازم والعناية الفائقة لهما.

التنفيذ:

صباح يوم العملية، أي في الخامس والعشرين من شهر أيلول عام ١٩٩٧، وعند الساعة العاشرة تماماً، خرج خالد مشعل ومعه ثلاثة من أطفاله وحارسه الشخصي من منزله، باتجاه المكتب سالكاً طريق الملك عبدالله، وكانت خلفه سيارة، عميلي الموساد، إضافة الى سائق من السفارة الإسرائيلية.

توقف خالد مشعل قبل وصوله الى مكاتب "حماس"،وترجّل من سيارته نحو "سوبر ماركت" يملكه شخص يدعى "إسماعيل"، وقد كان خالد مشعل معتاداً على التوقف أحياناً كثيرة في هذا المكان لتناول القهوة المرّة. أثناء ذلك، وصل عمِيلا الموساد فأوقفا سيارتهما على بعد أمتار من مدخل البناء، في ممر جانبي يؤدي إلى الشارع الثاني . تصرّفا كأنهما سائحان ينظران الى آية قرآنية محفورة بالرخام على المدخل، أحدهما يحمل حزمة صغيرة مغلفة بكيس نايلون.

توقفت سيارة خالد مشعل أمام البناء وفور ترجله منها ووصوله إلى مدخل البناء ، إقترب منه العميل الاول . وهنا اعتبر مشعل كماصرّح لاحقاً:" اعتقدت أنه يريد سؤالي عن شيء ما، فمددت يدي مصافحاً"، لكن العميل أخرج جهازاً من كيس النايلون ، يشبه جهاز الصدمات الكهربائية وضربه به على رأسه من جهة اليسار. خلال ذلك تسرّبت مادة سائلة داخل أذن خالد مشعل، بينما بادره العميل الثاني بضربة على مؤخرة الرأس، وكل ذلك لم يستغرق أكثر من بضع ثواني. في تلك الأثناء كان الحارس الشخصي لخالد مشعل ما يزال في السيارة يتبادل أطراف الحديث مع الأولاد الثلاثة . لكنه صعق عندما رأى خالد مشعل قد أصبح على الرصيف، في حين هرب الإثنان باتجاه ممر جانبي قريب من البناء حيث كانت السيارة بانتظارهما.

من هو الحارس محمد أبو سيف، الذي يعتبر البطل الفعلي لهذه العملية؟ .

لقد عمل لسنوات عديدة في منظمة "مجاهدي" في افغانستان ، وتلقى تدريبات ممتازة . وهو معروف بقوته وسرعة البديهة والذكاء والفطنة .

عندما شاهد أبو سيف العميلين لحق بهما مسرعاً ، وهما يدخلان الى السيارة، فاستطاع معرفة أرقامها ومميزاها. العميلان هربا ظنّاً منهما أن الأمر إنتهى بصورة جيدة. لكن محمد أبو سيف وصل الى الشارع الثاني فأوقف سيارة تاكسي ولحق بهما دون أن ينتبها الى ذلك .

أخبر عميلا الموساد مجموعة المراقبة في السفارة أن الموضوع انتهى بشكل جيد ، وتوجها حسب الخطة المرسومة الى شارع مكة، ثم الى المركز التجاري المكتظ بالسكان في شارع (الجاردنز)،حيث كان من المقرر ترك سيارة الأجره "الهوندا" وإستقلا سيارة مرسيدس أخرى للتوجهّ فوراً الى إسرائيل. لكن الذي حدث إنهما عندما تركا السيارة المستأجرة وإجتازا الشارع الى الجانب الآخر ، كانت بانتظارهم سيارة مرسيدس مستأجرة وبداخلها ثلاثة رجال من عملاء الموساد .

إن تدريبات "أبو سيف" لم تذهب هدراً كما قال بعد الحادث، لأنه استطاع أن يترجّل من سيارة التاكسي بسرعة البرق، ويلحق بالعملاء

ويمسك بأحدهما، وبينما كان في ذلك الوضع حاول العميل الثاني مساعدة زميله، ففشل، فاستطاع الإمساك بالإثنين . وخلال ثوان إحتشد المواطنون مما دفع بعملاء سيارةالمرسيدس الثلاثة الى الهرب وبقي الإثنان (منفذا العملية) ، حيث وصل الى المكان النقيب سمير الخطيب نجل قائد جيش التحرير الفلسطيني في الأردن . وهكذا تم القبض على العميلين ، فحضر عناصر الشرطة الأردنية الى المكان وتم إقتياد الجميع الى مركز الشرطة . وأثناء التحقيق قدم العميلين جوازي سفر كنديين.

لقد تم إستدعاء مسؤول من السفارة الكندية للتعرف عليهما . وأثناء ذلك، تم نقل خالد مشعل إلى "المستشفى الاسلامي "، وكان فاقداً للوعي تماماً، ونبضه غير منتظم ، وكذلك تنفسه. أخبر الملك بالحالة الصحية لمشعل فأصدر أمراً قضى بنقله الى "مستشفى الملك حسين الطبي"، حيث اكتشف الاطباء أن مواداً سامة من نوع خاص قد ألقيت عليه. وهذا النوع من السموم يسبب هبوطاً في القلب في أول الأمر، ثم تحدث مضاعفات أخرى، تؤدي لاحقاً الى الوفاة.

أمام خطورة الحالة الصحية لخالد مشعل التي كانت تزداد سوءاً ، إستدعى الملك حسين طاقماً طبياً خاصاً من مستشفى "أيو لكنين" في الولايات المتحدة الأميركية. وهذا المستشفى هو نفسه الذي يتعالج فيه الملك نفسه.

وصل الطاقم الطبي في طائرة خاصة ، وأكد أنه لا يستطيع تقديم أي علاج إذا لم يتم تحديد نوعية المادة السامة التي ألقيت على خالد مشعل، مما يعني أنه سيموت خلال مدة لا تتجاوز الساعات الثماني.

عاصفة سياسية ضربت العلاقات الإسرائيلية_ الأردنية. الملك حسين هدد الإسرائيليين بأنه إذا مات مشعل فإن هناك كارثة ستقع . لقد رفض التحدث الى نتنياهو عبر الهاتف، ورفض إستقبال أي زائر لأنه يدرك جيداً ماذا يعني موت مشعل في الأردن بالنسبة للفلسطينيين و "حماس" . فأرسل تهديداً بواسطة الرئيس الاميركي الى الحكومة الإسرائيلية مفاده إذا مات مشعل فإنه سيقدم العملاء الى محكمة أمن الدولة فوراً ، وستجري لهم محاكمة علنية. واصدر امراً منع بموجبه الدخول أو الخروج من السفارة الإسرائيلية.وهكذا وضعت السفارة تحت حراسة مشددة .

الأمير حسن سافر الى أميركا، ونقل رسالة من الحسين مفادها أن موت مشعل هو تهديد حقيقي للسلطة أولاً ، وللعلاقات مع اسرائيل ثانياً . إن حياة مشعل هامة جداً بالنسبة الى الوضع في الأردن وعلاقات الملك بالفلسطينيين وحماس ،لذلك تدّخل الرئيس الاميركي بيل كلينتون وأجرى إتصالات مع الحكومة الإسرائيلية .

إنقاذ حياة مشعل

تحت المزيد من الضغط السياسي، وافق نتنياهو على إرسال مضادّ حيوي لإنقاذ حياة مشعل، وهذا المضاد حمله "داني ياتوم" رئيس الموساد وطبيبة إسرائيلية من الموساد ايضاً. رفض الملك حسين إستلام الدواء ما لم يكن هناك تحديد واضح لنوعية المادة السامة وإسمها وما يعادله كيميائياً. فردّ نتنياهو بأن هذا سرّ خاص بالموساد؛ فعاد الملك حسين طالباً من رئيس الموساد تقديم الإستقالة فوراً، إذا كان يحترم نفسه، بعد هذه الفضيحة. (ومما يذكر، أن " معهد الأبحاث البيولوجية " في تل أبيب هو الذي صنع السمّ الذي استخدم في محاولة إغتيال خالد مشعل).

إزاء إصرار الملك حسين، حملت الطبيبة الإسرائيلية المعادلة، وإسم السم والدواء المضاد الى قصر الملك حسين ، وعرضتها فوراً على الأطباء الاميركيين، فاستعاد مشعل نشاطه ووعيه. لكن ما جرى، كان في إطار صفقة أردنية إسرائيلية نصّت على إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين وعدد من المعتقلين الفلسطينيين.

مشاورات عاجلة: صفقة عاجلة

بعد عودة الحياة بشكل كامل الى مشعل، شعر الملك حسين بالسعادة. فاستقبل بعد ذلك ، وفداً إسرائيلياً رفيع المستوى، ضم رئيس الحكومة

نتنياهو ووزير دفاعه يتسحاق مردخاي، ووزير الإنشاءات شارون، وسكرتير الحكومة داني نافيه، ودافيد عفري، وضابط الموساد السابق وصديق الملك أفرايم هليفي، وهو صديق الأسرة الهاشمية ، ومشهور بهذا، وهو يزور الملك بدون موعد مسبق، ويعتبر منسق إتفاق وادي عربة. وهو الذي أشرف على هذه الصفقة السريعة ما بين إسرائيل والأردن .

تمت الصفقة بينما كان الشيخ أحمد ياسين يترل في عمان، وعملاء الموساد جميعهم، يغادرون الى إسرائيل على متن حوامة عسكرية.

ردود أفعال

شنّت الصحافة العالمية والعربية بما فيها بعض الصحف الإسرائيلية حملة واسعة على هذا العمل الإجرامي، ووجهت إنتقادات شديدة اللهجة إلى المسؤولين عن هذا العمل غير المسؤول. ويمكن إيراد بعض هذه الردود والإنتقادات، وذلك على الشكل الآتي:

يتسحاق شامير :على نتنياهو الإستقالة فوراً، فرائحته باتت تزكم الأنف. العديد من الوزراء سواء في الحكومة أو من خارجها طالبوا بإستقالة داني ياتوم .

كندا :إستدعت سفيرها في إسرائيل ووجهت رسالة تحذير الى الحكومة الإسرائيلية.

يهودا باراك رئيس حزب العمل وجه إنتقادات كثيرة إلى هذا التصرف الأرعن، واعتبره ضرراً إستراتيجياً لمصالح إسرائيل في الأردن .

وفي الإطار ذاته، تمّ تشكيل لجنة تحقيق مؤلفة من :

يوسي تسحنوبر:كان يعَمل مستشاراً في وزارة الدفاع.
ناحوم أدموني :رئيس الموساد عام ١٩٨٣.
رافي بيلد : ضابط سابق في الاستخبارات العسكرية .

توصلت لجنة التحقيق الى تحميل المسؤولية لرئيس العمليات، فقدم إستقالته من منصبه. كذلك وجهت صحيفة هآرتس بقلم محررها زئيف شيف إنتقادات لاذعة إلى الحكومة والموساد ، ومما جاء في تلك الإنتقادات :

إنّ قضية إغتيال وتصفية خالد مشعل في عمان تشكل ضرراً إستراتيجياً خطيراً، وأحد العمليات الميدانية الفاشلة التي نفذها الموساد الإسرائيلي . لا يمكن أن يمر هذا الفشل دون إعادة الحسابات لأنه يشكل ضيقاً رؤيوياً أكثر من اللازم عند مسؤولي الأجهزة الأمنية.

إنّ مثل هذا العمل في دولة تحترم نفسها يؤدي الى طرد المسؤول أو إستقالته، وهناك رؤساء إستقالوا بسبب عمل فاشل قاموا به، فكيف الحال اذا كان المسؤول رئيس جهاز أمني.

إنّ هذا الفشل سيؤدي إلى زعزعة مؤسسات الموساد والمس هيبتها ومكانتها ، ولا يجب أن نتجاهل الضرر الذي لحق بها بسبب كشف أسرارها في الأردن وأمام الرأي العام.

وهذا هو التقرير المعروف بتقرير لجنة "شحنوبر" (أو تسحنوبر) حول هذه القضية ، تعميماً للفائدة.

تقرير لجنة (شحنوبر) حول محاولة إغتيال خالد مشعل (٥).

مدخل:

في ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٧ نفذت محاولة لاغتيال خالد مشعل في الأردن. وفشلت العملية وضبط المنفذان واعتقلا.

في ٦ تشرين الاول (نوفمبر) ١٩٩٧ قررت حكومة إسرائيل إقامة لجنة تقصي حقائق لدراسة عملية الموساد ضد خالد مشعل. وعقدت اللجنة ٤٧جلسة واستمعت إلى ٣٥ شاهداً بعضهم ظهر أمامهم أكثر من مرة وعاينت مئات الوثائق والأوراق . أجرت اللجنة كل جلساتها بصورة سرية في منشأة مغلقة وسط البلاد.

ومن منطلق الرغبة في التركيز على المواضيع الأساسية المرتبطة بفشل العملية في الأردن، فقد حددت اللجنة لنفسها مجال عملها. رغم أن الحكومة لم تقيدها في كتاب التعيين وحددت أنها ستتناول الموضوع منذ

اليوم الذي صودق فيه على إعتبار خالد مشعل كهدف للعملية وحتى وقت إعتقال إثنين من رجال الموساد من قبل السلطات الأردنية .

وصف العملية :

في ٢٥ايلول (سبتمبر) ١٩٩٧ تواجد رجال الموساد أمام مكتب حماس في عمان بهدف إغتيال خالد مشعل. صحيح أن العناصر تمكنوا من إصابته بواسطة مادة قاتلة و لكن فور ذلك تدخل في الحادث السائق الشخصي لخالد مشعل وحارسه . ونجح السائق، الذي شاهد ما فعله العنصر ضد مشعل في ضرب العنصر على يده ، بواسطة صحيفة كانت بيده ، فيما بدأ الحارس بملاحقة العناصر ونجح كما يبدو في تسجيل رقم السيارة التي هربوا فيها. واستقل سيارة لملاحقتهم دون أن يلاحظوا أنه يسير في أعقابهم . وبعد نحو ٣٠٠ متر أوقف العناصر السيارة التي هربوا فيها ونزلوا منها. وركض الحارس باتجاههم وهجم عليهم بمساعدة شرطي بلباس مدني تصادف وجوده في المكان ، نجح في التغلب عليهم واعتقالهم . ونقل العناصر من قبل الشرطي والحارس بسيارة أجرة مرت من المكان إلى أقرب مركز شرطة .

وحين علم في البلاد بأمر إعتقال العناصر إنتقل رئيس الموساد بتوجيه من رئيس الحكومة ، إلى الأردن بهدف إطلاع الملك حسين على ما حصل. وحمل رئيس الموساد معه الى الأردن المادة المضادة من أجل

معالجة خالد مشعل . تلقى خالد مشعل المادة، وتم إنقاذ حياته. وفي المفاوضات التي جرت في السياق للإفراج عن الشيخ ياسين وعدد آخر من المعتقلين توافق السلطات الأردنية على الإفراج عن العناصر وتمكينهم من العودة الى البلاد.

من هو خالد مشعل ؟

خالد مشعل هو رئيس الدائرة السياسية لحماس في عمان العاصمة الاردنية . وكان خالد مشعل قد شغل المنصب الذي كان يشغله أبو مرزوق. وإضافة الى مهامه السياسية يقود خالد مشعل ، من مكان وجوده في الأردن أطراً مختلفة في اوروبا وفي إسرائيل، تبادر، وتشجع وتنفذ عمليات . وبواسطة مكتبه يتم التمويل.

تنفيذ العملية في الاردن :

حقيقة وجود قيادة حماس في الأردن ونشاطها الواسع من هذا المكان، فرضت على إسرائيل مشكلة كبيرة، إن قرار تنفيذ العملية في الأردن إستند إلى السياسة التي تحدد أنه بعد التأكد من وجود (مدينة لجوء) آمنة في إسرائيل فإن يد إسرائيل ستصل إلى كل مكان من أجل ضرب من ضربوا اليهود، أينما كانوا.

وقد اعتادت كل حكومات إسرائيل إتباع هذه السياسة التى اتبعتها الحكومة الراهنة لذلك لم تجد أي مجال لانتقاد إعتبارات هذه السياسة . مع ذلك تقترح اللجنة أن تقوم الحكومة ببحث الموضوع وتحديد أطر وطرق تنفيذه .

إن تنفيذ العملية في الأردن تم على قاعدة الفرضيات التالية :

طرق تنفيذ العملية يجب أن تضمن عدم ترك (بصمات أصابع) إسرائيل عليها من أجل أن لا يستطيع أحد إذا نجحت العملية، توجيه إصبع الإتهام ضد إسرائيل . وبلغة رجال الاستخبارات إنه يدور الحديث عن (عملية هادئة). وإمكانية أن تفشل العملية ، والآثار التنفيذية والتخطيطية الناجمة عن هذه الإمكانية لم تؤخذ بالحسبان من قبل المخططين والذين صادقوا على العملية في الموساد .

بما أن العلاقات السلمية بين الأردن وإسرائيل وتعزيزها يعتبران حجر الأساس للسياسة الإسرائيلية حتى لو وقع خلل ما فإن الأمر لن يمس بنية العلاقات بين إسرائيل والأردن. ويؤكد في هذا الصدد أن فرص وقوع خلل، كانت بالنسبة للمخططين، ضئيلة جداً، ولما كانت العلاقات التي تطورت في أعقاب إتفاق السلام مع الأردن ذات قيمة عالية في نظر الأجهزة السرية فقد اعتقد الجميع أن تنفيذ العملية ((بصورة هادئة)) لن يمس بالملك أو بالنظام الهاشمي في الأردن .

وقد وافق على هذه الفرضيات الأساسية كل قادة أجهزة الإستخبارات ومعظم الشهود الذين ظهروا أمام اللجنة رغم أنهم لم يتفقوا في الرأي حول موعد تنفيذ العملية . ولكل واحد مبرراته.

النتائج

نتائج تنظيمية :

ثمة عدة أسباب أدت في نهاية الأمر الى فشل العملية في الأردن تفاعلت مع بعضها البعض. ولكن السبب الأساسي كان جموداً فكرياً ألمّ بالمخططين والمصادقين والمنفذين للعملية الذين إعتقدوا أنه تتوفر لديهم وسيلة قتالية وأسلوب عمل يضمن ((العملية الهادئة)) الخالية من المخاطر تقريباً، أي أن السلاح لا يثير ضجة والنتيجة الفورية لإصابة الهدف لا تظهر للعيان بعد العملية . واعتقد الجميع أن العملية المقترحة تمكن من تنفيذ العملية بدون أن يشعر بها أحد ولن يخطر على بال أحد بأنه تم تنفيذ مثل هذه العملية . ولا خوف من أن تؤدي هذه المادة القتالية ، التي يحملها المنفذ، والتي تختلف مثلاً عن المسدس، إلى التوصل إلى اعتقاد بوجود عملية تخريبية وبذلك لا يمكن توجيه إصبع الإتهام باتجاه إسرائيل.

إن نظرية ((العملية الهادئة)) هذه المصاحبة لافتراض فرصة ضئيلة لفشل العملية لم تأخذ تقريباً بالحسبان إمكانية فشل العملية ، لسبب ما

وأن تتحول إلى ضجيج . إن التخطيط ، الخطط، والإستعدادات للعملية لم تعط وزناً كافياً لمثل هذه الإمكانية . وحتى بعد عرض الخطة أمام رئيس الحكومة لم يتم بحث هذه الإمكانية أمامه. منذ البداية كان يحظر إعداد الخطة على هذا النحو وبالتالي لم يكن بالإمكان طرحها أمام رئيس الحكومة بصورة ضارة.

أثناء عملها وقفت اللجنة أمام عدة أخطاء بنيوية وتنظيمية في الموساد. إعتقدت اللجنة أن هذه الأخطاء ساهمت في إيجاد هذه النظرية الخاطئة وتبنّي أساليب عمل أدت إلى إجراءات وخطوات خاطئة وناقصة. لقد أشارت اللجنة إلى هذه الأخطاء بإسهاب في التقرير الكامل ورأت أن ثمة ضرورة للتطرق في التقرير الذي قدمته إلى طرق التنسيق بين الأجهزة الإستخبارية خاصة لطرق لجنة رؤساء الأجهزة . وحتى في هذا المجال أوصت اللجنة بإجراء عدة تعديلات. لقد درست اللجنة أيضاً موضوع إقامة مجلس الأمن القومي ووصلت إلى نتيجة بأنه ثمة شك كبير في إمكانية إقامة مثل هذه المؤسسة في ظل المعطيات القائمة . وبسبب هذا الشك لم توص اللجنة بإقامتها .

وسجلت اللجنة أيضاً رأيها في المبنى الإستشاري في مكتب رئيس الحكومة ، في كل ما يتعلق بمعالجة المواد الإستخبارية .

وأوصت اللجنة بأن يتم تعيين مساعد خاص لرئيس الحكومة في شؤون الأمن والإستخبارات، برتبة عالية تقابل اللواء في الجيش أو رتبة مشابهة . وهذا المساعد، الذي يكون خبيراً في الشؤون الإستخبارية سيركّز ويعزز كل المعلومات التي تتدفق إلى مكتب رئيس الحكومة في المجال الإستخباري. ويكون المساعد بمثابة الأذن والفم لرئيس الحكومة تجاه الأجهزة الإستخبارية . ويشارك في صورة دائمة في لجنة رؤساء الأجهزة السرية ويلفت نظر رئيس الحكومة للقضايا الأساسية في هذا المجال . وليس من المعقول أن نتوقع من رئيس الحكومة أن يتعاطى بنفسه مع كل المواد الهائلة في مجال الاستخبارات التي تصل إلى مكتبه.

ليس هناك نية في أن يشكل هذا المساعد فاصلاً بين رئيس الحكومة وأجهزة المخابرات أو يستبدل السكرتير العسكري لرئيس الحكومة الذي يقوم بالصلة بين رئيس الحكومة والجيش. ومن أجل عدم خلق إزدواجية بين مكتب السكرتير العسكري وبين مكتب المستشار المقترح لشؤون الأمن والإستخبارات، أقترح أن يعمل الإثنان في مكتب واحد، ووفقاً لرتبهم العسكرية يكون الواحد مرتبطاً بالآخر.

نتائج شخصية :

حاول رئيس الموساد ورئيس القسم المسؤول عن وحدة العناصر إقناعنا بأن تصرفهما والخطط والإستعدادات التي سبقت العملية كانت

كلها سليمة وأن أخطاء العناصر أثناء العملية هي التي سببت في هذا الفشل. لم نرد القول بأن العناصر لم يخطئوا أثناء الحادث،ولكن يبدو لنا أنه لايجب تحميل مسؤولية الفشل للعناصر ، حسب رأينا،فإن أخطاء العناصر أثناء العملية وقعت بِصورة غير قليلة بسبب أخطاء في الرأي ، والتخطيط والخطط والتدريبات .

في كل هذه الأمور وجدنا أن مسؤولية رئيس الموساد و "ح" رئيس القسم المسؤول عن وحدة العناصر كبيرة جداً.

وبعد أن تبلور لدينا الرأي بأن الأسباب الرئيسية للفشل كانت الأوساط التي ذكرناها أعلاه رأينا من الصواب أن نقدم نتائجنا لرئيس الموساد ورئيس القسم المسؤول عن وحدة المقاتلين، وأن نوضّح لهما ما هي القضايا التي نعتقد أنهما إرتكبا أخطاء بشأنها ولذلك سيتضرران من نتائجها، وطلبنا منهما موقفهما من هذه القضايا.

كل واحد منهما رد علينا خطياً وتطرق بصورة مختصرة إلى القضايا التي عرضناها أمامه. لقد توصلنا إلى النتائج الشخصية، مثلما نشرت في التقرير بإسهاب، وستذكر هنا، بعد أن أخذنا بالحسبان ردود كل واحد من المذكورين أعلاه.

وفي ما يلي رأينا حلاً حول كل واحد من الأطراف المرتبطين بالمصادقة على التخطيط:

رئيس الحكومة :موقف كل أعضاء اللجنة .

درسنا أداء رئيس الحكومة في هذا الموضوع خاصة لكونه المسؤول المباشر عن عملية الموساد . وبذلك حاولنا أن نحدد لأنفسنا مقاييس عمل غير منحازة بقدر الإمكان، بموجبها نستطيع أن نحلل الإجراءات التي اتخذها ، حين درس وصادق على خطط إغتيال خالد مشعل. وكوسيلة مساعدة حاولنا مقارنة طريقة معالجة رئيس الحكومة الحالي مع الطرق التي استخدمت في حالات مماثلة من قبل رؤساء حكومات سابقة.

وبعد إجراء طريقة معالجة رئيس الحكومة مع المقاييس التي وضعناها لأنفسنا توصلنا الى استنتاج بأن رئيس الحكومة عالج هذه الحالة بصورة معقولة. لقد درس وفكر بالخطط التي عرضت أمامه من كل زاوية نتوقعها . ومن خلال محاضر الجلسات في مكتب رئيس الحكومة توصلنا الى قناعة بأن رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو إهتم بتفاصيل الخطط بالقدر الذي نتوقعه من أي رئيس حكومة. لقد إقتنعنا أن رئيس الحكومة كرر وطلب أن يتم تنسيق العملية مع كل رؤساء أجهزة الإستخبارات بحيث يعلم الجميع بها واتضح لنا أنه في مكتب رئيس الحكومة جرت عدة نقاشات إلى أن تمت المصادقة على العملية وتنفيذها.

لقد سألنا أنفسنا ما إذا كان أداء رئيس الحكومة في موضوع العملية ضد مشعل يختلف عن رؤساء حكومة سابقين في ظروف مشابهة . ومن

أجل ذلك طالعنا محاضر مصادقه على عمليات مشابهة في الماضي وكذلك سمعنا إفادات رؤساء حكومة سابقين. وتوصلنا الى استنتاج بأن رئيس الحكومة تصرف في هذه الحالة بطريقة لم تتجاوز الأعراف المألوفة في حالات مماثلة في السابق.

لقد درست اللجنة ايضاً سؤالاً بشأن ما إذا كان رئيس الحكومة قد مارس ضغطاً غير معقول من أجل تنفيذ العملية (بسرعة وبأي ثمن) من أجل أن يكون رداً فورياً لأعمال الإرهاب في سوق محنية يهودا وشارع بن يهودا في القدس . لقد توصلنا الى استنتاج بأنه لم يمارس أي ضغط غير معقول من جانب رئيس الحكومة في هذا المجال.

لذلك، لم نجد أي دليل بوجود خلل في تصرف رئيس الحكومة كمسؤول عن نشاطات الشاباك . واللجنة لم تَرَ من الصواب الدخول في مسألة المسؤولية الإدارية لرئيس الحكومة لهذا الفشل. لقد سبقتنا في هذا الموضوع لجان تحقيقٍ قررت أن موضوع المسؤولية لا يقع ضمن اختصاص لجنة تحقيق أو لجنة تقصي حقائق، بل يقع في مجال علاقة الناخب مع ممثليه ولا يعني قولنا هذا أن ثمة خلل ما في الزاوية السياسية في تصرف رئيس الحكومة.

رئيس الموساد:

لقد تم تعيين داني ياتوم في منصب قائد الموساد قبل نحو سنة ونصف وكان آخر منصب له قبل تعيينه هو السكرتير العسكري لرئيس

الحكومة برتبة لواء في الجيش (...) وبظهوره أمام اللجنة تطرق داني ياتوم الى مسألة مدى إلتزام رئيس الموساد للإطلاع على تفاصيل خطط أحداث الموساد أثناء المصادقة على تنفيذه. لم نشأ أن نرد على هذه المسألة بصورة عامة ، ولكن ليس لدينا أدنى شك في حقيقة أنه قبل المصادقة على خطة عمل من هذا النوع يجب على رئيس الموساد، تفحص تفاصيلها.

وجدنا أن المستويات الكبيرةالتي كانت شريكة في المصادقة على الخطط وطرح الموضوع، مصادقة رئيس الحكومة كانت من بين العوامل الأساسية لفشل العملية وأشارت اللجنة إلى سلسلة من الأخطاء والخلل في الرأي الأساسي الذي تبلور في الموساد، والذي يقضي أن العملية كانت ستتم بصورة هادئة.

هذه الأخطاء والخلل وجدت في عملية التخطيط في مبنى الخطط والمواد المستخدمة لتنفيذها.

نعتقد أن رئيس الموساد أخطأ في طريقة معالجته للعملية والمصادقة عليها، لم يكن من الصواب التعامل مع هذه العملية كعملية هادئة دون اتخاذ مسائل مناسبة في حالة تحول العملية إلى (عملية مثيرة للضجة).

تعتقد اللجنة أن رئيس الموساد كان يمتلك الوقت الكافي لإنشاء نقاش آخر أكثر تنظيماً مع رؤساء أجهزة المخابرات قبل التنفيذ. من المعروف

أن هذا كان يجب أن يتم. مع ذلك إعتقدت اللجنة أن قادة أجهزة المخابرات علموا من قبل رئيس الموساد بشأن إمكانية تنفيذ العملية ضد مشعل.

رئيس الموساد هو رجل ضليع وخبير في مجال العمليات الميدانية_ العسكرية ، ويمكن أن نتوقع منه قبل المصادقة على الخطط أن يقف على الأخطاء الكثيرة التي تكشفت لنا أثناء فحصنا، وأن يعمل على تعديلها وأن لا يصادق على خطة ناقصة وخطط معطوبة . لذلك كان من الأجدر لرئيس الموساد أن يوضح لرئيس الحكومة بصورة أكثر تفصيلاً الآثار التي كانت مرتبطة بتنفيذ الخطة في المجال التنفيذي والسياسي.

ومن الجدير بالإشارة الى أن جزءاً لا بأس به من نظرية القتال التي استخدمت في الخطة كانت من ثمار آراء وطرق عمل تطورت وتحددت في الموساد خلال سنتين ، ورئيس الموساد واصل طرق التخطيط والتنفيذ التي تبلورت في الموساد قبل وقت.

إجمالي موقف أغلبية أعضاء اللجنة:

أعتقد أنه بحكم دورنا في لجنة تقصي الحقائق، درسنا بدقة كل ما كلفنا به بشأن داني ياتوم، رئيس الموساد، وأشرنا الى القضايا التي نعتقد أنه أخطأ فيها وعددنا أسباب هذه الخطة لم نجد من المناسب التقدم

أعتقد أنه بحكم دورنا في لجنة تقصي الحقائق، درسنا بدقة كل ما كلفنا به بشأن داني ياتوم، رئيس الموساد، وأشرنا الى القضايا التي نعتقد أنه أخطأ فيها وعددنا أسباب هذه الخطة لم نجد من المناسب التقدم بتوصية أمام الحكومة في المجال الشخصي لكوننا نعتقد أنه يجب ترك هذا الموضوع لقرار الحكومة لكي تستطيع التعامل معه بعد أن تدرس الحقائق والتوصيات الواردة في التقرير.

موقف الأقلية_رافي بيلد:

حين تم استخلاص النتائج التي توصلت اليها اللجنة إستناداً الى المادة التي اطلعت عليها في كل ما يتعلق بدور ومدى مسؤولية رئيس الموساد بفشل العملية في الأردن، فإنه من الصحيح أن نمتنع عن تقديم توصيات شخصية . والأكثر من ذلك حسب رأيي ، فإن ذلك من واجب اللجنة. وعلى ضوء ما جاء أوصي بأن لا يواصل داني ياتوم أداء منصبه كرئيس للموساد .

وبالفعل، لم يواصل ياتوم اداء منصبه فقدم إستقالته بعد ذلك وعين بدلاً منه افرايم هاليفي. لكن ايهود باراك ، خليفة نتنياهو ، أعاد لياتوم هيبته وعينه على رأس لجنة متابعة عملية السلام مع الأردن(فضلاً عن كونه مستشار باراك الرئيسي للشؤون الأمنية) التي تضم ايضاً المديرين العامين برئاسة مجلس الوزراء ووزارة الخارجية(٦).

هوامش/ فضيحة محاولة إغتيال خالد مشعل

(١) غوردون طوماس " إنحطاط الموساد ". ترجمة محمد معتوق. دار بيسان. بيروت. الطبعة الاولى . نيسان ٢٠٠٠ . ص ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق نفسه . ص. ٣٥٧ .

(٣) المرجع السابق صفحة ٣٦٤ ."والسفير " الجمعة ٢٦ تموز ٢٠٠٢ . ص ١٦.

(٤) راجع كتاب: مروان توفيق النمر وربيع سلمان رشيد " الموساد والإخفاقات الأخيرة".دار الفارابي. بيروت ١٩٩٨. ص ١٢٦_١٣٥ .

(٥) أنظر كتاب: قصي عدنان عباسي " المخابرات الإسرائيلية/أسرار وحقائق" منشورات دار علاء الدين . الطبعة الاولى ٢٠٠٢. ص ٢٠٩ _٢١٧.

(٦) راجع جريدة "السفير" الجمعة في ٢٠آب١٩٩٩ . ص ١٨.

الفصل الثامن

فضيحة يهودا غيل فشل موسادي فادح

يعتبر عميل الموساد " الأسطوري " يهودا غيل من ألمع ضباط جهاز الإستخبارات الإسرائيلية في التزوير والكذب ... ليس ضد الغير ، بل ضد الموساد ودولة الإحتلال الصهيوني ذاتها .

ولعلّ أصدق " الشهادات " هي تلك التي تصدر أحياناً عن " المعلم " وعن "التلميذ" معاً . وهذا ما حصل بالنسبة للمدعو " يهودا غيل ".

فقد قال عنه " معلمه "، رئيس الموساد داني ياتوم أن " فضائح الموساد كثيرة ، لكن أحداً لم يتجرأ أن يكتب عنها عبر وسائل الإعلام الغربية ". لكن فضيحة "يهودا غيل " شكلت الضربة القاسية للموساد ولدورها حيث راحت وسائل الإعلام تكتب وتفضح وتحذر من نتائج هذا الدور في كل العالم . لم نخدع أحداً ، ولكننا خدعنا أنفسنا " (١) .

أما "تلميذه" فيكتور أوستروفسكي ، (صاحب كتاب "عن طريق الخداع") فقد قال:" إن يهودا غيل خبير في الكذب والخداع والتضليل والشك ، وإقامة المكائد ". وأضاف أوستروفسكي :" هناك رجال كثر

في الموساد اعتادوا أن يتصرّفوا بأموال خصصت لمصادر معلوماهم ، وكثر أيضاً الذين يقدّمون معلومات كاذبة في الموساد. فيهودا (غيل) ليس الأول ، لكنه رقم (١) في الكشف عنه"(٢) .

أما الصحف ووسائل الإعلام الصهيونية فإنها وصفته بأنه أكذب شخصية في الموساد ، وأكذب ضابط جمع معلومات . إنه مزوّر ... مخادع ... كاذب ... تافه.

والواقع ، أن كل هذه الأقوال جاءت في أعقاب الفضيحة ، الأكثر مرارة في الموساد منذ فشلها الذريع الذي أصابها في أعقاب حرب تشرين ١٩٧٣... تلك الفضيحة المتمثلة باعتقال "يهودا غيل " بعد سنوات طويلة في "التحايل والكذب" على الموساد ... وإسرائيل بأجمعها . فمن هو يهودا غيل ؟ وما هو دوره في هذه القضية _ الفضيحة ؟ .

ولد يهودا غيل في ليبيا عام ١٩٣٤ حيث كان والده ضابطاً مالياً في القوات الفاشية الإيطالية (موسوليني) التي غزت ليبيا واحتلتها عام ١٩١١. مما أفسح المجال ليهودا أن يتكلم اللغتين العربية والفرنسية ، إضافة الى الإيطالية والإنكليزية بشكل جيد .

هاجر مع الكثير من اليهود من ليبيا الى فلسطين المحتلة ، وكان عمره لا يزيد عن(١٤) عاماً . كان إسمه آنذاك يهودا جناح بن موشيه جناح .

تجنّد يهودا غيل في البداية كضابط في المدرسة الحربية ، وعيّن مسؤول إنضباط ، حيث كان والده يعمل هناك ، وكان مشهوراً بإسلوب القوة

والتبجح والتفاخر . وكان يضرب تلاميذه في المدرسة الحربية . وفي عام ١٩٧٠ إنضم الى الموساد كضابط جمع معلومات حيث كان اللواء تسفي زامير مسؤولاً عن الموساد في تلك الفترة التي كان يتفاخر فيها بأنها زمن أسطورة الموساد الخرافية ..(٣) .

هذا ، وتحت عنوان "سيرة شخصية " ليهودا غيل ، كتبت صحيفة السفير تقول :

"تعيش الإستخبارات في كل دولة على أساطير تغذي نفسها بنفسها من خلال السرّية والغموض اللذين يحيطان بالعمل الإستخباري ويسهم أعضاء هذه الأجهزة في الغالب الأعمّ ، ولاعتبارات تتعلق بمكانتهم في المجتمع الذي يعيشون فيه على عدم تحطيم الأسطورة ، بل ومحاولة تعزيزها ، ولو بالأكاذيب ".

وتضيف "السفير" قائلة :" ويختلف جهاز هذه الدولة عن تلك بمدى إقتراب أو إبعاد أسطورته عن الواقع العملي ومدى إتكشاف الحقائق المجردة حوله . ومن بين الأجهزة التي حظيت بصورة أسطورية هائلة ، كان جهاز الموساد . غير أن هذه الصورة شرعت في التردّي ليس فقط بسبب ما ينشره عملاء سابقون لها عنها ، وإنما بسبب ما يتبدّى من أداء هذا الجهاز ، الذي قبل عامين تلقى عدة ضربات موجعة في جنيف وقبرص وعمّان في الأردن .

غير أنه ، ومن دون ريب ، تلقى الموساد ضربة بالغة الإيلام من خلال إكتشاف "يهودا غيل" الذي عمل طوال سنوات على تغذية الحكومة الإسرائيلية بمعلومات مختلقة بقصد تحسين موقعه في الجهاز الإستخباري" (٤) .

والواقع أنه كان ليهودا غيل طموح كبير ، وقد سعى لتحقيق ذلك منذ أول حياته العسكرية، حيث عمل كما ذكرت الصحف ، دليلاً للإستخبارات في صفوف اليهود أنفسهم عندما كان طالباً في مستوطنة (تسفايحيم). ولقد استطاع من خلال عمله في الموساد أن يرضي غروره، ويلبي ما يطمح إليه من زيارات للدول الأوروبية ، وارتياد المطاعم الفاخرة ، وتحقيق الملذات والمسرّات ، وجمع المبالغ الطائلة .

وفي هذه المستوطنة ، أحب يهودا غيل شابة إسمها "روحا" هي إبنة الطليعي الإنكليزي "جيرتيس" الذي كان من أوائل مؤسسي مستوطنة "تسفايحيم"

سرّح غيل من الخدمة عام ١٩٨٩بناء على طلبه بعد أن أصيب بخيبة أمل حيث وجد رفاقه يتدرّجون في مناصب عاليه ومراكز هامة ، وهو يراوح في مكانه . بعد تسريحه من الخدمة ، حاول غيل أن يرضي غروره عن طريق العمل في السياسة ، لذلك إنضم الى حركة "موليدات" اليمينية المتطرفة . وهذه الحركة ضد "عملية السلام"، وضد الإنسحاب من الجولان ، لكنه فشل تماماً في الوصول الى القيادة. ورشح نفسه في

الإنتخابات البلدية ،وفشل أيضاً ، فبدأ يعاني حالة نفسية سيّئة ، إقترح عليه إبنه الذي هو كذلك ، ضابط في الجيش الإسرائيلي برتبة ملازم أول في سلاح الميدان ، أن يقوم برحلة الى الخارج.

وفعلاً توجه غيل في رحلة الى الخارج عاد منها متوجهاً فوراً الى الموساد ، وقدّم رزمة من التقارير مفادها: أن المصدر الذي كان يعمل معه منذ عام ١٩٧٥ وهو سوري ، وافق مرة ثانية على تقديم معلومات ، مع العلم أن يهودا غيل كان قد قدّم تقريراً عام ١٩٨٩ يقول فيه أن المصدر هذا قد تقاعد من عمله ، ولم يعد يستطيع تقديم معلومات له . وعلى ما يبدو، أن يهودا غيل أراد متابعة هذه الكذبة التي بدأها عام ١٩٧٥ عندما ادّعى أن هناك مصدر معلومات سورياً يقدم له معلومات هامة عن سورية.

ومن المفيد هنا أن نذكر أنه رفض مرات عديدة تسجيل أي لقاء معه ، أو مشاركة أحد في اللقاءات التي كان يعقدها حسب ما ذكرت وسائل الإعلام ، ومصادر الموساد؛ ومع ذلك وافقت قيادة الموساد وأعادت غيل الى العمل وبدأ يتابع مشواره، ويقدم المعلومات الكاذبة التي كان يسمعها من وسائل الإعلام،ومن رفاق شعبة الإستخبارات والشين بيت.

لقد استطاع غيل خلال هذه السنوات من الخداع والكذب والتضليل ، سحب مبالغ طائلة من الموساد ، وقد عثر في شقته يوم القبض عليه ، على مبلغ ١٥٠ ألف دولار ، ناهيك عن حسابه في

الخارج الذي لم يزل سراً عن وسائل الإعلام ، لكن هذه الأسرار ليست خافية بالطبع على لجنة التحقيق، والموساد بشكل عام ، الذي يفترض أن يكون لديه إيصالات القبض الخاصة بيهودا غيل بدقّة، وبتواريخها المحدّدة أيضاً . مع العلم أن محامي يهودا غيل ذكر أنه انهار منذ اليوم الأول للتحقيق ، واعترف أنه كاذب ومخادع وفاشل طوال حياته العملية (٥).

أما عن كيفية إكتشاف أجهزة الموساد لهذه الفضيحة التي أطلق عليها إسم "فضيحة يهودا غيل"، فتذكر بعض المراجع أن المحكمة الإسرائيلية أدانت يهودا غيل بأنه أرسل الى المسؤولين عنه في الموساد معلومات مختلقة بينها أن السوريين ينوون القيام بعملية عسكرية مباغته في الجولان.

وفي أعقاب هذا "البلاغ المعلوماتي الخطير" درست المؤسسة العسكرية والحكومة الإسرائيلية أمر تجنيد قوات الإحتياط .

وقد تدخلت الولايات المتحدة في حينه لتهدئة المخاوف . وتمّ إستخدام قضية يهودا غيل في الإنتخابات الإسرائيلية ، عندما إتهم أمنون شاحاك ، بنيامين نتنياهو بأنه كان يتصرف بشكل متهوّر في اللحظات الحرجة . وأشارت الصحف الإسرائيلية حينها الى أن شاحاك كان يقصد أن نتنياهو واعتمادا على معلومات ليهودا غيل أمر بتجنيد القوات الإحتياطية ، غير أن شاحاك ووزير الدفاع آنذاك إسحاق مردخاي عارضا ذلك ، وأيدهما رئيس شعبة الإستخبارات .

وثبت للمحكمة الإسرائيلية أن يهودا غيل إختلق "العميل السوري رفيع المستوى ". ورأت أن الإدانة تنبع من حقيقة أن غيل كان "يعلم أن لمعلوماته أثراً حاسماً على أمن الدولة ، لأن أجهزة المخابرات وجهات عليا سواء في الجيش الإسرائيلي أو في المستوى السياسي تولي معلوماته أهمية قصوى "(٦) .

والجدير بالذكر ، أن شعبة المراقبة في الموساد ، قامت وبأمر من رئيس الموساد داني ياتوم ، بعملية متابعة ومراقبة دقيقة ليهودا غيل ، إثر المعلومات التي قدّمها حول الوضع العسكري على الجبهة السورية، وخصوصاً على جبهة هضبة الجولان المحتل.

وتمخّضت هذه المراقبة والمتابعة الدقيقة عما يلي :

خرج يهودا غيل من مطار بن غوريون الى دولة أوروبية ، وأقام في فندق فاخر جداً ، وابتاع أغلى الملابس والحاجات له ولأولاده ، ثم دخل الى مكان خاص أمضى فيه أربعين دقيقة ، بعدها عاد الى إسرائيل وقدّم تقريراً مفاده أنه عقد إجتماعاً مع المصدر دام سبع ساعات ، وقدم طبعاً معلومات مزوّرة نقلاً عن لسان المصدر . عندها تأكدت شعبة المراقبة من أن يهودا غيل كاذب ومخادع حيث تمّ اعتقاله ، وكان ذلك في شهر تشرين الأول سنة ١٩٩٧، وأحضر الى رئيس الموساد وهيئة محققين ، وبمجرد سؤاله ومواجهته بالحقيقة إنهار وبدأ يبكي ويصرخ ، حتى أنه حاول الإنتحار ...

إنه يقدم معلومات كاذبة ومزوّرة الى رئاسة الموساد منذ أكثر من عشرين عاماً . غير أن الصحافة الإسرائيلية ذكرت إسم يهودا غيل فقط في مطلع شهر كانون الأول من عام ١٩٩٧، تلافياً للفضيحة... لكن رائحة الفضائح لا يمكن أن تحصرها مقرات الموساد ولا أقبيتها ولا تكنولوجيتها المتفوقة ... لذلك أزكمت الأنوف (٧) .

واليوم يبلغ غيل من العمر ٦٧عاماً ، قضى أكثر من نصفها في العمل في صفوف الموساد . وحسب الصحف الإسرائيلية كان يعتبر ضابط جمع معلومات جيداً ، ولم يتقدم في صفوف الموساد إلا بعد أن شرع بإختلاق المعلومات . وبالعموم تقول عنه الصحف أنه لم يترك أثراً على محيطه ولم يتميز في قيادة أي طاقم ، وكان يتصرف دائماً كذئب منفرد .

وهكذا ، أمضى يهودا غيل ستة أيام في التحقيق قبل أن يرى محاميه "ييغال شبيرا" الذي كان من رجال الموساد سابقاً .

وقد أدانته المحكمة العليا الإسرائيلية بإيذاء أمن الدولة اليهودية بشكل خطير ، وسرقة عشرات الآلاف من الدولارات من أموال الموساد بدعوى تسليمها الى "عميل سوري رفيع المستوى" .وبعد أيام من صدور الحكم بسجنه لمدة خمس سنوات، سمحت المحكمة العليا الإسرائيلية بنشر قرار قضائي برفض الإستئناف الذي قدمه عميل الموساد (غيل) ضد الحكم الذي أصدرته المحكمة المركزية الذي قضى بسجنه هذه المدة .

أما الجهات الرسمية المسؤولة عن سلامته ، فإنها أصدرت توجيهات لوضع حراسة مشدّدة على مدار الأربع وعشرين ساعة في اليوم ، وتركيب عدسات تصوير لمتابعة تحركاته . ومحامي يهودا غيل ييغال شبيرا لم يَنْفِ إحتمال أن يقوم غيل بإرتكاب عمل متطرف بسبب وضعه النفسي . "لو كان الأمر مرهوناً به فإنه من الممكن جداً أن يقوم بارتكاب أي عمل بسبب تأنيب الضمير الذي يمر به حالياً " قال شبيرا، وأضاف :" محظور السماح بحدوث وضع كهذا . فالهيئة كلها وأنا معها نتحمل مسؤولية كبيرة بهذا الشأن " (٨) .

ومن خلال ذلك ، نرى أنه ليس من السهل على "جهاز إستخبارات أسطوري" _كما يدّعي الموساد_ أن يُخدَع حوالي ربع قرن من الزمن بهذا الحجم وبهذا المستوى، وأن تُمرّغ جبهته في الوحل وتُشوّه سمعته، وتتهاوى معنوياته الى الحضيض ، ويبقى بالتالي على غروره القاتل ... كما أنه من المؤسف أيضاً ، أن يدفع الطموح والمصلحة الشخصية بعملاء إستخبارات من هذا النوع الى إشعال حروب يسقط فيها مئات وآلاف الضحايا فضلاً عن التدمير والخراب ، من أجل الإقتصاص من جهازه ورؤسائه ، او بقصد المال والشهرة والبذخ . وكم هو جهاز الموساد مليئ بأمثال يهودا غيل ، إنْ لم يكن أخطر منه أيضاً.

ومما يجدر ذكره في هذا الموضوع أن بنيامينَ نتنياهو إنقضّ على داني ياتوم ، بعد فضيحة يهودا غيل ، واستجوبه بقسوة خلال إجتماع

عاصف في مكتب رئيس الوزراء حول كيفية إدارته لجهاز الموساد . ولم يكترث نتنياهو للقول بأن غيل أخفى خديعته بنجاح عن أربعة مديرين عامين سابقين للموساد . وكان ردّه بصوت عالٍ أنه كان على ياتوم أن يعرف . ثم وقع تشابك آخر بين الرجلين بسبب هذه المسألة ، وقال موظفو مكتب رئيس الوزراء أنهم لم يشهدوا تأنيباً شديداً مثله من قبل. وقد تسرّبت التفاصيل الى أجهزة الإعلام مما زاد في إحراج ياتوم(٩).

هوامش فضيحة يهودا غيل

(١) راجع كتاب : مروان توفيق النمر وربيع سلمان رشيد " الموساد والإخفاقات الأخيرة/ حقائق تكشف لأول مرة" . دار الفارابي . بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٨. ص١١٥.

(٢) المرجع السابق نفسه . ص ١١٧.

(٣) المرجع نفسه . ص ١١٥ ـ ١١٦.

(٤) جريدة "السفير" اللبنانية . العدد ٨٥٩٨ . الإثنين ١٥ أيار ٢٠٠٠. ص ٨.

(٥) مروان توفيق النمر وربيع سلمان رشيد . مرجع سابق .ص ١١.

(٦) جريدة "السفير". مرجع سبق ذكره. ص ٨.

(٧) صحيفة " يديعوت أحرونوت " الإسرائيلية في ١٩٩٧/١٢/١٢.
ومروان توفيق النمر ... ص١١٩. كذلك صحيفة "السفير". العدد نفسه .

(٨) المرجع السابق نفسه . كذلك كتاب :مروان توفيق النمر...ص ١٢٥. راجع أيضاً كتاب : غوردون طوماس "انحطاط الموساد/ إغتيالات وأكاذيب وارتزاق ". ترجمة محمد معتوق . دار بيسان. بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠٠. ص ٣٥٧.

(٩) غوردون طوماس . المرجع السابق نفسه . والصفحة نفسها.

الفصل التاسع

شبكة "رجا ورد"

حصاد وفير لموسم الزرع في الوقت المناسب

تعتبر شبكة " رجا محمود ورد" من أكبر الشبكات التجسسية وأهمها لدى جهاز الاستخبارات الإسرائيلي ، باعتباره كان المسؤول الأمني الثاني في منطقة "الشريط الحدودي" المحتل . وقد تمكنت أجهزة الأمن اللبنانية من إستقدامه الى المناطق المحررة وكشف شبكة تجسس يبلغ عدد أعضائها ٧٧ شخصاً .

هذا ، وقد انتمى رجا ورد الى ميليشيا اللواء العميل أنطوان لحد عام ١٩٨٨. واستمر بالخدمة في تلك الميليشيا الى العام ١٩٩٤. وقد حظي برتبة ملازم أول ، ثم طلب تسريحه في ذلك العام لينتقل الى ما يسمى "الإدارة المدنية" لمدة أشهر وبعدها الى المخابرات الإسرائيلية جهاز الـ ٥٠٤ كمسؤول عن إدارة شؤون الطائفة الدرزية أمنياً ، وجمع معلومات وتجنيد عملاء ...

رُقّي رجا ورد الى رتبة نقيب ، وكان مركزه حاصبيا ـ بلدته ـ ومسؤول عنه مباشره من اللبنانيين العميل نضال توفيق جمال من المحيدثة قضاء راشيا الوادي ومن سكان حاصبيا ، والذي تمكن من السفر الى الولايات المتحدة . وفور استلامه المهمة الجديدة عمل ورد على جمع

المعلومات الأمنية عن المناطق المحررة ، وتجنيد الأشخاص لصالح المخابرات الإسرائيلية . ولم يكتف بذلك ، بل وسع دائرة نشاطه نحو تهريب السيارات من فلسطين المحتلة الى الشريط المحتل .

وهذا ، وبعد أن شعر رجا ورد _ كما يقول _ بأن مرض العمالة بدأ يتغلغل أكثر فأكثر بين الناس ، وكثرت شبكات العملاء ، وأحسست بأن عملي لم يعد مجدياً ، قررت ترك المنطقة . وقد نفذت هذا القرار بتاريخ ٦ حزيران ١٩٩٨. فسلمت نفسي للجيش اللبناني وكشفت أمر هذه الشبكة المسماة " شبكة الـــ٧٧ " (وهذا ما جاء في مقابلته مع إحدى الصحف اللبنانية بمناسبة ذكرى تحرير الجنوب والبقاع الغربي) .

وغداة تمكّن أجهزة الأمن اللبنانية والسورية من إكتشاف هذه الشبكة التي نظمتها المخابرات الإسرائيلية ، وكانت توكل إليها مهمات خطيرة تتراوح بين التجسس والتخريب ، قال أحد مسؤولي المخابرات الإسرائيلية سابقاً "جدعون عيزرا" بأن جهاز الموساد مُني بهزيمة كبيرة ، لأن إحدى أهم شبكاته قد فككت وقضي عليها .

ويستدل من وقائع التحقيق مع أعضاء " شبكة الـــ ٧٧ " أن الإسرائيليين كانوا يعوّلون عليها كثيراً ، لأن نشاطها يشمل لبنان وسوريا ، ومهمتها جمع المعلومات عن الجيش اللبناني والسوري وحزب الله ، ورصد تحركات رجال المقاومة لكشف العبوات . لكن يد القضاء

كانت أقوى من قبضة أعضاء هذه الشبكة ، ومن هم وراءها من الإسرائيليين .

والحقيقة ، أن "شبكة الـ ٧٧" هذه لم تكن الشبكة الأولى التي أكتشف أمرها ، ولن تكون الأخيرة. وإن عمليات فشل "الموساد" واختراقاته وفضائحه ، ليست بالعدد القليل ، الى الحدّ الذي أصبح فيه "يستمرئ الهزيمة " في هذا الميدان ويبلعها ، ثم يعمل بكل طاقاته على تحويلها الى " إنتصار" ، بينما يكون مقتنعاً _ بينه وبين نفسه _ أنه مهزوم داخلياً .

وهذا ما يصحّ فيه قول "أحمد نبعة" (الذي اخترق جهاز "الموساد" لسنوات دون أن يكتشف أمره من قبل هذا الجهاز ، وكان مكلفاً من قبل مخابرات الجيش اللبناني بعملية الإختراق ، ونجح ، فجنّد العملاء ثم حصدهم) عن هذا الجهاز كما يلي : " ما أفرحني هو تحقيق النتيجة المرجوّة ، وما أفرحني أكثر هو أنني استطعت أن أكشف للعالم كله أن جهاز " الموساد" يشبه البالون ، وإن إبرة واحدة تثقبه ، وهو وهم، كالجيش الإسرائيلي الذي قيل عنه أنه أسطورة لا تقهر. وقد اخترقت الإستخبارات الإسرائيلية ولا تزال تخترق كما إخترقت أجهزة الإنذار المبكر على الحدود . وما إسرائيل (إلا دولة صنعت من كرتون)".

أما عن كيفية هروب رجا ورد من منطقة "الشريط المحتل" الى بيروت ، فقد تطرقت اليها مجلة "البلاد" على الشكل التالي :

كيف هرب "ورد" من حاصبيا ؟

في الساعة الحادية عشر والنصف من يوم ١٩٩٨/٦/٥ جهز العميل رجا محمود ورد سيارته الأميركية الصنع من نوع "كرايزلر" ووضع بداخلها جهاز "موتورولا" مع البطارية وشاحناً للبطارية وجهاز خليوي مع بطارية وشاحناً لها،وخريطة عسكرية إسرائيلية مبيناً فيها المراكز العسكرية الثابتة لميليشيا لحد ومواقع الجيش الإسرائيلي في"الشريط المحتل" وهذه الأجهزة كلها مسلمة له من قبل المخابرات الإسرائيلية _ جهاز ٥٠٤.

طلب ورد من زوجته الصعود معه في السيارة وانطلق بها نحو المناطق المحررة. ولدى وصوله الى حاجز ميليشيا لحد في كفرحونة وقبيل المرور عليه واجتيازه طلب من زوجته فاتن سعيد سابا النوم على المقعد الخلفي ووضع عليها شرشفاً ، ولم يتوقف على الحاجز بل أعطى إشارة بأن لديه" مصدر أمني " والإشارة متفق عليها ويمنع عليهم توقف السيارة ومشاهدة من بداخلها ولذلك إستطاع تجاوز الحاجز الى حاجز جزين الذي يوجد عليه عناصر تابعة لجهاز أمن ميليشيا لحد وجهاز ٥٠٤ ، فأوقف سيارته عند آخر حاجز واقترب من المسؤول الأمني عليه سمير

عون وأعلمه بأنه يوجد معه "مصدر أمني " ويتوجب عليه إيصاله الى محطة محروقات سرحال الواقعة ما بين حاجز باتر التابع للجيش اللبناني وحاجز ميليشيا لحد وأن هذه المحطة هي عبارة عن إستراحة للعملاء ، وطلب من العميل سمير عون عدم السماح لأي سيارة بمغادرة "الشريط المحتل " بغية عدم مشاهدة المصدر لغاية عودته. وانطلق بالسيارة لغاية حاجز الجيش اللبناني في باتر ، وسلم نفسه لعناصره ومنذ ذلك الحين بدأت فصول شبكة الـــ٧٧ عميلاً تتكشف وأخذت الإعترافات تتوالى.

وهذا نص مقابلته مع جريدة "المستقبل" .

إنخرط طوعاً في صفوف ميليشيا لحد وكسب ثقة العدو ، فخلف نضال جمال في تولي مسؤولية جهاز الإستخبارات الإسرائيلية الـــ ٥٠٤ في حاصبيا المتفرع من الموساد والمختص بتقصّي المعلومات عن نشاط المقاومة في شمالي إسرائيل .

أحدثت المهمة الأولى لـــ رجا ورد على رأس هذا الجهاز تغيراً جذرياً في حياته كمتعامل ، حيث تقرب من الحزب القومي السوري الإجتماعي بهدف جمع المعلومات عنه ، وما لبث أن انقلب على مستخدميه بتعاطفه معه واقتناعه لاحقاً بعقيدته الحزبية .وبدأ رحلة إختراق شبكات العدو التجسسية وأجهزته الأمنية ، خصوصاً بعد أن شهد مدى إحتقار العدو للعرب واستخدامه الميليشيا كأكياس رمل .

رفض ورد وصفه بالعميل المزدوج ، فهو عمل لجهة واحدة عن قناعة وخدم وطنه ولم يقم بشيء يجعله نادماً ، فهو لم يجند أحداً ويتحدى من يدّعي أن التعامل مع العدو هو غير إرادي .

وأعلن ورد أنه بصدد إعداد كتاب يتناول تجربته ويكشف المزيد من الأسرار .

"المستقبل" التقت به في مكتب النائب السابق أسعد حردان وأجرت معه هذا الحوار.

* من هو رجا ورد ؟
_ أنا شاب جنوبي ، عايشت فترة طويلة من الأحداث اللبنانية وتوجهت العام ٨٨ الى بلدتي حاصبيا حيث تزوجت مرتين ورزقت بصبيين وثلاث بنات .

* كيف التحقت بميليشيا العميل لحد ؟
_ دفعتني الأوضاع المادية المتردية ، كمعظم الشبان وفي ظل غياب الدولة ، للإنخراط في صفوف ما يسمى بميليشيا لحد ، وكنت حينها أبلغ من العمر ١٦ عاماً ، ولا أنتمي الى حزب معيّن وإنما قريب من الخط اليساري .

*ما هي المهمات التي قمت بها في الميليشيا ؟

ـ إنتميت الى الميليشيا كعنصر عادي وتابعت في الوقت نفسه دراستي ونلت شهادة الفلسفة في ثانوية حاصبيا الرسمية . وفي هذه الفترة حاول اليهود إستغلالي كوني متعلماً وبإمكانهم الإعتماد عليّ في تنسيق العلاقات مع مصادرهم الأمنية ، فألحقوني بما يسمى الجهاز ٥٠٤، وهو فرع من الموساد الإسرائيلي ومهمته جمع المعلومات عن "شمال إسرائيل" ، وقد دخلت الى الجهاز بواسطة رئيسه وهو صديق لي يدعى نضال جمال الذي فرّ الى أميركا مع عائلته وقد خلفته بعد ذلك.

ووثق بي العدو وازدادت هذه الثقة عندما علموا بأن خالتي قد تزوجت عام ٤٨ من فلسطين المحتلة حيث إنخرطت الطائفة الدرزية بما يسمى جيش الدفاع الإسرائيلي، كما علموا أن إبن خالتي هو عقيد في وزارة الدفاع الإسرائيلية وجمعوني به ، وحاولوا تزويدي بجرعات من العقلية اليهودية معتمدين على صغر سني .

* كيف جرى الإتصال بالحزب السوري القومي الإجتماعي أثناء عملك بالجهاز؟

ـ فور إلتحاقي بالجهاز ٥٠٤ ، كلفت بمراقبة القوميين السوريين في منطقة حاصبيا لما كانوا يشكلون حينها من خطر على العدو إثر عمليات عدة قاموا بها ومنها العملية الإنتحارية التي نفذتها سناء محيدلي وخالد الأزرق . فباشرت المهمة وكلّي ولاء لهذا الجهاز .

وبدأت بمراقبة أحد المنتمين لهذا الحزب وهو قريبي وتكررت لقاءاتي به فأحسست بصلابة موقف القوميين السوريين فتناقشت معه بأمور عدة واكتشفت فداحة وخطورة ما أقوم به وحاولت تصويب عملي. وفي أحد الأيام ، طلبت من قريبي أن يوصلني بإحدى الأجهزة المركزية للحزب فأخبرتهم بحقيقة أمري ولعب قريبي دور الوسيط بيننا في تبادل الرسائل والمعلومات . وفي هذه الأثناء ، أعلمت العدو بأن قريبي ينتمي فعلاً الى الحزب القومي لكنه لا يقوم بأي نشاط ، وخوفاً من إفتضاح أمري ، طلبت منهم مراقبته بواسطة أشخاص آخرين "فقد أكون مخطئاً وأنا لا أثق بأحد ولو كان قريبي". وقد استمريت بالعمل مع الحزب القومي وما زلت حتى هذه اللحظة علماً بأني غير منتسب اليه .

العودة

متى تقررت عودتك الى المناطق المحررة ؟

_بدأت أشعر بأن مرض العمالة بدأ يتغلغل أكثر فأكثر بين الناس وكثرت شبكات العملاء ولم يعد بإستطاعتي تزويد الحزب بالمعلومات المطلوبة كافة . وفي ٤ حزيران ١٩٩٨، جاءني الجواب من الجهاز المركزي في الحزب بضرورة ترك المنطقة وبأسرع وقت ممكن . وبعد التنسيق مع الحزب والأجهزة الأمنية الأخرى تركت في صباح ٦حزيران مستغلاً إنشغال الضباط الإسرائيليين بإحدى

الإحتفالات اليهودية تاركاً ورائي عائلتي المؤلفة من أبي وأمي العجوزين وأولادي الثلاثة إضافة الى أملاكي ومعرض السيارات الذي أملكه .

وقد وصلت بأمان ، وكشفت العديد من أفراد شبكات التجسس ووصل عددهم الى ٧٧ مصدراً تقريباً ، وقد فوجئت لدى عودتي بأن الحزب قد أجرى دراسة موسعة عني وعن أشخاص كثر، وفوجئت بأن إسرائيل غبية وتلاشت فكرة الأسطورة التي تحيط نفسها بها ، فقد كانت أجهزتها " مخروقة" مئة في المئة وكنا في جهاز ٥٠٤ "مفضوحين" في تحركاتنا ومهامنا .

*كيف يتعامل العدو مع مصادره الأمنية ؟

_ كانوا ينظرون اليهم نظرة إحتقار ويعاملونهم كالحيوانات ولا يثقون بهم . أما من ناحيتي ، فكانوا يثقون بي وآسف على القول بأنهم يعتبرون الدرزي هو غير عربي . وكنت في الوقت عينه كريماً معهم لكسب ثقتهم أكثر فأكثر فأدعوهم لتناول الطعام وأزورهم مراراً لكني كنت أشعر "بالقرف" تجاههم والإشمئزاز منهم ، وأدركت خلال تعاملي معهم بأنهم يحتقرون العرب لدرجة لا توصف ويشعرونني بذلك خلال أسلوبهم ، علماً أنهم كانوا يحاولون إظهار عكس ذلك لي من خلال دعواتهم المتكررة لزيارتهم بسيارتي الخاصة وقد كنت من بين عشرين شخصاً يسمح لهم بذلك.

إحتقار العرب

وأثناء زيارتي للضابط "دورون" تناولنا مجزرة قانا وقلت له لا يجوز أن تقصف إسرائيل بهذا الشكل فهناك أطفال فتدخل مرافق لأحد المسؤولين من دون أن يعلم بأني عربي كوني أتقن اللغة العبرية وأجابني " من هو هذا الطفل العربي الحقير فلنقتله وهو صغير أفضل من أن يكبر ". وهكذا كانوا يعاملون العناصر في ميليشيا لحد فيعتبرونهم مجرد " أكياس رمل ". وأذكر أن قائد الميليشيا أنطوان لحد أصدر بحقي مذكرة توقيف بسبب خلافي مع مسؤول الشاباك (جهاز الأمن الداخلي) في حاصبيا علم الدين بدوي ، فاتصلت بمسؤول جهاز الــ٥٠٤ الشيخ يعقوب وأبلغته بالأمر وما إن وصلت الى الشرطة العسكرية في مرجعيون حتى وجدت سيارة تابعة للجهاز بانتظاري وأبلغت بأن المذكرة ألغيت ثم توجهت الى جدار فاطمة حيث كان بانتظاري الشيخ يعقوب فقال لي " لماذا غضبت فالجنرال إبن ستين أندخله المدرسة فهو حمار وما تردّ عليه".

وفي هذه الفترة ، قرر نضال جمال السفر ، فسلموني المركز الذي كان يشغله ورقيت الى رتبة نقيب وأعطيت لقب ٧٠ للتخاطب معي على جهاز "موتورولا" حيث زودوني به . وقد سلمت كل الأجهزة اللاسلكية التي كانت بحوزتي والوثائق التي استطعت تهريبها الى الأجهزة الأمنية اللبنانية .

تخطي الإمتحان

كيف تخطيت إمتحان " كشف الكذب " ؟

_ إلتحقت بالجهاز ٥٠٤ مباشرة فلم أصعد السلم درجة درجة وإنما قفزت قفزة واحدة وتعرفت خلال هذه الفترة على أشخاص يعملون في أجهزة الأمن العام والجيش اللبناني وقوى الأمن ويتعاملون مع العدو وقد ألقي القبض عليهم . وفي أحد الأيام ، طلب مني الضابط الإسرائيلي دورون ملاقاته على الجدار واصطحبني الى صفد وأخبرني بأنه سيتمّ إخضاعي لامتحان على آلة لكشف الكذب واصفاً أياها بآلة الصدق مراعاة لشعوري فلم أشعر بالخوف خصوصاً وأني واثق من نفسي ومن قدرتي على تخطي أشياء هي من إختراع البشر ، كما أنه لم يكن لدي من مشكلة في افتضاح أمري وزجيّ في معتقل الخيام فقد كنت مقتنعاً بالخط الذي أسلكه . وفور وصولي ، كان طبيب بروفسور بانتظاري أدخلني الى غرفة زجاجية فيما انتظرني دورون خارجاً . وأوصلني بآلة وسألني سؤالين :

• هل قمت بعمل تخريبي ضد إسرائيل ؟

_ كلا .

• هل تتعامل مع جهاز آخر غير جهاز الـــ ٥٠٤ ؟

_ نعم .

كيف ؟

ـ عندي عناصر أمن من الأمن العام والجيش اللبناني أتعامل معهم وهم ليسوا من جهاز الـــ ٥٠٤ الذي أتعاطى معه .

عندها نظر اليّ وابتسم ثم خرج ، فطلب مني دورون الإنتظار قليلاً ريثما تأتي النتيجة ، ثم قال لي :مبروك لقد أصبحت واحداً منا ، وربت على كتفي قائلاً : أنت شخص ذكي . وهكذا واصلت العمل معهم وتعرضت لأمور كثيرة ونجوت من الموت مرات عدة ، كما احترقت سيارتي أثناء قيادتي لها ، فاتصلت بالحزب وسألتهم " أين أنتم " فكان الجواب إن من يمشي في هذا الخط سيرى "الحلو والمر". ولم أكن أعلم أنهم يؤمنون لي التغطية ، وعلمت لاحقاً بأني التقيت بالكثير ممن يعملون لمصلحة الحزب ولم أعرف حقيقتهم وكانوا يؤمنون الحماية لي .

لم أجد أحداً

*ماهي طبيعة عملك في جهاز الـــ ٥٠٤ ؟

ـ إن مهمة هذا الجهاز هو جمع المعلومات الأمنية وكانت مهمتي الأساسية نقل " المصادر " الأمنية وجمعهم بالضباط الإسرائيليين، ومن ثم إيصالهم الى خارج المناطق المحتلة وتزويدهم بكل ما يطلبونه كشراء الدفاتر والأقلام المجهزة لهم لدسها مع غيرها يكون العدو قد زودهم بها للقيام ببعض المهمات . كما أن هذه المصادر كانت

تتواصل معي عند الضرورة لإيصال رسالة للعدو ، علماً أنها تتلقى رسائل سرّية من العدو عبر موجات الـ"أف. أم" في ساعات محددة يتم الإتفاق حولها مسبقاً ولا يمكن لأحد ، حتى ولو سمعها ، أن يفك رموزها ، ولكل مصدر شيفرة خاصة به ، ويعمد بعد ذلك الى كتابة رسالة بحبر سري ويرسلها الى عناوين مختلفة في ألمانيا وأميركا وغيرها من الدول .

ويقوم العدو بإيداع أموال وتحويلها الى حساب المصادر لتجنب ترددهم الى المنطقة وخوفاً من إفتضاح أمرهم ، كما كنت مكلفاً بالتقرب الى الداخل إلى المنطقة وإيصال رسالة فقط له فيما إذا كان يرغب في التعامل معنا ، لكني لم أكن أضغط على أحد فلا عمل بالقوة مع الإسرائيليين وإنما بإرادته والكثير ممن رفضوا ذلك لم يتعرض أحد منهم لأي سوء وأتحدى أي شخص يقول بأنه أجبر على العمل معهم . وهناك شخص قصدني لهذه الغاية فوصلته بالعدو ولم أمانع خوفاً من إفتضاح أمري . واستلمت معبر جزين حيث كانت مهمتي صعبة جداً وهي مراقبة الأمنيين الموجودين على المعبر والذين يعملون لمصلحة الأجهزة الأمنية اللبنانية ، لكني لم آخذ المهمة على محمل الجد خصوصاً وأني كنت أراهم يموتون تباعاً. وكان الجهاز ٥٠٤ يوظف كل طاقاته لجمع معلومات حول المقاومة والسوريين وطريقة تفكيرهم . وأؤكد بأني لم أقم بأي عمل يؤذي وطني أو

المواطنين فكانت مهمتي التقرّب منهم وليس العكس . وعندما تركت المنطقة كانت صدمة العدو كبيرة وتحدثوا عن الأمر في الكنيست الإسرائيلي . فكنت أكبر خسارة يتلقاها الموساد الإسرائيلي بتفكيك شبكة مؤلفة من ٧٧ جاسوساً . وقد أبعدوا أهلي وأخذوا أمي (٦٨ عاماً) وأبي (٨٢ عاماً) من المنزل ولم يسمحوا لهما بأخذ أغراضهما وأوصلوهما الى معبر زمريا وطردوهما، ومشيا مسافة ٦ كلم حتى وصلا الى حاجز للجيش اللبناني . وعلى الرغم من أنني كنت حينها مرتاحاً مادياً ، والآن لا أحصّل الـ ٥٠٠ دولار ، فأنا مسرور ما زلت مستمراً في عملي المقاوم واستطعت بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية إقناع مسؤول جهاز الشاباك في شبعا بالعودة فجاء مع زوجته وإبنه وكشف شبكة التجسس ، كما أقنعت آخرين وغيرهم ممن بقي في الداخل وعمل لمصلحتنا .

لست عميلاً مزدوجاً

*هل تعتبر نفسك عميلاً مزدوجاً ؟

_ أنا لست عميلاً مزدوجاً ، وإنما كنت أعمل لجهة واحدة بقناعة . أما العميل المزدوج فهو الذي يعمل لجهتين ويفيد الإثنين معاً . ولو كنت كذلك لما كشفت شبكة التجسس . وأترك على عاتقكم إيجاد تسمية لي ، فأنا أكره كلمة عميل وأفضل الموت على سماعها. وأفتخر بما فعلته والمهم ما أنتجته وليس ما خسرته .

*وما تقول للعملاء الفارين ؟

ـ أوجه رسالة للذين فروا الى إسرائيل وأسألهم ماذا أعطاهم العدو وما هي نهايتهم ونهاية أولادهم فأين كرامتهم فهم يعيشون مع الخبث اليهودي حول المستوطنات ، وأناشدهم أن يعودوا حتى ولو كان مصيرهم الإعدام وليشكروا ربهم لأنهم في أرضهم . وأخيراً ، أقول بأننا بصدد إعداد كتاب يعرّف العالم على حقارة اليهود ويتناول تجربتي معهم وقد باشرنا به وسنعلن عنه قريباً في مؤتمر صحافي ، كما أوجه الشكر للنائب السابق أسعد حردان على جهوده ورعايته لي في مراحل مختلفة.

المراجع

(١) جريدة "المستقبل" .الجمعة ٢٥ أيار ٢٠٠١. ص ٣٤.

(٢) مجلة "البلاد" . الأعداد ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢.

_ العدد ٣٩٩. السبت ٢٢ آب ١٩٩٨. ص ١٢_١٧.

_ العدد ٤٠٠. السبت ٢٩ آب ١٩٩٨. ص١٤_١٩.

_ العدد ٤٠١. السبت ٥ أيلول ١٩٩٨. ص١٤_١٩.

_ العدد ٤٠٢. السبت ١٢ أيلول ١٩٩٨. ص ١٤_١٨.

(٣) أنظر كتاب علي الموسوي " شبكات الوهن / عملاء إسرائيل في قبضة القضاء ".الجزء الاول .دارالهادي.بيروت الطبعة الأولى. أيار ٢٠٠٠.ص٢٥٠.

الفصل العاشر

الفشل الموسادي في قبرص

تؤكد تجارب الحياة المختلفة أن العمل الإستخباري، مهما بلغت درجة تطوره ودقته، يبقى محكوماً بالفشل، كما بالنجاح. لكنه، بدون شك ، لا يمثل حالة نجاح دائم بالمطلق. لذلك، فالعامل "السوبرماني" في الاستخبارات ليس حكراً على الدول العظمى، ولن يكون، باعتبار أن التيقّظ المخابراتي في دولة صغرى_ كقبرص مثلاً_، خصوصاً اذا كان مرتبطاً بقضية "الكرامة الوطنية "، قادر على تمريغ الأنف الإستخباري "السوبرماني" في وحل الدولة الصغرى، إن لم يكن في "مجاريرها" التي لا تفوح منها إلا الروائح الكريهة...
وهكذا كان حال دولة الإحتلال الصهيوني وموسادها في قبرص ، في الإسبوع الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٩٨ .

ففي السابع من تشرين الثاني ١٩٩٨، أوقفت الشرطة القبرصية، إثنين من عملاء "الموساد" بعد إدانتهما بالتجسس على مواقع عسكرية قبرصية حساسة. وأكد المتحدث باسم الشرطة القبرصية أن العميلين اللذين عرفا باسم "عودي هارغوف" (٣٧ عاماً) ، و"ييغال داماري" (٤٩ عاماً) ، متهمان بالتجسس على أنشطة الحرس الوطني القبرصي .

وأوضحت الشرطة أنها قامت فجر يوم السبت (١٩٩٨/١١/٧) باقتحام إحدى الشقق في بلدة "زيغي" الساحلية ، حيث عثرت على وثائق تؤكد قيام هذين العميلين بأنشطة تجسسية . وأبلغ ضابط الشرطة القبرصي كيرياكوس المحكمة ، أنه تمّ العثور على كاميرات ومعدات لاسلكية ووثائق داخل شقة اليهوديين اللذين كانا تحت المراقبة بعد الإشتباه بقيامهما بالتجسس على الجيش القبرصي لمصلحة الكيان اليهودي. وقد تمّ تقديم العميلين الى المحكمة بعد ساعات من اعتقالهما .

وبالرغم من النفي الإسرائيلي لـــ "موسادية" العميلين في البدء (حيث تمّ الإعتراف فيما بعد بأنهما ينتميان الى هذا الجهاز) ، إلا أن الجهود الإسرائيلية بلغت أعلى مستواها بدءاً من الرئيس الإسرائيلي عازار وايزمان مروراً برئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ، وليس إنتهاء بقادة الموساد طبعاً ... إلا أن رئيس اللجنة القانونية في البرلمان القبرصي باناريوتي ديمتريو ، أكد رفض قبرص إطلاق سراح العميلين ، وقال :"إن الجهود التي يبذلها الإسرائيليون ودول أخرى من أجل إطلاق سراحهما لن تؤدي الى ذلك ، لأن القانون القبرصي هو الذي سيحاكمهما لأنهما أضرّا بأمن قبرص . وأشار إلى أن نشاطات هؤلاء العملاء إستهدفت مواقع عسكرية قبرصية في أكثر من مكان ، وخاصة تلك التي لها علاقة بنشاطات سلاح الجو القبرصي . وأوضح أن نشاط عملاء "الموساد" زاد

في قبرص ، بشكل خاص ، أثناء إجراء مناورات جوية وبحرية ، حيث دخلا الى قبرص قبيل بدء المناورات القبرصية ـ اليونانية الأخيرة في تشرين الأول ١٩٩٨" (١) .

وحسب التلفزيون الإسرائيلي ، فإن الشرطة القبرصية إعتقلت العميلين متلبّسين أثناء قيامهما بمهمة تجسّس ضد إحدى القواعد البحرية القبرصية . وقد ضبطت معهما أجهزة تصوير وأجهزة إتصال لاسلكي وأجهزة تسجيل وباحث الكتروني متطور لرصد إتصالات الأجهزة الهاتفية واللاسلكية وتسجيلها . واحتوت أشرطة التسجيل التي ضبطت معهما على مكالمات لاسلكية للقوات البحرية القبرصية باللغة اليونانية ، الأمر الذي يثبت ، حسب قول السفير القبرصي في إسرائيل ، يوريفيدس أفريفياديس لصحيفة "هآرتس" ، أنهما كانا يتجسّسان على مناورات الجيش القبرصي" (٢) .

هذا ، وقد كشف النقاب عن أن العميلين زارا قبرص مرتين في الآونة الأخيرة . وكانت المرة الأولى بين ١٥ـ٢٢ تشرين الأول ١٩٩٨ عندما أجرت قبرص مناورات برّية ... وهذا ما يؤكد صحة الإتهامات الموجهة ضدّهما بهذا الشأن ، مع العلم أن شيمون بيريز صرّح من جهته قائلاً : بأن نشاط العميلين يستهدف مواجهة النشاط الإسلامي والتصدي له .

ومن جهته ، يشير رونين بيرغمان ، في جريدة "هآرتس" (١١/١١/ ١٩٩٨) ، قائلاً أنه " حسب أحد التقديرات ، فإن حقائب الإثنين مرت عبر جهاز رينتخن في مطار لارنكا . وحينها إكتشفت أجهزة الإتصال والهاتف الفضائي ، والكمبيوتر النقّال ، والمنظار وأجهزة التسجيل التي ضبطت لاحقاً في الشقّة. ومن الجائز أنهم في جهاز الأمن الداخلي القبرصي (KYP) _ الذي يناظر الشاباك في إسرائيل_ قرروا عدم إعتقال الإثنين في المطار وإخضاعمها للمراقبة . وعلم أنه في وقت لاحق جرى إشراك رجال KYP أيضاً في مراحل إضافية من التحقيق، بعد الإعتقال على رغم أنهم لم يدخلوا غرفة التحقيق التي كان يستجوب فيها الإسرائيليان " .

ويضيف رونين بيرغمان قائلاً :" ويخضع ملف التحقيق لإمرة الدائرة (c) التي تعنى بالتحقيقات الخاصة، وتقع في الطابق الأول من مقر قيادة الشرطة القبرصية في نيقوسيا، والمسؤول عن التحقيق هو قائد الدائرة نتائيل بيجيأورجيو... " (٣) .

والجدير بالذكر ، أن إختيارهما لقرية "زيغي" ، يحمل أبعاداً كبيرة وأهدافاً غير بريئة مطلقاً ، باعتبار أن شقق إستجمام للإيجار أقيمت فيها. بيد أن هذه المنطقة هي منطقة عسكرية في جوهرها ، وتنتشر فيها وحدات الأسطول ، ومشاة البحرية والكوماندوس . وبالفعل ، قرب شقة الإستجمام التي استأجرها الإسرائيليان توجد بطارية صواريخ من

طراز أكسوست المضادة للسفن . وقد غادر الإثنان قبرص في ٢٢ تشرين الأول وعادا إليها يوم الجمعة في ٦ تشرين الثاني ١٩٩٨ .

وتؤكد الشرطة القبرصية أن الإسرائيليّين شوهدا يعملان في نشاط تجسسي على إحدى المنشآت العسكرية الحساسة . كذلك قال رئيس الأركان القبرصي ، ديمتريوس ديمو ، أن الإثنين ضبطا أثناء نشاط بالغ الحساسية للجيش القبرصي .

والواقع ، لقد مثّل نقل الإسرائيليين من غرفة الإعتقال في لارنكا لمواصلة التحقيق معهما في نيقوسيا على أيدي الدائرة (c) نقلاً لمركز الثقل من قضية عسكرية _ بوليسية _ إستخبارية الى قضية سياسية دولية ، قرر القبارصة التعامل معها على عدة مستويات متوازنة _ كما قال رونين بيرغمان _.

من جهة أخرى ، يؤكد الكاتب الإسرائيلي (الذي كان في قبرص لمتابعة هذه القضية) رونين بيرغمان ، أن السفارة الإسرائيلية أبعدته عن مبناها في قبرص قائلة له " إنه ليس لديها ما أبحث عنه عندهم . وفي وقت لاحق ، تبين لي _ يقول بيرغمان _ أن إبعادي من السفارة كان بهدف إخفاء قدوم أرييه شومر الى هناك (مدير عام مكتب الرئيس الإسرائيلي عازار وايزمان) . وهذه الزيارة السرية تحولت خلال وقت قصير الى حديث اليوم في قبرص ، وفسّرت عملياً على إنها إقرار

إسرائيلي بأنها أرسلت الإثنين وذلك في محاولة إستغلال العلاقات الطيبة بين الرئيس القبرصي وعازار وايزمان ... إلا أن النتيجة جاءت عكس "الغرور النتنياهوي " في إبقاء القضية على نار هادئة ، والإفراج فوراً عن المعتقلين الجاسوسين ... حيث فسّر القبارصة ذلك بأنه إستخفاف بسيادة قبرص . ويقول معلّقون في قبرص أن القصر الرئاسي بات ملزماً بإظهار صموده أمام مساعي الإفراج الإسرائيلي " (٤) . هذا بالرغم من التدخل الضاغط للإدارة الأميركية أيضاً في هذا الموضوع تجاه قبرص.

هذا، وبنوع من " الثقة الزائدة بالنفس " الإسرائيلية ، التي تصاحب الغرور والإستعلاء ، يؤكد أحد مسؤولي التحركات التجسسية السرّية في جهاز " الموساد " أن نشاطات " الموساد " التجسسية في الولايات المتحدة ، تخضع لسيطرة رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو مباشرة . وبغطرسة لا مثيل لها ، يضيف هذا المسؤول قائلاً :" أن الموساد تعتبر جزيرة قبرص حقل تجارب مناسب جداً لتدريب عملائه الذين يعدّون للعمل في الخارج " . وأكد أن الموساد سبق وزرع العشرات من عملائه في الجزيرة ، مدّعياً بأن ذلك "يهدف الى تدريبهم على أعمال التجسس وتنفيذ عمليات خاصة"(٥)

من المعلوم أن هذه الفضيحة ليست الأولى في سجلات " الموساد " في قبرص ، فقد سبق أن قام بعملية فاشلة أيضاً في العام ١٩٩١ ، عندما

نجح شرطي قبرصي في اعتقال أربعة عملاء للموساد كانوا يحاولون وضع أجهزة تنصت في قبو السفارة الإيرانية في نيقوسيا .

في هذا الصدد ، يؤكد عوديد غرانوت في جريدة " معاريف " (٨/ ١١/١٩٩٨)، أنه بالرغم من الإطمئنان الذي حمله الرئيس الإسرائيلي عازار وايزمان للرئيس القبرصي غلافكوس كليريدس ، أثناء زيارة وايزمان الأخيرة لقبرص ، ظهر فجأة رجلان " من صنع إسرائيلي " يحملان مختلف الأجهزة والأدوات ذات الطابع التجسسي ، مما بدّد هذا الإطمئنان وأثار مخاوف قبرصية من جديد (على أثر توقيع الإتفاق الإستراتيجي التركي _ الإسرائيلي). ويعلق عوديد غرانوت على ذلك بقوله :" لكن يجب أن نتذكر أن قبرص مثل برلين في حينه ، تخدم كمكان التقاء للجواسيس ورجال التجسس المضاد ، وكقاعدة تدريب مريحة للعملاء في خطواهم الأولى في عالم الجاسوسية . ومن الجائز ان هذه "مناورة بالذخيرة الحية فاشلة مرة أخرى ". ويضيف غرانوت قائلاً:
" وحسب مصدر إسرائيلي ، فإنه إذا كان الحال كذلك ، فإنه يجب إبلاغ القبارصة _ قالها بإبتسامة ساخرة _ أن هذا ببساطة مثال ممتاز على عدم تحيز إسرائيل ، وهو ليس حالة تحيز لمصلحة تركيا . فالواقع : أن الطيارين الإسرائيليين يتدربون في تركيا ، فيما يتدرب الجواسيس الإسرائيليون في قبرص " (٦) .

هذا في الوقت الذي يؤكد فيه " أمير أورن " في جريدة "هآرتس" (١٩٩٨/١١/١٠) قائلاً (وكأنه حق مكتسب لإسرائيل (كدولة عظمى إزاء قبرص) أن تتجسّس عليها وتنتهك سيادتها):" بالنسبة لقبرص ، إسرائيل دولة عظمى ، يجدر بقبرص من أجل المحافظة على علاقات حسنة معها الصبر على هذه اللدغة الخفيفة . وليس لإسرائيل مشكلة مع قبرص ، لكن لديها مشكلة موساد ، ولا أقل من ذلك مشكلة رئيس حكومة لا يقوم بالتزامه بتحسين عمل الطاقم في مجال الأمن القومي"(٧) .

يضاف الى ذلك أن صحيفة "صنداي تايمز" (اللندنية) كشفت معلومات هامة عن هذه القضية ، خصوصاً فيما يتعلق " بالموسادي ييغال داماري"،حيث أوضحت أن العميل الإسرائيلي الذي سمّى نفسه "داماري"هو واحد من أقدم العملاء في الموساد ، ويعتقد بأنه أكثر عميل خبرة يعتقل للموساد منذ تأسيس هذا الجهاز في العام ١٩٥١" (٨) .

والجدير بالذكر ، أنه نظراً لأهمية هذين الجاسوسين (اللذين لم يكونا شخصين عاديين أبداً كما روّجت من قبل مصادر السلطات الإسرائيلية، وأنكر الكثيرون منها صلتهما بالموساد ، حتى نتنياهو نفسه، الذي عاد واعترف بموساديتهما) ، بعث بنيامين نتنياهو رسالة الى الرئيس القبرصي تحمل الكثير من الوقاحة (المتناقضة مع رسالة الرئيس

الإسرائيلي وايزمان بهذا الخصوص ، والتي ركز فيها على الجانب الدبلوماسي في هذه القضية) ، والتعاطي مع الحكومة القبرصية بمنطق "الوصاية والإستقواء " من خلال تقديم نتنياهو في رسالته عرضين لا ثالث لهما :"المحاكمة في قبرص والسجن في الكيان ، أو الإعتقال حتى فترة أعياد الميلاد،على أن يقوم الرئيس القبرصي بإصدار العفو " (٩) .

في المقابل ، كان رد السلطات القبرصية جازماً وحازماً في الوقت نفسه، وكذلك كان موقف الشعب القبرصي ، حيث أكدوا جميعهم على التعاطي مع هذه الجريمة اليهودية كما يجب أن يتم التعاطي معها ، حسب القوانين التي أكد عليها وزير العدل القبرصي نيكوس كوشيس، حيث أكد أن القوانين القبرصية ستطبق بحق الجاسوسين ، ولم يتم الإفراج عنهما حتى لو طلب منه ذلك ...

وبدوره أشار رئيس البرلمان القبرصي في رد فعله "إلا أن هذه القضية ليست تجسساً على الحرس الوطني فحسب ، بل هي قضية سياسية تمس أمن البلاد وسيادتها" (١٠) .

وعلى كل حال إن هذين الجاسوسين الموساديّين"لم يأتيا للتشمّس في قبرص"حسب ما أوضحه أحد المسؤولين القبارصة وشاع فيما بعد على ألسنة الناس العاديين في قبرص ... وهذه حقيقة واضحة كنور الشمس .

على هذا الأساس وجه القضاء القبرصي فعلاً إتهامه الرسمي بالتجسس لهذين الإسرائيليين المعتقلين ، حيث قضى بسجنهما مدة عشر سنوات

لكل منهما . وجاء في مذكرة الإتهام التي تلاها المدعي العام سوتيريس كوكينوس إن الإسرائيليَّين قاما بنشاطات تجسس في الفترة ما بين ١٥ تشرين الأول و ٦ تشرين الثاني ١٩٩٨في زيغي في اقليم لارنكا (جنوب) مع تعمّد النيل من أمن ومصالح الجمهورية القبرصية(١١).

والحقيقة ، إن هذا الإخفاق الموسادي الجديد في قبرص يأتي والفضائح السابقة في الأردن وسويسرا وكندا لا تزال متبادلة في الشارع اليهودي، خاصةً وإن الفضائح السابقة أطاحت في شباط ١٩٩٨ بالإرهابي داني ياتوم ، رئيس الموساد السابق ، وجاءت بالإرهابي إفرايم هاليفي ، الذي كان من أولى مهماته " إعادة صورة الأسطورة للموساد " التي تهمّشت كثيراً ، وأصبح الخلل واضحاً في كل تفاصيلها... مما يدل على فداحة الهشاشة فيها ...

ونتيجة لهذه الفضيحة ، ذكرت صحيفة "هآرتس" (٢٤/١١/ ١٩٩٨) إن رئيس قسم العمليات في جهاز الموساد إستقال من منصبه على أثر إعتقال الجاسوسين الإسرائيليَّين في قبرص ...وأضافت الصحيفة أن رئيس الموساد إفرايم هاليفي قبل إستقالة المسؤول الذي عرف فقط باسم" يود "هو الحرف العبري الأول من إسمه" (١٢) .

وفي اليوم التالي (الأربعاء ٢٥/١١/١٩٩٨) ، ذكرت صحيفة "هآرتس" أيضاً أن الكنيست دعا رئيس الموساد إفرايم هاليفي ومساعده

عميرام ليفين الى تقديم توضيحات حول إستقالة رئيس العمليات في أجهزة الإستخبارات الإسرائيلية الخارجية . (١٣) وبالفعل ، فقد تمّ في الكنيست الإستماع الى هاليفي وليفين حول هذا الموضوع (١٤).

خلاصة القول ، ان جهاز إستخبارات صغير في بلد صغير كقبرص ، تمكن من نصب فخّ لجهاز إستخباري يدّعي "السوبرمانية" في تنظيمه وعمله وعملياته ، فأوقعه فيه ، وكانت الفضيحة ... التي تحمل طابعاً "سوبرمانياً" في الإخفاق والفشل أيضاً ... وإذا كان لا بد من إستخلاص عبر ودروس من هذا الفشل الموسادي في قبرص ، فإننا نستطيع تسجيل ما يلي :

أولاً : إن بوسع دولة صغيرة مثل قبرص أن تربك (الدولة العظمى) إسرائيل ، وتتصدّى لمخططاتها ونشاطاتها عندما يتعلق الأمر بأي إنتهاك لسيادة الأراضي القبرصية أو أمنها القومي .

ثانياً : إن هذه الدولة تستطيع أيضاً ممارسة اللعبة الإستخبارية على أصولها وتوقع الإسرائيليين في الفخ الذي تنصبه لهم ، ولا يغفر لإسرائيل في هذه الحال أسطورتها والدعم الأميركي .

ثالثاً : إن دولة تحافظ على كرامة مواطنيها وترعاهم يمكنها أن تجعل من جميع مواطنيها رجال شرطة وأمن يحرسون الأمن القومي للبلاد .

رابعاً : اعتماداً على الأسطورة الإستخبارية إندفعت إسرائيل في حملة هوجاء لتوسيع نشاطها الإستخباري في كل مكان في العالم ، ونسيت بأنها رغم أسطورتها ، دولة محدودة الموارد والقدرات .

وأخيراً فإن الإخفاقات المتكررة للموساد تدفع الكثيرين في إسرائيل الى التفكير وإعادة التفكير بالصورة الأسطورية ومحاولة تقريبها الى الواقع ، حتى بثمن تدنّي القدرة الردعية لإسرائيل . وبالعموم تثبت الأحداث أن بوسع كل من يحكّم عقله ويتخذ التدابير اللازمة ، أن يترّل إسرائيل من علياء الأسطورة الى مجاري الواقع ، حتى وإن كانت إسرائيل قادرة حتى الآن على تحقيق بعض الإنجازات(١٥).

الهوامش

(١) مجلة "فلسطين الثورة " العدد ٧٧٨. تاريخ ١٢/١١/١٩٩٨. ص ٣. والعدد ٧٧٩.تاريخ ١٩/١١/١٩٩٨ . ص٣٤ . كذلك جريدة "السفير" ٩/١١/١٩٩٨ ص. ١ و١٨.

و"النهار" في ١٢/١١/١٩٩٨ ص.٨ والوكالات .

(٢) جريدة "السفير" في ٩/١١/١٩٩٨ الصفحة الأولى .

(٣) حلمي موسى "نصوص في الصحافة الإسرائيلية " . "السفير" في ١٦/١١/١٩٩٨ ص.٢٠

(٤) حلمي موسى . مرجع سبق ذكره . السفير ١٦/١١/١٩٩٨ ص.٢٠

(٥) مجلة " فلسطين الثورة " العدد ٧٧٨. في ١٢/١١/١٩٩٨. ص.٣٠

(٦) حلمي موسى . مرجع سابق . والصفحة ذاتها .

(٧) المرجع السابق نفسه .

(٨) الوكالات : أفساب ، رويترز ...

(٩) "فلسطين الثورة" العدد ٧٧٩. في ١٩ تشرين الثاني ١٩٩٨. ص٣٤.وكذلك : جريدة "النهار " في ٢١/١١/١٩٩٨.

(١٠) "فلسطين الثورة " العدد ٧٧٩. في ١٩٩٨/١١/١٩.ص. ٣٥.

(١١) جريدة "نداء الوطن"العدد ١٨٣٥. السبت في ٢١/١١/ ١٩٩٨.ص١.

(١٢) "السفير " العدد ٨١٥٨. في ١٩٩٨/١١/٢٥. ص١٥.

(١٣) "السفير " العدد ٨١٥٩. في ١٩٩٨/١١/٢٦.ص.١٥.

(١٤) "هآرتس" في ١٩٩٨/١١/٢٩. و" السفير" في ٣٠/١١/ ١٩٩٨.

(١٥) " السفير " العدد . ٨١٥١ الإثنين ١٩٩٨/١١/١٦.ص٢٠.

الفصل الحادي عشر

عملية إستدراج العقيد الإسرائيلي

ألخنان تانينبوم الى لبنان وأسره

في السابع عشر من شهر تشرين الأول سنة ٢٠٠٠ ، فوجئ العالم بما أعلنه الأمين العام "لحزب الله" السيد حسن نصر الله ، في المؤتمر الصحفي الذي عقده في بيروت في ١٦ تشرين الأول ٢٠٠٠. لكن الإسرائيليين ذهلوا _ ولم يفاجأوا فقط _ بهذا الإعلان الذي قضى بأسر العقيد الإسرائيلي في الموساد ألخنان تانينبوم بعد إستدراجه من بروكسل الى لبنان .

وعندما كان صاحب الحدث هو الوثيقة الناطقة بهذا الصدد ، فإن السيد حسن نصر الله يعتبر أهم وثيقة في هذا الموضوع ، كما يعتبر أهم "مصدر ثقة " في هذه المسألة . وقد أثبتت التجربة على أرض الواقع العملي في لبنان ، ضد الإحتلال الصهيوني ، مصداقيته التي لا يشوبها أي غبار .

على هذا الأساس ، فقد كشف الأمين العام لـــ" حزب الله " السيد حسن نصر الله أن جهاز أمن "المقاومة الإسلامية " تمكن من إستدراج الضابط الإسرائيلي الأسير من بروكسل الى بيروت بجواز سفر أجنبي

تبين أنه مزوّر . وقال أن هذا الضابط كان يحاول التقرب من أحد كوادر "حزب الله" الذي هو مقرّب من شخصية سياسية في الحزب ، وكان يتستر بغطاء جهاز إستخباراتي أجنبي . وعندما وصل الى لبنان تمّ التأكد من هويته العسكرية وتمّ أسره ، لأن ذلك حقّ شرعي وقانوني للمقاومة . وأوضح السيد نصر الله أن هذا الضابط هو برتبة عقيد وإسمه " ألخنان تانينبوم " وكان يعمل على إختراق المقاومة والقيام بمهمة تجسسية في إتجاه الحزب ، وشدّد على أن المقاومة لا تزال في حالة حرب مع العدو ومن حقها إحتجاز أي جندي يدخل الى الأراضي اللبنانية ، ونفى علاقة إيران وسوريا بما جرى معتبراً أن ذلك يصب في إطار محاولات الضغوط الجارية على بيروت ودمشق وطهران.

هذا ، وتوضيحاً للصورة على حقيقتها ، وإجلاءً للحقيقة ، فقد عقد السيد حسن نصر الله ، مؤتمراً صحافياً في قاعة الزهراء في مسجد الإمامين الحسنين في حارة حريك بحضور حشد إعلامي واستهله بالتوضيح أن هدف اللقاء "هو تقديم المعلومات الممكنة والمناسبة حول عملية أسر الضابط الإسرائيلي ، وخصوصاً بعد أن أخذ الموضوع مداه الكافي إعلامياً " .

وبالنظر الى أهمية الحدث وخطورته ، فإننا نجد لزاماً علينا أن ننقل بأمانة ما جاء في هذا المؤتمر الصحافي ، تبياناً للحقيقة والواقع وتعميماً للفائدة .

إفتتح السيد حسن نصر الله مؤتمره الصحافي بالقول :

لقد بدأت العملية منذ مدة من الزمن حين بادرت جهة أجنبية مخابراتية عبر وسيط بالإتصال بأحد كوادر "حزب الله" المقربين من شخصية أساسية في الحزب ، ولطالما حصل هذا الأمر سابقاً ، وهذه ليست هي المرة الأولى التي تتصل جهة مخابراتية بغطاء أجنبي بلبنانيين من أجل تجنيدهم في عمل إستخباري ، ثم يتبيّن لاحقاً أن هذه الجهة المخابراتية هي إسرائيلية تتغطى وتتستر بعنوان أجنبي . إثر ذلك بادر هذا الأخ الكادر المسؤول الى تبليغ جهاز أمن المقاومة بما حصل معه . عكف الجهاز الأمني للمقاومة على رسم خطة للتعاطي مع الموضوع لكشف الجهة ، من هي هذه الجهة والعمل على إستدراجها . وبعد فترة من المتابعة بات لدى الجهاز الأمني للمقاومة شكوك حول حقيقة تلك الجهة ، وبسبب طبيعة الأسئلة والمعلومات المطلوبة ساد الإعتقاد بأنها إسرائيلية . من أجل توثيق العلاقة ما بين الأخ المسؤول في "حزب الله " والوسيط مع تلك الجهة ، تمّ تزويد تلك الجهة المخابراتية الأجنبية بمعلومات مهمة ، لكنها لا تضر المقاومة . إثر ذلك سعت تلك الجهة المخابراتية للقاء الأخ المسؤول في "حزب الله" مباشرة ، ولكن خارج لبنان وفي بلد أوروبي قريب . هذا الطلب قوبل بالرفض ، رفضنا أن يذهب هذا الأخ الكادر للقاء هذه الجهة خارج لبنان . وهدد الأخ

المسؤول بقطع العلاقة مع الوسيط ما لم تكن علاقته مباشرة مع الجهة الأجنبية . أي طلب أن يتجاوز الوسيط وأن يصبح اللقاء مباشراً بين الأخ المسؤول في "حزب الله" وبين مندوب هذه الجهة الأجنبية ، وفي الوقت نفسه تمّ تزويدها بمعلومات أمنية إضافية ومهمة . بعد عدة محاولات ، وبين أخذ وردّ تم إقناع مندوب الجهة الأجنبية بالمجيء الى لبنان ، على أساس أنه ليس إسرائيلياً ولا توجد لديه أي مشكلة بالمجيء الى لبنان ، ويلتقي مع الأخ المسؤول في "حزب الله" مباشرة . وبالفعل جاء هذا المندوب الى لبنان قادماً من بروكسل ، ودخل الى لبنان بشكل قانوني وهو يحمل جواز سفر أجنبياً تبين لاحقاً وبحسب إعترافاته أن هذا الجواز مزور . بعد سلسلة من الإجراءات تأكدنا مما كنا مقتنعين به ، من أنه ضابط برتبة عقيد في الجيش الإسرائيلي، يعمل مع جهاز الإستخبارات الإسرائيلية "الموساد" فتمّ أسره واحتجازه في لبنان . إسمه ألخنان تانينبوم ، وكان سابقاً قائداً للواء مدفعية ميدان ، شارك في الإجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، وفي قصف بيروت وضواحيها، وهو يقيم مع عائلته في تل أبيب وليس في أوروبا ".

أضاف :" المسألة ليست مسألة خطف ، لا من بلد أوروبي ولا من أي بلد في العالم . هناك ضابط برتبة عقيد في الجيش الإسرائيلي يعمل مع "الموساد" منذ مدة زمنية طويلة ، يعمل على إختراق حزب الله على مستوى عال ، تمت متابعته أمنياً ، وبخطة هادئة تمّ إستدراجه الى لبنان

وجاء بقدميه الى لبنان . وعندما يصبح في لبنان هنا على أرضنا ضابط في الجيش الإسرائيلي ونتأكد من ذلك فمن حق المقاومة الشرعي والقانوني أن تأسره وتحتجزه ".

وأوضح للصحافيين أن التفاصيل التي عرضها هي الحد الأقصى "الذي يمكن أن نقدمه لكم " .

وردا على سؤال عن الإرباك الإسرائيلي قال " إن هذا الإرباك طبيعي لأن أهمية الموضوع أننا نحن لم نعلن عن إسم العقيد . يمكن أن يعلنوا أن هناك عقيداً مفقوداً إسمه ألحنان تانينبوم ثم يتبيّن ان العقيد الذي لدينا غير هذا العقيد ، فيصبح هناك فضيحة في الكيان الإسرائيلي . لذلك صار عندهم تشويش ، من هو بالضبط العقيد الذي يتحدث عنه "حزب الله" ومن الطبيعي أن يكون هناك إرباك من هذا النوع لمدة ١٢ ـ ١٤ ساعة ".

وأوضح رداً على سؤال "نحن من خلال أسر هذا الضابط الإسرائيلي ، هدفنا العمل على إطلاق سراح الأسرى والسجناء المعتقلين في السجون الإسرائيلية . لكن مع هذا الضابط يصبح لدينا ٣+١، من أجل التبادل والعمل على إطلاق سراح السجناء والمعتقلين ، ماذا نريد بالضبط ، هذا ما نتحدث عنه في قنوات التفاوض وليس في وسائل الإعلام ".وأجاب رداً على سؤال " إن من السابق لأوانه أن نكشف عن وثائق وهذا يأتي في وقته المناسب . ونحن لسنا مستعجلين في طرح هذه الأمور ".

أما عن إتهام إيران في العملية فقال :" الإسرائيليون يفترضون فرضية . الإسرائيليون مخطئون بالنسة للمكان ، وهم يقولون أنه خطف في سويسرا . وهو لم يفقد في سويسرا ، هو دخل الى بلجيكا بجواز سفر إسرائيلي ، وخرج منها بجواز سفر أجنبي، وثبت في ما بعد أنه مزور ، وجاء الى لبنان . والموضوع ليس بحاجة الى طائرة إيرانية كما يقول الإسرائيليون ولا الى حقيبة دبلوماسية . هذه مجرد إتهامات . على كل حال الإسرائيليون يستطيعون قول ما يشاؤون ، ولكنهم لا يستطيعون أن يقدموا أي دليل على إتهاماتهم وإدعاءاتهم . أما القول بأنه رجل أعمال ، فهذا يعزز قناعتنا بأنه يعمل مع "الموساد" الإسرائيلي لأن أجهزة المخابرات ، كلنا يعرف أنها تحتاج الى سواتر والى غطاء في سفرها وذهابها . وهذا يعزز القناعة ، ويساعد في أدلتنا على أن الرجل يعمل في المجال الأمني ".

وأشار الى أن أي إتهام لإيران "لا يستند الى معطيات أو معلومات"، وهم بفترضون أن عملية الخطف حصلت في سويسرا ، ومن ثم تمّ نقله مخطوفاً _ كما قال الإسرائيليون _ بطائرة إيرانية الى بيروت . هذا خرافة وأساطير ، وأجهزة الإستخبارات ستحاول أن "تركب" قصصاً بوليسية . أنا قلت بشكل واضح ، هو جاء الى لبنان ليس بعنوان إسرائيلي وإنما بعنوان أجنبي ، وأنه يعمل مع جهاز مخابرات أجنبي ، ونتيجة ثقته بالوسيط وبالكادر من حزب الله الذي قدّم له كل هذه

المعلومات المهمة على مر الزمن ، هذه هي حقيقته . أي إهامات أو روايات أخرى يمكن إعتبارها غير صحيحة ".

وعن إهام سوريا أجاب "هذا طبيعي ، فمنذ أن بدأت المقاومة في لبنان في مواجهة قوات الإحتلال الإسرائيلي ، حكومة العدو دائماً تحمل حكومة سوريا مسؤولية كل ما يحصل . اللبنانيون يقاتلون دفاعاً عن أرضهم لتحرير أرضهم واستعادة معتقليهم وأسراهم في مواجهة قوات الإحتلال ، وحكومة الإحتلال تحاول أن ترمي المسؤولية على سوريا أو إيران أو الحكومة اللبنانية في إطار عملية ضغط باتت لا تجدي نفعاً".

وعن قنوات الإتصال بالنسبة للتفاوض حول التبادل قال " إن القناتين الفعليتين هما قناة الأمين العام للأمم المتحدة ، والقناة الروسية ، هناك قنوات أخرى ما زالت في طور الإتصال . ولكن أحب في هذه المناسبة أن اوجه عبر الصحافة خطاباً الى أمهات الجنود الثلاثة وأقول لهنّ : أن حكومتكنّ لم تعمل حتى الآن بشكل جدّي من أجل إستعادة أولادكن، ولا حتى من أجل كشف مصيرهم . ما زالت تلعب وتراهن على ضغوط دولية وسياسية على "حزب الله" ، لظنها أنه يمكن الوصول الى نتيجة يقول فيها "حزب الله " شيئاً عن مصير الجنود بدون مقابل ، أنا أقول لحكومة العدو وأيضاً لأمهات الجنود وعوائل الجنود ، إن هذا الرهان خاسر ومضيعة للوقت ، نحن حاضرون لأن نبقى سنة وخمس سنوات وعشر سنوات وعشرين سنة ، ولكننا لسنا حاضرين لأن نقدم أية

معلومات عن مصير الجنود دون مقابل ، والمقابل يتعلق بسجناء أحياء وليس بأجساد شهداء ، وأجساد الشهداء قطعاً ستكون جزءاً من أي صفقة ، ولكن نحن نريد مقابل المعلومات سجناء بمعزل عن العدد ، حكومة العدو ما زالت تضيع الوقت ، وتراهن على رهانات خاسرة ، وأنا بكل وضوح أقول للقنوات التي اتصلت بنا حتى الآن ، والآن أقول بشكل علني وقلتها منذ اليوم الأول : لن يقدم "حزب الله" أية معلومات لأية جهة أياً تكن هذه الجهة _ صديقة ، محبة ، عزيزة _ عن مصير الجنود الثلاثة بدون مقابل من سجناء أحياء ".

وأوضح السيد حسن نصر الله أن "حزب الله " لم يتحدث عن سجناء لبنانيين ، نحن قلنا إننا معنيون ونعتبر أنفسنا مسؤولين بكل المقاييس والمعايير عن كل أسير وسجين ومعتقل في السجون الإسرائيلية سواء كان لبنانياً أو غير لبناني ، لكن التفاصيل نتركها للتفاوض ".

وردا على سؤال عما إذا كان الإعلان شكل مفاجأة لرئيس الحكومة سليم الحص في مؤتمر الكارلتون قال نصر الله :" صحيح ، كان الأمر مفاجئاً ، ليس لرئيس الحكومة فقط ، وحتى للكثير من إخواننا في "حزب الله" ، لأنه قبل دخولي بقليل الى قاعة المؤتمرات لم يكن الخبر في نص الكلمة ، أبلغني الأخوة المعنيون بأنه تمّ التثبت والتيقن بأن هذا الرجل هو عقيد في الجيش الإسرائيلي ، وبأنه إعترف بذلك ، والأمور أصبحت بينة وواضحة ، ويمكنك أن تتحدث عن الأمر . لذلك في بداية

المؤتمر وهناك شخصيات من كل العالم العربي الإسلامي وبثّ حيّ فضائي، وجدت من المصلحة والمناسب في هذا التوقيت أن أعلن مباشرة عن الأمر فلم أكن أتعمد مفاجأة أحد ، الأمور صارت بهذا الشكل الطبيعي . أما في ما يتعلق بِردات الفعل المحتملة ، فعندما أسرنا الجنود الثلاثة ، نقلت رسائل بأنه إن لم يتم إطلاق سراحهم خلال أربع ساعات أو خمس ساعات فسوف يقوم العدو الإسرائيلي بشن هجوم واسع على لبنان ، وقيل أنه سوف يقصف بيروت ، نحن عندما أقدمنا على عملية الأسر، كنا جاهزين لكل الإحتمالات ، ولم نكن لنفاجأ بأي ردة فعل لأننا كنا جاهزين لمواجهة أي رد فعل ، وعندما أقدمنا على ذلك كنا نفعله بشكل واعٍ وعاقل . نحن وجدنا سراً وعلناً أن هذا الأمر غير وارد، نحن لن نتخلى عن الجنود الثلاثة ولنا هدف إنساني من أسر هؤلاء الجنود ، وحاضرون لأن نتحمل كل التبعات ، ولبنان الرسمي قال ذلك، وهذا أمر منطقي وطبيعي ، وأي إعتداء على لبنان سيرد عليه بقسوة ، ولن يكون بدون ثمن ، والإسرائيليون يعرفون ذلك وقد تأكدوا من ذلك في يوم أسر الجنود الثلاثة ".

ورداً على سؤال قال :" الإعلان قبل قمة شرم الشيخ ، مفيد، لا توجد مشكلة ، من أهداف المسارعة على الإعلان تقديم دعم معنوي للإنتفاضة داخل فلسطين ، إرباك الإسرائيلي ، المزيد من إعطاء

الإطمئنان للأسرى والمعتقلين في السجون . أما في شرم الشيخ فيعنيهم أو لا يعنيهم ، بالتأكيد الأمور تترابط مع بعضها من حيث النتائج ".

ورداً على سؤال عن طبيعة العملية وإذا كان الضابط مطروحاً للتبادل والإتصالات التي جرت لهذه الغاية ، أجاب : أولاً طبيعة المهمة أمنية ولا أستطيع أن أكشف عن أي تفاصيل أكثر من ذلك . ثانياً ، الضابط مثل الأسرى الثلاثة مطروح للتبادل وأيضاً الهدف هو هدف إنساني من أجل إطلاق سراح السجناء والأسرى والمعتقلين والرهائن في السجون الإسرائيلية . وقد حصلت بالأمس (أمس الأول) عدة إتصالات حول هذا الأمر من جهات تقوم بالتوسط ونحن أبلغناهم بأن الضابط هو أيضاً ضمن عملية التبادل ".

وعن دور "حزب الله" في المستقبل وعلاقته بالإنتفاضة قال نصر الله : "حزب الله" سيستمر بمقاومة الإحتلال والمشروع الصهيوني والهيمنة على لبنان والمنطقة . قلنا منذ بداية الإنتصار أن هناك أرضاً لبنانية ما زالت تحت الإحتلال وهناك أسرى لبنانيون ما زالوا في السجون وأيضاً إن لبنان مهدد في كل يوم .منذ أيام ذهب بعض المتظاهرين الفلسطينيين الى الحدود عزلاً ورموا بعض الحجارة فصدرت تهديدات إسرائيل الى لبنان بأن إسرائيل ستعاقب لبنان لأنه سمح للمتظاهرين بأن يذهبوا الى الحدود . إذاً لبنان في دائرة التهديد الإسرائيلي ، وهذا يستلزم أن تبقى المقاومة على جهوزيتها الدائمة لمواجهة أي عدوان إسرائيلي . بالنسبة

للانتفاضة نحن نرى من واجبنا أن نقدم أي شكل من أشكال الدعم ، هذا واجبنا الذي نحاول أن نقوم به ما استطعنا الى ذلك سبيلاً . وعما إذا كان "حزب الله" قد تلقى مساعدة من أحد أو يتحمل وحده مسؤولية العملية قال نصر الله :" لم يكن هناك أحد على علم بما جرى ، لا أية جهة أقليمية ولا أي صديق ولا أي حبيب ، حتى في "حزب الله". لقد قلت منذ قليل أن هناك مجموعة صغيرة جداً كانت على إطلاع على هذا الأمر . وأنا هنا أعلن نحن وحدنا ، وبالفم الملآن نتحمل مسؤولية إحتجاز وأسر العقيد في الجيش الإسرائيلي ، وحاضرون لأن نتحمل كل تبعات هذه المسؤولية".

ورداً على سؤال عن رون أراد وآخر عن معلومات تحدثت عن أن الأسرى الثلاثة أصبحوا في إيران أجاب السيد نصر الله :أما رون أراد، فقد قلت في الماضي أن الرجل ضائع ، ولا ندري إذا كان هرب أو مات أو ما زال حياً أو إن كان محتجزاً عند أحد ، حقيقة نحن لا نعلم ، ولو كانت لدينا أية معلومات ، أو كان في حوزتنا لكنا تمكنا من حل الكثير من المشاكل . نحن لا نريد أن نحتجز أحداً لمجرد الإحتجاز ، نحن عندما يكون لدينا أي أسير ، أو أي معلومات يمكن أن نوظفها لإطلاق سراح سجناء في سجون العدو نسارع الى ذلك ، رون أراد ليس لدينا أية معلومات عنه ، وحتى لو جاءت القنوات لتسأل ، كانت هناك مساعٍ قديمة ونحن قلنا كل ما عندنا حول هذا الموضوع .

أضاف :" أما مسألة أن الجنود الثلاثة أصبحوا في إيران ، فهذا مزاح ، نحن لا ينقصنا شيئ حتى نحتفظ بهم ونحن الأقدر على الإحتفاظ بهم ، هذه سياسة ، هذه ليست معلومات . يجب أن يصدقوا أن هناك مقاومة لبنانية قادرة على أن تفعل وتنجز ما تشاء وتتحمّل مسؤولية كل ما تفعل ".

وحدد ثلاثة عناوين لعملية التبادل : "عنوان سجناء أحياء معروفون وموجودون في السجون . القسم الثاني هو أجساد الشهداء التي ما زالت محتجزة . الأمر الثالث هو كشف مصير المفقودين ، خصوصاً أولئك الذين شاركوا في عمليات ضد الإحتلال ولم يعرف مصيرهم أو أولئك الذين فقدوا عام ١٩٨٢ خلال الإجتياح الإسرائيلي للبنان" .

ورداً على أسئلة عن وساطات ألمانية وفرنسية وعن إهام العدو بأن العملية قد تمت في الخارج وتهديداته بمعركة في الساحات الخارجية قال:

" بالنسبة للوساطة الألمانية ، لم يتصلوا حتى الآن ، وأعتقد أنهم ينتظرون طلباً إسرائيلياً . بالنسبة للفرنسيين لا أستطيع أن أقول أنه حصل عرض وساطة حتى الآن بشكل جدي ومباشر ، ولكن قد يكون الفرنسيون في أجواء جس نبض الأطراف حول هذا الموضوع . أما بالنسة للخارج نحن ليس لدينا أي تنظيم أو تشكيلات في الخارج ، ولكن أي إعتداء على أحد في الخارج هو إعتداء علينا ومن حقنا حينئذ أن ندافع عن أنفسنا . نحن لم نعمل شيئاً في الخارج ، نحن أقدمنا على أسر ضابط إسرائيلي دخل

الى لبنان وعلى أرض لبنانية وفي مهمة أمنية تجسسية ، وإذا أحب الإسرائيليون أن يفتحوا المعركة على مستوى العالم ، فنحن جاهزون لأن نخوض معركة على هذا المستوى ".

وبالفعل ، تعتبر هذه العملية من أنجح العمليات في تاريخ المخابرات والتجسس ، كما تعتبر نصراً باهراً أحرزه جهاز أمن "حزب الله " ضد جهاز "الموساد " الذي يكثر من إدعاءاته بأنه جهاز "اسطوري" يصعب خرقه أو هزيمته أو التغلّب على بعض أساليبه في عالم المخابرات وعالم الجاسوسية ... ولكن من الصعب عليه أن يقرّ بالهزيمة ويعترف بالإخفاق والفشل .

ولعلّ الصحافة الإسرائيلية ذاتها هي خير من يعبّر عن هذا الفشل والإرباك . ففي مقال كتبته "رنده حيدر" في جريدة "النهار" ، وفي ترجمتها لمقالات جريدة "هآرتس" وجريدة " جيروزاليم بوست " تحت عنوان " لبنان والشرق الأوسط في الصحافة الإسرائيلية " ، قالت ما يلي :

تناقلت الصحف الإسرائيلية إعلان الأمين العام لـــ "حزب الله " السيد حسن نصر الله أن العقيد الإسرائيلي المحتجز لدى الحزب هو ضابط في جهاز "الموساد" حاول التسلل الى الحزب بحثاً عن أخبار عن الجنود الإسرائيليين الأسرى ، وإن عملية إحتجازه تمت على الأراضي اللبنانية التي دخلها بجواز سفر مزور . ومن التعليقات اللافتة ما كتبته

"هآرتس" أن التقديرات في إسرائيل تشير الى مشاركة عماد مغنية ، الذي تصفه الصحيفة بـــ "وزير خارجية حزب الله " في عملية الأسر. ومغنية ، بحسب الصحيفة ، هو المسؤول عن العمليات الخارجية للحزب. وكان أيضاً وراء تفجير سفارة إسرائيل في الأرجنتين ، ومقر الجالية اليهودية هناك ، عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٤، وهو كذلك المسؤول عن تفجير قيادة الجيش الإسرائيلي في صور عام ١٩٨٣، وتدمير السفارة الأميركية في بيروت ومقر المارينز . وبالإستناد الى الصحيفة إنتقل مغنية في نهاية الثمانينات الى طهران خوفاً على حياته . وكان يعمل فترات بتغطية إيرانية ، وإيران هي التي زودت "حزب الله" معلومات عام ١٩٨٤، ساعدته في أسر وليام باكلي رئيس مكتب المخابرات الأميركية في بيروت . وبغض النظر عما إذا كان مغنية متورطاً في عملية الخطف أم لا، فإن إسمه يثير قلقاً شديداً في إسرائيل . وقبل عام علم أن مغنية التقى مسؤولين كبارا في إيران ، وبعد ذلك حذر باراك من إمكان حصول إعتداءات على أهداف إسرائيلية في الخارج .ولكن المعلومات الإضافية التي أعلنها نصر الله حول ظروف أسر العقيد الإسرائيلي لم تغير كثيراً في الرواية الإسرائيلية لملابسات الحادثة . فقد ذكرت "هآرتس" أن هناك أكثر من رواية واحدة في شأن إختفاء طيننباوم منها أنه إختلف أخيراً مع أفراد عائلته وسافر الى أوروبا . وفي رواية أخرى أنه سافر في رحلة عمل الى أوروبا . وربما الى سويسرا . وليس من الواضح ما إذا

كان طيننباوم غادر للقاء أشخاص كان يعرفهم ، وإن هو فعل ذلك ليس من المستبعد أن يكون شركاؤه في العمل اختلفوا معه واحتجزوه ، وفي ما بعد سلموه لقاء مبلغ الى أطراف آخرين بينهم "حزب الله".

من جهتها ، نقلت "جيروزالم بوست" عن الإذاعة الإسرائيلية أن طيننباوم قد يكون متورطاً في صفقات مع الفلسطينيين ، وجرى إعتقاله من جهات موالية لإيران ، وتمّ نقله الى "حزب الله" في لبنان .

واللافت أنه حتى الآن ما زالت الأوساط الإسرائيلية الرسمية تنكر أن يكون الأسير الإسرائيلي معروف لدى أجهزة المخابرات أو الأجهزة الأمنية وما زالت تصر على أنه رجل أعمال مدني ولم يكن في أي مهمة أمنية .

لكن دانيال سوبلمان وعاموس هرئيل كتبا في "هآرتس" إن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تعتقد أن "حزب الله" سيحاول القيام باعتداءات جديدة _ بينها عمليات خطف لجنود _ في منطقة مزارع شبعا في الأيام المقبلة . وفي الواقع ثمة حال من القلق والحذر الشديدين تسود خط الحدود مع إسرائيل وخصوصاً أن جزءاً من السياج الحدودي لم ينجز بعد . وأمس كتب شارون غيل في "هآرتس " أنه فور إعلان الأمين العام لـــ" حزب الله " أسر عقيد في الجيش الإسرائيلي وقع الضباط في القيادة الشمالية للجيش في حيرة وإرتباك ، وجرت عملية تمشيط على طول السياج الحدودي بحثاً عن أي إختراق قد يكون وراء عملية الخطف .

ولكن كان من الصعب التأكد من ذلك بدقة ، لأن أجزاء من الحدود ما زالت من دون سياج ، ولم يهدأ بال الضباط الا بعدما تأكدوا أن عملية الخطف لم تجر على الحدود .

وقال الكاتب ، أنه بعد خمسة أشهر من الإنسحاب من لبنان ، ما زالت أجزاء كبيرة من الحدود مع لبنان من دون سياج رغم كل تحذيرات الجيش الإسرائيلي من عمليات التسلل والخطف . ومن المتوقع أن ينتهي العمل في السياج في تشرين الثاني المقبل بدلاً من أيار وحزيران كما أعلن سابقاً . واليوم فإن السياج الألكتروني يمتد على ٦٥ في المئة من خط الحدود . أما في منطقة مزارع شبعا أو هار ــ دوف وهي "المنطقة الساخنة " كما يسميها الإسرائيليون ، فلم تتمّ إقامة السياج على طول يقدر بـــ ٢٠ كيلومتراً . وسبق لعناصر " حزب الله" أن تسللوا من هذا المكان مرتين الى داخل إسرائيل من أجل جمع المعلومات . ورغم أن هذه المنطقة هي الأكثر توتراً ، فقد طلب الجيش من وزارة الدفاع وقف أعمال إقامة السياج هناك حتى الربيع المقبل. ولفت الكاتب الى وجود منطقة أخرى غير مسيجة هي منطقة غجر ، القرية العلوية القريبة من مرغليون ومزارع شبعا . فبعد الإتفاق على عدم تقاسم القرية بين إسرائيل ولبنان لأن الخط الأزرق يمر في وسطها ، تخلى الجيش عن السياج الحدودي في تلك المنطقة وتقوم محطات مراقبة بضمان

الحدود . وأثبتت حادثة خطف الجنود الإسرائيليين في مزارع شبعا عدم فاعلية آلات المراقبة .

تقول الصحيفة أن كل ذلك يثير حالاً كبيرة من الإحباط في القيادة الشمالية للجيش، فقد أثبت خطف الجنود الإسرائيليين الثلاثة في منطقة مزارع شبعا صحة توقعات اللواء غابي اشكنازي الذي كان من أشد المعارضين للإنسحاب من لبنان ، وحذر من أخطاره .

وبحسب الصحيفة ، أن الوضع الذي كان سائداً على طول الحدود قبل عملية الأسر تغير بعدها ، فاليوم يشدد قادة الجيش أمام جنودهم على ضرورة التزام أشد حالات اليقظة والحذر ، وعلى الجنود عدم الوثوق بأي شيئ والشك في كل شيئ يتحرك أمام السياج الحدودي ، وخصوصاً في الأماكن التي ليس فيها سياج . وختمت الصحيفة أن رجال "حزب الله " يواصلون إختبار ردود فعل الجنود الإسرائيليين . ففي الأسبوع الماضي حاول أحدهم إستغلال ثغرة في السياج قرب "بوابة فاطمة " ليضع عبوة وهمية ويعود . ضابط إسرائيلي كبير في قيادة الشمال وصف الوضع بـــ " الصعب"، وفي رأيه أن الواقع الحالي يزيد الإحتكاكات ويضاعف الأخطار والحل الوحيد هو زيادة عدد الجنود ومضاعفة الوجود حيث لا سياج .

من خلال ذلك ، تبرز أهمية جهاز أمن "حزب الله " المضاد لجهاز الأمن الإسرائيلي (الموساد) ، وهذا ما دفع الكاتب الصحافي "قاسم قصير" الى

التطرق لهذا الموضوع قائلاً بأن المعلومات التي كشف عنها الأمين العام لـــ"حزب الله " في مؤتمره الصحافي حول "عملية أسر الكولونيل الإسرائيلي ألحنان تنيانبوم"، ألقت الضوء على جهاز " الأمن المضاد " أحد أبرز الأجهزة الأمنية التابعة لـــ "المقاومة الإسلامية " والمعنية بمواجهة الإختراقات التي تحاول أجهزة الأمن الإسرائيلية القيام بها داخل الحزب والمقاومة . كما سلطت هذه العملية الضوء على القدرات المتميزة التي تتمتع بها الأجهزة الأمنية للحزب والتي استطاعت خلال الثماني عشرة سنة الماضية تحقيق العديد من الإنجازات في مواجهة المخابرات الإسرائيلية والأميركية والأجنبية .

ويتميز "حزب الله " والأجهزة التنظيمية والأمنية والعسكرية التابعة له بالنظام الصارم والإلتزام الدقيق بالطاعة وسلوك التدين الرفيع الذي يفرض على أي عضو في الحزب مراجعة القيادة أو المسؤول عنه في أي عمل يريد القيام به ، حتى ولو كان في إطار إهتماماته الخاصة . وكل هذه الميزات جعلت من الصعوبة بمكان للأجهزة الأمنية المعادية إختراق مؤسسات الحزب مهما بلغت الإغراءات المادية وغير المادية التي تقدم لأعضائه أو كوادره .

وبالعودة الى بداية عمل الأجهزة الأمنية لـــ "حزب الله" والتي نشأت بشكل مواز لعمل المقاومة الإسلامية ، فإن أول وأضخم عملية قام بها الحزب كانت عبر كشف المجموعة التي نفذت عملية تفجير بئر العبد

والذي إستهدف السيد محمد حسين فضل الله في العام ١٩٨٥، وأدت الى إستشهاد نحو ثمانين شخصاً وجرح العشرات الآخرين ونجا فضل الله بأعجوبة .

وقد نجح جهاز أمن حزب الله يومها بالقبض على المجموعة وتبين أنها تابعة للمخابرات الأميركية والإسرائيلية وقام أحد المسؤولين في المخابرات الأميركية بتأكيد معلومات حزب الله عن المجموعة ونشر ذلك في كتاب بعنوان "الحجاب" .

أما العمليات الأخرى التي نجح الحزب في إنجازها فتركزت على كشف مجموعات أمنية تعمل لمصلحة العدو الصهيوني ومنها : مجموعة عباس دباجة ، المجموعة التي عمل فيها محمود جلول وكانت تعمل بغطاء جهاز مخابرات أوروبي ، ومجموعة حسين عليان ، بالإضافة الى العديد من الأشخاص والمجموعات الصغيرة التي كانت تبحث عن معلومات عن المقاومة والحزب أو تنوي القيام بأعمال أمنية.

كما نجحت المقاومة الإسلامية وعبر عملية إستدراج أمنية ، في القضاء على الوحدة الإسرائيلية الخاصة التي قدمت لتنفيذ عملية عسكرية في أنصارية .

تضاف الى ذلك قدرة جهاز أمن المقاومة الإسلامية على إختراق جيش العميل أنطوان لحد ، وقد ساعدت عمليات الإختراق في تنفيذ العديد من العمليات العسكرية والأمنية ضد قادة جيش الإحتلال وجيش لحد

ومنهما عملية إغتيال عقل هاشم وايريز غيريشتاين . وما ساعد في نجاحات حزب الله العسكرية والأمنية ، أنه منذ نحو السنة تمّ إعادة هيكلة الأجهزة الأمنية والعسكرية وربطها مباشرة بالأمين العام للحزب، كما ساهمت التطورات الجنوبية منذ التحرير في ٢٥ أيار الماضي ، في إعطاء الحزب والمقاومة الإسلامية الفرصة لتطوير الكوادر الأمنية والعسكرية ، وتم العمل بهدوء لمواجهة إستحقاقات المرحلة الحالية في حين توقعت قيادة الأجهزة الإسرائيلية أن الحزب قد يمر بحالة إسترخاء بعد التحرير . ويستعين الحزب في كل أجهزته العسكرية والأمنية بمجموعة كبيرة من أصحاب الإختصاص في مختلف المجالات العلمية والتقنية ويستخدم أجهزة إتصال متقدمة .

المراجع

(١) جريدة "السفير" العدد ٨٧٣٣ في ١٧ تشرين الأول ٢٠٠٠ ص. ٤

(٢) جريدة "النهار" فَي ١٧ تشرين الأول ٢٠٠٠ ص.١٣

(٣) جريدة "المستقبل" في ١٧ تشرين الأول ٢٠٠٠ ص. ٢

(٤) جريدة "هآرتس" الإسرائيلية في ١٦ تشرين الأول ٢٠٠٠

(٥) جريدة "جيروزاليم بوست" الإسرائيلية في ١٦ تشرين الأول ٢٠٠٠

(٦) قصي عدنان عباسي " المخابرات الإسرائيلية أسرار وحقائق " دار علاء الدين . دمشق. الطبعة الأولى ٢٠٠١ ص. ١٧٢ _ ١٧٥.

الفصل الثاني عشر

فضيحة العالم النووي الإسرائيلي

العميد إسحق ياكوف

إن جهاز الموساد عبارة عن مستنقع من الفضائح التي تفوح رائحة كل منها من وقت الى آخر ، ومن بؤرة الى أخرى .

فبعد قضية العالم النووي الإسرائيلي مردخاي فانونو ، الذي تمكن من الهروب الى خارج الدولة العبرية رغم كل إجراءات الأمن المشدّدة، باعتباره أحد الخبراء العاملين لسنوات طويلة في مفاعل ديمونا النووي ، حاملاً معه من الأسرار والخرائط والوثائق ما يشكل تهديداً بالغ الخطورة للدولة الصهيونية وجميع أجهزتها الأمنية مجتمعة ، أطلّت على الرأي العام العالمي في النصف الثاني من نيسان سنة ٢٠٠١ ، فضيحة تجسس جديدة، بطلها هذه المرة ضابط إسرائيلي رفيع ، برتبة عميد ، أعتقل بتهمة تسريب أسرار نووية ، وهو العالم النووي إسحق ياكوف (أو يعقوب) .

فمن هو هذا العالم ؟ وما هي أسرار قضية تجسسه_ الفضيحة ؟.اعترفت اسرائيل في الثاني والعشرين من نيسان ٢٠٠١، للمرة الأولى، بفضيحة التجسس التي كشفت عنها صحيفة " صاندي تايمز " اللندنية قبل أيام

قليلة من الإعتراف الإسرائيلي ، الذي يشير الى أن الضابط الإسرائيلي المتورط في هذه القضية ليس سوى أحد القادة السابقين لوحدة تطوير الوسائل القتالية في الجيش الإسرائيلي العميد إسحق ياكوف (أو يعقوب).

وتجمع وسائل الإعلام على أن هذا أرفع ضابط إسرائيلي رتبة توجّه إليه تهم بالتجسس لمصلحة جهة أجنبية . وتذكّر هذه القضية بفضيحة مماثلة في مطلع الستينات تمّ فيها إتهام مسؤول وحدة التاريخ في هيئة الأركان العامة الإسرائيلية (إسرائيل بير) بالتجسس لمصلحة الإتحاد السوفياتي .

وفيما تثير بعض الجهات ذات الصلة بأسحق ياكوف شكوكاً حول الإتهامات بالتجسس وترى أن هذه مجرد "هزّة عصا" من جانب أجهزة الأمن الإسرائيلية ضد رجل أعمال ناجح ، كشفت المحكمة الإسرائيلية عن أن أسحق ياكوف متهم بتهم تقع جميعاً تحت بند التجسس في القانون الإسرائيلي .

وأشارت مصادر إسرائيلية الى أنه برغم الحظر الجزئي الذي لا زال مفروضاً على نشر أي معلومات عن هذه القضية ، فإنه وصلت في السنوات الأخيرة الى الجهات الأمنية الإسرائيلية معلومات تفيد بأن ياكوف ينوي تسليم جهات غير مخوّلة معلومات سرّية وصلت إليه في إطار خدمته العسكرية . وإن ممثلين مخوّلين من الأجهزة الأمنية حذّروا ياكوف في إجتماعات أجروها معه من أنه يحظر عليه تسليم هذه

المعلومات لأي جهة . وجاء في لائحة الإتهام الموجهة ضدّه أنه برغم ذلك قام ياكوف في السنوات الأخيرة ، ومن دون تفويض ، وبقصد الإضرار بأمن الدولة العبرية بتسليم معلومات سرّية "جوهرية" وصلت إليه في إطار خدمته العسكرية الى جهات غير مخوّلة بالإطلاع عليها .

وتشير لائحة الإتهام الى أن الأجهزة الأمنية الإسرائيلية تنظر بخطورة بالغة الى أفعال ياكوف ، وإنها قدمت لائحة الإتهام ضده الى المحكمة المركزية في تل أبيب ، وتحتوي على ثلاثة بنود إتهام تتعلق جميعاً بتسليم معلومات سرّية من دون تفويض وبقصد الإضرار بأمن الدولة اليهودية.

وتجنبت جميع وسائل الإعلام الإسرائيلية الحديث عما إذا كان لياكوف أي دور في تطوير الأسلحة النووية الإسرائيلية كما جاء في صحيفة "صاندي تايمز" . ولكن من المعلومات الإسرائيلية يتبين أن ياكوف الذي يحمل جنسيات عديدة إضافة الى الجنسية الإسرائيلية هو في الأصل مهندس ميكانيكي .

وقد ولد إسحق ياكوف (أو يعقوب) في تل أبيب عام ١٩٢٦ ، وبعد إنتهاء دراسته عام ١٩٤٤ التحق بقوات" البلماخ " . وبعد حرب ١٩٤٨ تعلم الهندسة ، قسم الميكانيك في معهد التخنيون في حيفا . وعمل في الجيش مساعداً لعاموس جوريف مؤسس وحدة تطوير الوسائل القتالية في هيئة الأركان العامة. وبعد ذلك عمل ياكوف مسؤولاً عن المصانع الحربية التابعة لسلاح التسليح . وغادر إسرائيل

للدراسة لمدة ثلاث سنوات في معهد ماساتشوستش للتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأميركية ليعود منها عام ١٩٦٣ فينال رتبة عقيد ويغدو رئيساً لوحدة تطوير الأسلحة في الجيش الإسرائيلي . وفي عام ١٩٦٨ تمّ تعيينه نائباً لكبير علماء المؤسسة العسكرية الإسرائيلية . ومن هذا المنصب كان بوسعه الإطلال على ما يجري في مفاعل ديمونا .

وفي عام ١٩٧١ أوكلت إليه مهمة تأسيس وحدة الأبحاث والتطوير في الجيش الإسرائيلي وتمّ ترفيعه الى رتبة عميد . وكان في هذا المنصب الى ما قبل أسبوع من نشوب حرب تشرين . وبعدها ترك الخدمة العسكرية ليتولى منصب كبير العلماء في وزارة الصناعة والتجارة.

هذا ، ويقيم إسحق ياكوف منذ سنوات طويلة في الولايات المتحدة بعد أن غدا رئيساً لشركة برمجة أميركية . وتعمل هذه الشركة على تطوير برامج والقيام بأبحاث في كل من إسرائيل وروسيا.

ومن الجائز أن هذا الأمر بالذات هو ما أثار الشبهات حوله. وخاصة أن صحيفة " صاندي تايمز" أشارت الى أن الشبهات إنطلقت أولاً من حقيقة أن العميد إسحق ياكوف يعيش مع إمرأة روسية باتت تطل على معلومات سرّية . وقد ظهرت هذه المرأة في ٢٢ نيسان ٢٠٠١ في إسرائيل أثناء قيام محكمة إسرائيلية بالنظر في أمر رفع السرّية عن معطيات هذه القضية . وقالت صحيفة "صاندي تايمز" أنه من غير

المعروف متى تعرّف إسحق ياكوف على هذه المرأة الروسية ومن هي . وأوضحت أنه سبق وأعلن طلاقه من زوجته الإسرائيلية قبل سنوات .

وذكرت صحيفة "صاندي تايمز" أن إعتقال ياكوف تمّ بأمر من وحدة الأمن في وزارة الدفاع الإسرائيلية يوم ٢٨ آذار ٢٠٠١ ، وأنه منذ ذلك الوقت يخضع للتحقيق على أيدي الشاباك . وركزت الصحيفة البريطانية على دور ياكوف في التطوير النووي الإسرائيلي سواء أثناء خدمته في الجيش الإسرائيلي أو في منصب كبير علماء وزارة الصناعة والتجارة .

واقتبست الصحيفة عن مقرّبين من ياكوف قولهم أن التحقيق مع هذا " العجوز الساذج" يشير الى حالة مرضيّة إسرائيلية تتعاطى بخوف مع كل القضايا الأمنية . وقارنت الصحيفة بين إعتقال العميد إسحق ياكوف وإعتقال مردخاي فانونو عام ١٩٨٦... إنه "جنون الإرتياب الإسرائيلي " فعلاً إزاء قضية حساسة تطال سمعة الموساد والأجهزة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية برمّتها .

وفي تصريحات لإذاعة الجيش الإسرائيلي بتاريخ ٢٢ نيسان ٢٠٠١، قال وزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيريز رداً على سؤال وجّه إليه بأربع صياغات مختلفة "ليس لديّ ما أقوله في هذا الشأن... ولست مستعداً للتفوّه بكلمة واحدة".

كما نفى النائب السابق لقائد الجيش الإسرائيلي والعضو حالياً في مجلس الوزراء المصغّر ماتان فيلناي علمه بهذه القضية وقال :"آمل ألا يكون الأمر خطيراً ، إلا أنني حقيقة لا أعرف شيئاً ".

وأوضح أنه لا يعرف ياكوف الذي خدم في الجيش قبل سنوات كثيرة، ولكنه قال: "ربما كان في المسألة ضرر وقع حتى ولو كان ذلك قبل سنوات كثيرة "(١).

هوامش (قضية إسحق ياكوف)

(١) راجع صحيفة "صاندي تايمز" البريطانية في ٢٢ نيسان ٢٠٠١. كذلك : جريدة "السفير" اللبنانية في عددها ٨٨٨٢. الإثنين في ٢٣ نيسان سنة ٢٠٠١ ص. ٩.وأيضاً : جريدة " المستقبل" . الإثنين ٢٣ نيسان ٢٠٠١.

الفصل الثالث عشر

الفضيحة الأمنية الموسّادية

في محاولة نسف البرلمان المكسيكي

لم يترك الموساد ، ولا القيادات الإسرائيلية على اختلاف أجهزتها ، فرصة سانحة ، إلا وأرادوا توظيفها بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، لخدمة سياستهم واستراتيجتهم ، التي تصب أيضاً في مصب السياسة الأميركية وأهدافها ، تحت شعار "مكافحة الإرهاب" في العالم. وفي الوقت الذي لم تستطع فيه الولايات المتحدة الأميركية من إستقطاب المكسيك (وثروتها النفطية) الى جانبها في هذه الحملة ، فقد أخذت دولة الإحتلال الصهيوني ، وجهاز إستخباراتها ، على عاتقها ، مسؤولية إقحام المكسيك في هذا الجحيم الدموي الذي كان يدور في أحداثه (المرئية) على أرض أفغانستان للقضاء على " بؤر الأرهاب " المتمثلة بحركة " طالبان" بزعامة الملاّ عمر ، وتنظيم "القاعدة" بزعامة أسامة بن لادن . لكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر ، فأخفقت العملية الموسادية التي استهدفت تفجير مبنى البرلمان في المكسيك واتهام تنظيم "القاعدة" والمنظمات الإسلامية بذلك ، ثم القي القبض على منفذي هذه المحاولة ، فتبين أنهما :كولونيل سابق في الجيش الإسرائيلي يعمل لحساب

الموساد إسمه " سالفادور سميكيه " ، وضابط آخر إسرائيلي دخل خلسة الى المكسيك إسمه " شاؤول بن تشفي " .
(بينما ذكرت بعض المراجع أن الكولونيل إسمه " سلفادور غورسون شميك" ، وزميله "سور بن تزفي").

ومهما يكن من أمر، فإن فشل العملية وإخفاقها شكّل فضيحة كبرى لإسرائيل والموساد على السواء، خصوصاً بعد ان خرجت معظم وسائل الإعلام _ باستثناء الإعلام الأميركي _ لتشير الى إعتقال هذين الضابطين الإسرائيليين اللذين كانا يقومان بمحاولة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المكسيك ، وانكشفت بالتالي الأهداف الكامنة وراء هذه المحاولة الفاشلة.

فكيف تمت هذه القضية ؟ كيف تطورت أحداثها ؟ وماذا كانت نتائجها ؟ .
لقد تناولت مجلة "الصياد" ومجلة "المحررّ العربي " هذه القضية نقلاً عن مجلة "لافوا دو أزتلان" المكسيكية الواسعة الإنتشار ، بالإضافة الى ما تناقلته "برافدا" الروسية ، فجاءت على الشكل التالي :
ماذا لو قبض على إثنين من العرب ومعهما قنابل يدوية ومتفجرات داخل مبنى مجلس نواب أجنبي وتبين فيما بعد أن أحدهما ضابط كبير ؟ في أدنى الإحتمالات لن تطلق الدولة التي يتبع لها مجلس النواب سراح هذين اللذين إن لم تتخذ إجراءات إعلان الحرب عليها أو قطع العلاقات

معها، ناهيك عن أن إعلام الغرب كله لن يترك هذا الحدث لسنة أو إثنتين .

لكن هذا كله لم يحدث منه شيئ حين أعتقل في ١٠/١٠/٢٠٠١، بعد أقل من شهر على تفجيرات أيلول / سبتمبر في نيويورك وواشنطن، إسرائيليان داخل مبنى مجلس الكونغرس المكسيكي وفي حوزهما تسع قنابل يدوية وأصابع من الديناميت شديد الإنفجار وصواعق ومسدسات من عيار ٩ ملم. ففي ذلك الوقت كانت الحملة الأميركية العسكرية على أفغانستان باسم "الحرب ضد الإرهاب" وما رافقها من حملة محمومة على العرب والمسلمين في أوجها ، ومع ذلك تمت "لفلفة" هذه المؤامرة الكبيرة وأغفلها الإعلام الأميركي والغربي لأن ذلك سيلحق الضرر بحملة إدارة بوش على الدول الإسلامية ، والعربية ، ويضع أمام أعين العالم كله أخطر المؤامرات الإسرائيلية التي تهدف الى تصعيد الحملة المحمومة على العرب والمسلمين .

ما الذي جرى في ١٥ تشرين أول / أكتوبر ٢٠٠١ في مجلس نواب المكسيك وماذا فعلت إسرائيل؟

جاء في نبأ نشرته صحيفة "لافوزدي اتسلان" المكسيكية في ٢٦/١٠/ ٢٠٠١، أن رجلين إسرائيليين أحدهما برتبة عقيد والآخر ضابط في "الموساد" (جهاز التجسس والمهام الخاصة الإسرائيلي)، تمّ اعتقالهما

داخل مبنى الكونغرس المكسيكي وفي حوزتهما مسدسان ومتفجرات وأطلق سراحهما بعد ضغوط كبيرة مارستها سفارة إسرائيل .

ويقول أرنستو سينفويغوس مراسل الصحيفة :" وفي تطور مذهل علمت الصحيفة أن الجنرال رفائيل دي لاكونشا وزير القضاء المكسيكي أمر بإطلاق سراح العقيد في الجيش الإسرائيلي (أحتياط) سالفادور سميكية ، الذي يعتبر ضابط في الموساد ، وزميله المهاجر شاؤول بن تشفي ، رغم أن الإثنين تسللا الى الكونغرس المكسيكي وبحوزتهما متفجرات وقنابل . واتصلت الصحيفة هاتفياً بالناطقة الصحفية للكونغرس أدريانا لوبيز التي أكدت إعتقال الإسرائيليين بعد أن نجحا في التسلل الى الكونغرس حين أندسّا بين عدد من ممثلي نقابة عمال صناعة السكر وتجاوزا بسهولة ضمن هذا الحشد ممرات الأجهزة التي تكشف عن وجود المتفجرات والمواد المعدنية .

وحين تنبّه ممثلو نقابة العمال المكسيكية الى وجودهما ، زعم الإثنان أنهما مصوران صحفيان ، لكن الإرتباك الذي ظهر عليهما أثار شكوك الممثلين العماليين فأحاط بهما عشرة منهم وفتشوا حقائبهم فوجدوا المتفجرات والقنابل والصواعق . وواصل الممثلون العماليون احتجازهما حتى حضر قائد أمن الكونغرس واعتقلهما . وأكد سلفادور ألدرسون المسؤول عن أمن مبنى الكونغرس وجود كل هذه الأسلحة في حوزة الإسرائيليين .

ثم أكدت السيدة لويز الناطق الصحفي بإسم الكونغرس تسليمهما للقضاء المكسيكي ، وقالت إن " الإرهابيين الإسرائيليين سميكية (٣٤عاماً) وبن تشفي (٢٧عاماً) أصبحا من إختصاص القضاء المكسيكي. وذكر هذا القضاء في أول تقرير أن الإثنين كانا يعملان لوكالة أمنية خاصة وفّرت لهما ترخيصاً لحمل المسدسين وبعد ذلك أطلق سراح الإثنين بعد أن دفع بن تشفي الذي كان قد تقدم بطلب للهجرة الى المكسيك غرامة بقيمة ٤٠٠٠دولار أعطيت لدائرة الهجرة .

إسرائيل تهدد المكسيك لإطلاق عملائها

لكن رائحة وجود مؤامرة في إطلاق سراحهما ظهرت تماماً حين فوجئت الناطقة الصحفية بإسم الكونغرس بإطلاق سراحهما عندما إتصلت بها صحيفة "لافوزدي اتسلان" . وعلمت هذه الصحيفة أن السفارة الإسرائيلية إستخدمت لغة متشددة حين طلبت من القضاء المكسيكي إطلاق سراحهما ، وهدّدت باتخاذ إجراءات غير عادية ضد المكسيك إذا لم يطلق سراحهما . وكان شارون قد أرسل مبعوثاً خاصاً الى رئيس وزراء المكسيك وعقد إجتماع بين هذا المبعوث الخاص وبين خورغيه غوتمان وزير خارجية المكسيك بحضور وزير القضاء الجنرال ماسيدو دي لاغونشا ، وناقش هؤلاء مسألة إطلاق سراح الإسرائيليين.وعلمت الصحيفة أيضاً أن ايلياسَ لوف ، أحد الموظفين في السفارة الإسرائيلية في مكسيكو سيتي كان ينشط في النهار والليل بين

السلطات المكسيكية بمساعدة الناطق الرسمي في السفارة وهي إمرأة تدعى هيلا انغيلهارت لترتيب الإفراج عنهما بصمت ودون فضائح .
ورغم أن أحداً لم يتمكن من معرفة ما جرى بالضبط بين السلطات المكسيكية وإسرائيل ومبعوثِ شارون الخاص وموظفي السفارة ، إلا أن الكثير من المكسيكيين إستغربوا جداً الإفراج عنهما خصوصاً وأن أجهزة الأمن هناك لا تتساهل مطلقاً مع من يعثر معه على المتفجرات والصواعق الجاهزة للتفجير . فماذا حدث حتى تمّ إطلاق سراحهما بسرعة فائقة ؟.

وزير خارجية المكسيك... يهودي ؟.

يقول المطلعون على الساحة السياسية المكسيكية أن خورغيه وزير الخارجية المكسيكي معروف بعلاقته المتينة الوثيقة بالحركة الصهيونية لأنه يهودي . أما الجنرال ماسيدو دي لاغونشا فهو من أصحاب العلاقة الوثيقة بالمسؤولين عن المجمع الصناعي العسكري الأميركي الذين ربطوه بشكل وثيق أيضاً مع وزارة الدفاع الإسرائيلية وقوات الجيش الإسرائيلي .
ومما لا شك أن هذه الصلات لعبت دوراً مهماً وكبيراً في اتخاذ القرار بالإفراج عن الإسرائيليين .والجدير بالذكر أن اعتقال جواسيس وإرهابيي الموساد داخل مبنى المجلس التشريعي المكسيكي إحتل أهم عناوين وسائل الإعلام المكسيكية في نفس يوم إعتقالهما في ١٠ تشرين

أول / أكتوبر ٢٠٠١ ووصفهما تلفزيون مدينة مكسيكو بالإرهابيين الإسرائيليين ، وكذلك فعل راديو المكسيك والصحف المكسيكية في اليوم التالي عند صدورها. وغطت صحيفة " لا كرونيكا اليوم" وصحيفة " إليونيفرسال" هذا الحدث ليومين متتاليين ثم توقفت جميع وسائل الإعلام فجأة وكذلك هاتان الصحيفتان عن التطرق الى جاسوسي الموساد . كما لم ينشر موقع وزارة القضاء في الأنترنت في نشرته الصحفية أي أنباء عن الإسرائيليين .

تعتيم على الحادث في الإعلام الأميركي

ومن اللافت للإنتباه أن الصحف الأميركية ووسائل الإعلام الأميركية الأخرى لم تنشر هي أيضاً ومنذ البداية أي نبأ عن إعتقال الإسرائيليين والمتفجرات التي كانت معهما باستثناء صحيفة أميركية مغمورة ويهودية أيضاً :" يو أس أي جويش " ونقلت "البرافدا" الروسية نبأ إعتقال الإسرائيليين ومؤامرتهما عن صحيفة "لافوزدي أتسلان". وتواصل هذه الصحيفة تغطيتها لهذه الفضيحة المؤامرة فتقول :" لكن ما الذي كان ينوي هذان الإرهابيان القيام به ؟ إننا نعرف تماماً هدفهما .. فالمعروف أن حكومة فيسنتي فوكس المكسيكية كانت حذرة جداً ولا تريد للمكسيك أن تتورط بأي حملة معادية للمسلمين أو شن الحرب عليهم في أفغانستان.وحتى لو قامت الحكومة بأي تعاطف مع هذه الحملة فسوف يمنعها عن القيام بذلك الشعب المكسيكي نفسه وكذلك أكبر

حزبين سياسيين في المعارضة المكسيكية وهما حزب "بي أر إي " و" بي آر دي ".

ما هي مصلحة واشنطن في لفلفة الفضيحة ؟

لكن الرئيس بوش وقادة الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة كانوا يلحون بشدة على إنضمام المكسيك الى الحرب ضد الأفغان والمشاركة بالحملة الإعلامية ضد المسلمين لأن الإدارة الأميركية كانت ترى أنه إذا اتخذت الحرب مجرى آخر وظهر لها مضاعفات كبيرة في الشرق الأوسط، مثل حظر النفط العربي عن أميركا ، فعند ذلك ستجد في المكسيك بديلاً خصوصاً وأن أكبر شركة نفط مكسيكية (بيميكس) يقع نفطها قرب حدود الولايات المتحدة . ولذلك ساد الإعتقاد المنطقي عند جميع الأوساط المكسيكية السياسية أن الإرهابيين الإسرائيليين كانا يريدان تفجير مبنى المجلس التشريعي المكسيكي بلا أدنى جدل أو شك كمرحلة أولى تتلوها فوراً مرحلة ثانية هي حشد كل وسائل الإعلام المكسيكية والأميركية في توجيه التهمة للمنظمات الإسلامية وبن لادن . ثم تتهيأ على هذا النحو الأرضية المناسبة لحكومة المكسيك بالإعلان عن مشاركتها في الحرب ضد أفغانستان وترسل قواها وتشكل احتياطي النفط للولايات المتحدة مهما كانت مضاعفات تلك الحرب ونتائجها على الدول العربية المصدرة للنفط" .

ويعقب ماريو أندراديه ، أحد المحامين المكسيكيين على ما نشرته صحيفة "لافوزدي أتسلان " قائلاً:" إن هذا الإستنتاج مؤكد تماماً بل إن ذلك يؤكد الشكوك التي تحدثت عنها هذه الصحيفة حول علاقة الموساد نفسه بعملية تفجيرات ١١أيلول في نيويورك وواشنطن . ألم تقل الصحيفة إن مجموعة من الإسرائيليين كانت تحمل معها أجهزة تصوير فيديو وكاميرات تصوير فوتوغرافي أثناء إختراق المبنيين في نيويورك فوق أحد أسطح المباني في نيويورك قرب موقع التفجير ؟؟ وهل تحدث أحد عن هؤلاء الإسرائيليين ؟.

أما حكومة المكسيك فقد ذكرت أن الإرهابيين الإثنين من الموساد ظهرت بحقهما لائحة إتهام تتعلق بالبند رقم ١٢٣ ورقم ١٤٣ بموجب القوانين القضائية (١) و (٨) و (٩) و (١٣) وأطلق سراحهما . والسؤال هو : مَن مِن المكسيكيين يعرف تفاصيل هذه البنود ؟ ولماذا تجاهلت السلطات المكسيكية ذكر المتفجرات والصواعق وكيف تمّ القبض على ضابط الموساد ومساعده ؟

على ضوء ذلك ، نستطيع القول ، أن هذه المحاولة هي حلقة أساسية من حلقات السلسلة الموسادية التي تتشابه فيما بينها من حيث الفشل والإخفاق والفضائح وتمريغ السمعة والهيبة في الوحل .

المراجع

(*) راجع : مجلة "الصياد" اللبنانية العدد ٢٩٨٠ تاريخ ١٤ كانون الأول ٢٠٠١ ص. ٧٤.

ومجلة "المحرّر العربي " العدد ٣٤٦ من ٢٤_٣٠ أيار ٢٠٠٢ ص٢٠.

الفصل الرابع عشر

صدمة الموساد باكتشاف
شبكة التجسس المالية والإقتصادية في لبنان

ليس من السهل أن يرتاح جهاز مخابراتي كالموساد وهو يرى إنهيار شبكاته الواحدة تلو الأخرى ، في الوقت الذي كان يظن فيه أن هذه الشبكات التجسسية تتمتع بساتر حصين يصعب كشفها . لكنه يفاجأ بأن إنهيارها وفرطها يشبه تماماً إنفراط حبات العنب من العنقود بسرعة لم يكن يتصوّرها من قبل ، مثلما هو الحال مع شبكة التجسس التي اعتقل أفرادها من ذوي المواقع الإجتماعية والمهنية والثقافية والسياسية المرموقة في لبنان ، والتي كان يعوّل عليها جهاز الموساد ويوليها إهتماماً خاصاً قلّما حظيت به شبكة أخرى بهذا الشكل وبهذا المستوى... وقد تناولتها مختلف وسائل الإعلام في لبنان ، في الوقت الذي فوجئ فيه كثير من أصدقائهم ومعارفهم وجيرانهم في محل إقامتهم ، بتورطهم في قضايا تجسس لصالح العدو الصهيوني منذ سنة ١٩٩٣.

وبالرغم من هزيمة العدو الصهيوني لأول مرة في تاريخه على هذه الصورة وانسحابه من جنوب لبنان والبقاع الغربي ، في ملحمة تحريرية نادرة في أيار سنة ٢٠٠٠ ، فقد استمر أفراد هذه الشبكة في عملهم

التجسسي ضد شعبهم ووطنهم وأمّتهم ، الى أن تمكنت مخابرات الجيش اللبناني بالتعاون مع جهاز الأمن في (حزب الله) من إصطيادهم ، واعتقالهم ومحاكمتهم ، وذلك من خلال مراقبة فتاة ، تدعى هنادي رمضان ، كانت تتردد الى منطقة (الحزام الأمني) قبل التحرير، الى أن تمّ إلقاء القبض عليها واعترفت بأن العميل رضوان خليل الحاج هو الذي جندها للعمل مع المخابرات الإسرائيلية ، ثم كرّت "حبّات المسبحة" وانفرط العقد الذي كان يتألف من عماد حسين الرز (أحد مدراء مستشفى الشرق الأوسط في بيروت) ومحمد عبد العزيز أبو ملحم (نائب مدير أحد المصارف) ورضوان خليل الحاج (تاجر معروف) وحسن هاشم (أحد مسؤولي حركة "أمل" سابقاً مطرود من صفوفها) ، بالإضافة الى هنادي رمضان .

فما هي أسرار هذه الشبكة ؟ وكيف تمّ القاء القبض على أعضائها ؟ وماذا كانت النتيجة ؟

إن قصة شبكة التجسس الإسرائيلية قد بدأت قبل أربعة أشهر باعتقال فتاة لبنانية تدعى هنادي رمضان ، كانت مديرية المخابرات قد رصدتها لاشتباهها بقيامها بنشاطات لصالح المخابرات الإسرائيلية قادت التحقيقات مع هنادي رمضان الى كشف هوية العميل رضوان خليل الحاج ، الذي طوّع في الأصل هنادي المذكورة للعمل ضمن الشبكة .

وأحيلت هنادي مع الملف الى النيابة العامة العسكرية ، وبنتيجة التحقيقات المكثفة مع رضوان الحاج ، كشف الأخير عن بقية أفراد الشبكة ، وهما عماد حسين الرز ومحمد عبد العزيز أبي ملحم ، وجرى تعقب الشبكة في لبنان وفي بعض الدول الأوروبية التي كان أفراد الشبكة يسافرون اليها للقاء الضباط الإسرائيليين ، وكان آخر لقاء لعماد الرز في السفارة الإسرائيلية في روما في ١٠ شباط ٢٠٠٢.

ويعتبر عماد الرز ، الرئيس الفعلي للشبكة ، وقد دلّ على ذلك أن المخابرات الإسرائيلية قد جهزته ببطاقة لهاتف خليوي تسمح له بإجراء الإتصالات الدولية عبر الشبكة الإسرائيلية .

وقد تقاضى أفراد العصابة الذين عملوا منذ العام ١٩٩٣ مع المخابرات الإسرائيلية الى حين توقيفهم ، عشرات آلاف الدولارات كبدل للمعلومات التي كانوا ينقلوها .

ويبدو من الموقع الإجتماعي والمهني والثقافي لأفراد الشبكة وأعمارهم ونضجهم ، بأنها كانت تمثل أهمية خاصة للموساد ، بحيث تعطي الفرص المناسبة للقيام بعمليات إختراق لمختلف القطاعات السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، كما تعطيهم حرية الحركة داخل لبنان وخارجه ، والقيام بأسفار متكررة دون لفت النظر الى حركتهم .

فعماد الرز هو مدير في مستشفى الشرق الأوسط ومحمد أبي ملحم هو نائب مدير أحد المصارف ، فيما رضوان الحاج تاجر معروف .

أما على صعيد نشاط الشبكة ، فلم يقتصر كما عودتنا المخابرات الإسرائيلية على الإستعلام الأمني المحدود ، بل غطى نشاط الشبكة قطاعات واسعة ، منها إنتشار الجيشين اللبناني والسوري ، وبذل الجهود اللازمة لاختراق حزب الله والمنظمات الإسلامية ، الى جانب التركيز على المصارف وحركة تبييض الأموال ، والتي شكلت أولوية بعد أحداث ١١ أيلول ، كما أنها شملت الرصد السياسي وجمع المعلومات عن النواب والوزراء والفعاليات السياسية والإجتماعية ، ولم تغفل بالتأكيد عن موضوع الأسرى الإسرائيليين ومعلومات عن أمكنة دفن بعض الجنود الإسرائيليين .

وفي رأي بعض المصادر الأمنية ، أن الكشف عن الشبكة يدحض كل أفكار التبسيط التي حاولت أن تسوقها بعض الفئات ، عن أن الحديث عن وجود عملاء لإسرائيل في لبنان هو هراء ، ويأتي في سياق الذرائع التي تستعملها الأجهزة الأمنية ضد بعض الأشخاص لأسباب سياسية ، وحجتهم في ذلك أن إسرائيل قد فقدت كل إهتماماها بما يجري في لبنان منذ إنسحابها منه في ٢٥ أيار العام ٢٠٠٠ .

وكشفت المصادر أن هنادي رمضان التي كانت أوقفت من قبل الأجهزة الأمنية وأطلق سراحها لساعات قليلة قد جرى توقيفها مجدداً، ولم تفصح المصادر عن أسباب توقيفها مرة أخرى ولا عن أسباب إطلاقها .

وعلمت "الديار" من المصادر ذاتها أن حسن هاشم إعترف أمام المحقق أنه قام بإتصالات مع مسؤولين إسرائيليين في الخارج ، وبالتحديد في بعض السفارات الإسرائيلية في الخارج . وأوضحت أنه إعترف بقبض مبالغ مالية تصل الى حدود ١٥٠ الف دولار .

وأشارت المصادر الى أن الموقوفين الأربعة الذي جرى توقيفهم قبل هاشم لم يأتوا على ذكر الأخير باستثناء محمد عبد العزيز أبي ملحم الذي إعترف بتورط هاشم في إجراء إتصالات مع الإسرائيليين .

وبالفعل ، طرحت قضية توقيف هذه الشبكة التجسسية الهامة لمصلحة العدو الإسرائيلي سلسلة تساؤلات حول ما يخططه هذا العدو ضد الساحة اللبنانية ، رغم كل ما حصل طيلة سنوات المواجهة مع الإحتلال الإسرائيلي بالإضافة الى الضغوط والخروقات التي مارسها خلال فترة السنتين بعد التحرير.

وفي اعتقاد مصادر سياسية بارزة أن كشف شبكة التجسس على مستوى كبير من الأهمية ، ليس لأن العدو استطاع تجنيد هؤلاء الناس لخدمته مقابل بضعة عشرات الآلاف من الدولارات ، بل لأن كشف الشبكة يعطي مصداقية كبرى للقوى الأمنية بعدما أثبتت أنها قادرة على منع حصول إختراقات للساحة الداخلية ، وتشير هذه المصادر الى أن أهمية الكشف عن الشبكة لا تلغي خطورة العمل الذي قامت به خلال فترة تعاملها مع العدو الإسرائيلي ، خصوصاً أنها كانت مكلفة بجمع

معلومات إقتصادية _ مالية إضافة الى المعلومات السياسية والأمنية ، مما يؤشر الى أن إسرائيل لا تزال تسعى بكل ما لديها من إمكانيات لإختراق الساحة لأهداف متعددة أبرزها التالي:

_ محاولة جمع المعلومات عن السياسيين والقوى المختلفة بما يمكنها من إختراق من يمكن إختراقه كما حصل مع حسن هاشم ، والإغتيال كما حصل مع الوزير السابق ايلي حبيقة .

_ جمع المعلومات عن التحركات الأمنية والعسكرية للجيشين اللبناني والسوري إنطلاقاً من أصدقاء شبكة التجسس بما في ذلك من يمكن أن يكون متورطاً من غير الذين جرى توقيفهم .

_ الأخطر في كل ذلك جمع المعلومات عن الاقتصاد اللبناني بما يوفر ذلك من مادة للعدو الإسرائيلي كي يسعى ويعمل لخلق حالة من عدم الإستقرار الاقتصادي المالي وصولاً الى إنهيار البلد في حال تمكنه من ذلك .

وفي تقدير المصادر فإن إسرائيل تحاول في الوقت ذاته وعندما تستطيع ذلك خلق إرباكات في كل الإتجاهات والدليل على ذلك الإعترافات لشبكة التجسس الأخيرة.

وتضيف المصادر أن ما حصل يؤكد أن إسرائيل ما تزال تعمل لإختراق الساحة ، وليس هناك من رادع لهذا الإختراق إلا بتقوية ودعم النظام الأمني والذي تلعب فيه أجهزة المخابرات الدور الرئيسي .

وعلقت مصادر سياسية موالية أن كشف هذه الشبكة الخطيرة يفرض ضرورة تحصين الوضع الأمني .

وترى هذه المصادر أن دور الأجهزة الأمنية سيتعاظم لأن إنتهاء الإحتلال والمواجهة في الجنوب سيدفع إسرائيل الى تكثيف عملياها في الداخل ، وهذا ما يشكل خطراً متصاعداً في ظل النوايا الإسرائيلية ضد الدولة والمقاومة ، بحيث يتحوّل الى عمل ميداني إرهابي .

هذا ، وقد وزعت قيادة الجيش _ مديرية التوجيه بياناً عن هذه الشبكة جاء فيه :" تمكنت مديرية المخابرات في الجيش بعد سلسلة تحريات وتحقيقات من كشف وتوقيف شبكة تجسس لصالح العدو الإسرائيلي تضم عماد حسين الرز ٤٣سنة (مدير في أحد مستشفيات بيروت). ومحمد عبد العزيز أبي ملحم (٤٥ سنة ، شغل في السابق نائباً لمدير أحد المصارف)، ورضوان خليل الحج (٣٨سنة _تاجر).

وقد إعترف أفراد الشبكة بالعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية منذ العام ١٩٩٣ وحتى تاريخه ، وزودوا العدو بمعلومات عن تحركات ومراكز الجيش اللبناني والعربي السوري ونشاطات المقاومة وبعض الشخصيات السياسية اللبنانية ، وعن مؤسسات إقتصادية ومصرفية وسياحية وحركتها الإقتصادية ، وكانوا يسلمون المعلومات لضباط من المخابرات الإسرائيلية يلتقوهم بناء على تخطيط مسبق في عدد من السفارات الإسرائيلية في بعض العواصم الأوروبية .

كما قام أفراد الشبكة بتجنيد أشخاص للعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية وتأمين لقاءات لهم خارج لبنان مع الضباط الإسرائيليين . وقد تقاضوا في مقابل هذه الأعمال مبالغ مالية ضخمة . وأحيل الموقوفون الى القضاء المختصّ ".

وعلمت "السفير" من مصادر مطلعة على مجريات التحقيق أن أفراد هذه الشبكة "عملاء مميزون" كان ضباط "الموساد" يستقبلونهم في السفارات الإسرائيلية الموجودة في عدد من العواصم الأوروبية مثل برلين، أوسلو ، روما ، وفيينا بخلاف ما كانوا يفعلون مع أفراد شبكات التجسس الأخرى حيث كانوا يلتقون بهم في الفنادق والمطاعم، مما يدل على خطورة المعلومات التي كانوا مكلفين بجمعها .

وتركزت مهمة هذه الشبكة على المؤسسات المصرفية والإقتصادية والمنتجعات السياحية البارزة ومعرفة مدى علاقتها بحزب الله وما إذا كانت تمدّه بالمال ، وذلك في وقت كان يتعرض فيه لبنان لضغوط كبيرة من الولايات المتحدة الأميركية في إطار "حربها" على "الإرهاب" وما إستتبعها من صدور للقرار الدولي المتعلق بمكافحة الإرهاب والذي عرف بالرقم ١٣٧٣.

وكّلف الموقوفون الثلاثة بمعرفة الدعم المادي الذي تقدمه بعض المؤسسات التجارية والإقتصادية الكبرى في منطقة الضاحية الجنوبية

لحزب الله ، وحقيقة وضعها المالي وقدرها على تأمين الدعم للحزب بشكل خاص وللإقتصاد اللبناني بشكل عام .

وشمل نشاط الرز وأبي ملحم والحاج تزويد الضباط الإسرائيليين بالمعلومات الأمنية عن مواقع الجيشين اللبناني والسوري والمقاومة في غير منطقة لبنانية ، وعن تحركات عدد من النواب والشخصيات السياسية والحزبية البارزة وفي طليعتهم أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله إضافة الى محاولة جمع معلومات عن الطيار الإسرائيلي رون آراد الذي سقطت طائرته الحربية خلال إغارها على جنوب لبنان في الثمانينيات.

وكان هؤلاء الثلاثة يحددون معلوماهم حول المراكز الحساسة على صور جوية مكبرة تعرض عليهم من قبل الضباط الإسرائيليين الذين كانوا يكافئوهم بالأموال الطائلة في كل رحلة خارجية بحيث تراوح قيمة المكافأة الواحدة بين خمسين ألف دولار ومئة ألف دولار أميركي .

وتضيف المعلومات الأمنية التي حصلت " السفير" عليها أن الموقوفين الثلاثة لا يعرفون بعضهم بعضاً مما يعني أهم كانوا يشكلون شبكة غير مترابطة ، ولكنها كانت تؤدي الدور نفسه وتنفذ التعليمات نفسها التي كلفها بها ضابط الإرتباط الإسرائيلي المعروف بإسم "رينيه".

وقدتمّ توقيف الرز وأبي ملحم والحاج في لبنان عن طريق فتاة كانت رأس الخيط في الكشف عن الشبكة ورصدها على مدى أربعة أشهر .

الموقوفون الثلاثة عملوا تسع سنوات في التجسس من دون إثارة الشبهات نظراً لمكانتهم الإجتماعية التي كانت تتيح لهم تغطية أسباب سفرهم من حين الى آخر الى الخارج ، وكذلك تجنيد بعض الأشخاص للعمل والذين تتواصل التحقيقات والتحريات لكشفهم وتوقيفهم ..

كما تناول العميد المتقاعد نزار عبد القادر هذا الموضوع في جريدة "الديار" مشيراً الى خطورته على مختلف الأصعدة ، حيث تؤكد شبكة التجسس التي ضبطتها مديرية المخابرات في الجيش سواء من نوعية الأشخاص الذين طوّعتهم إسرائيل للعمل لصالحها أو من نوعية المهمات الإستعلامية التي كلفتهم بها على عمق إهتمامات إسرائيل بالأوضاع اللبنانية السياسية والأمنية والإقتصادية . ويمكن وصف العملية بأنها تصب في خانة العمليات التجسسية المتقدمة، إنْ كان لجهة تنظيم الشبكة أو إختيار أفرادها وتنوع مهنهم وموقعهم الإجتماعي بحيث يمكّنهم من التستر ومن حرية الحركة في داخل لبنان وخارجه لجمع أكبر قدر من المعلومات، دون التعرّض لانكشاف أمرهم .

وتأتي هذه الشبكة الجديدة لتعيد رسم صورة عن عمق الإهتمامات الإسرائيلية بالساحة اللبنانية ، وخصوصاً في أعقاب هجمات ١١ أيلول على واشنطن ونيويورك، والتي فتحت الشهية الإستخباراتية لدى جهاز الموساد الإسرائيلي ليتوسع في جهده لجمع المعلومات عن كل أوجه

النشاط السياسي والإقتصادي والأمني وصولاً الى محاولات لخرق النظام المصرفي وإختراق التنظيمات الإسلامية الأصولية.

في الواقع، لا يشعر المواطن بأهمية الأمن طالما بقيت الأوضاع مستقرة، وطالما غاب عن ناظريه خطر التهديد لحياته أو لمصالحه، وفي غياب إدراك حقيقة التهديد الإسرائيلي المستمر لا بل المتصاعد ضد لبنان تبقى الساحة مفتوحة للمزايدة سواء في موضوع الحرص على الحريات أو في موضوع عصر النفقات الباهظة "وغير المجدية" التي تستنزفها الأجهزة الأمنية .

في إطار الحديث عن أهمية "نعمة الأمن" والتي بدا لوهلة، إن اللبنانيين قد نسوا أو تناسوا كل المآسي التي واجهوها عندما غابت الدولة وأجهزتها عن الإضطلاع بدورها الاساسي في تحقيق الأمن حيث سادت ولسنوات طويلة شريعة الغاب وفتحت حدود الوطن لطوابير الإحتلال والتخريب الإسرائيلية.

وحتى لا ننسى جميعنا ضرورة وحيوية نجاح الدولة في تحقيق الأمن عبر صيانته بالطريقة الوقائية وعلى غرار ضبط شبكة التجسس التي أعلن عنها .. أن أهمية وخطورة هذه الشبكة تستدعي تسليط الضوء على أفرادها ونشاطها المتنوع كخطوة على طريق زيادة الوعي العام من أجل تحصين الساحة الداخلية ومواجهة المخطط الإسرائيلي الموجه ضد لبنان .

كيف توصلت مديرية المخابرات الى كشف الشبكة ؟

في معلومات من مصدر أمني رفيع لـــ" الديار" بأن قصة الشبكة قد بدأت قبل أربعة أشهر باعتقال فتاة لبنانية تدعى هنادي رمضان كانت مديرية المخابرات قد وضعتها على لائحة أهدافها لقيامها بنشاطات مشبوهة .

أوقفت هنادي رمضان بعد توفّر الدلائل على ضلوعها بالعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية وجرى التحقيق معها بتهمة التعامل مع المخابرات الإسرائيلية ، حيث إعترفت بالتهمة وأقرّت بأن المدعو رضوان خليل الحاج قد طوعها للعمل معه لجمع المعلومات لصالح إسرائيل . ونتيجة إعتراف هنادي نظم لها ملف تحقيق قضائي وأرسلت للنيابة العامة العسكرية .

وفي التحقيق المكثّف الذي تابعته مديرية المخابرات مع المدعو رضوان خليل الحاج إعترف بوجود شبكة أساسية مؤلفة منه ومن عماد حسين الرز ومحمد عبد العزيز أبي ملحم ، وانطلاقاً من هذه المعلومات المثيرة استطاعت مديرية المخابرات من تعقّب نشاط أفراد الشبكة داخل لبنان وفي عدد من الدول الأوروبية .

وكان آخر هذه الإتصالات التي أجرتها الشبكة مع الموساد الإسرائيلي في ١٠ شباط ٢٠٠٢ في السفارة الإسرائيلية في روما ، حيث تقرر بعد ذلك توقيف أفراد الشبكة خوفاً من إفلاتهم من قبضة العدالة خصوصاً بعدما إستنفدت جميع الوسائل لضبط عناصر جديدة تابعة للشبكة حيث

كانت تحوم الشبهات على بعض الأشخاص الآخرين ، حيث أكدت عمليات الرصد أن بعض هؤلاء الأشخاص المشبوهين قد رفضوا التعاون مع أفراد الشبكة عندما حاولوا تطويعهم للعمل معهم تحت ذرائع متنوعة.

تنظيم الشبكة وأفرادها

وفق معلومات المصدر الأمني ضمت الشبكة ثلاثة عناصر أساسية بالإضافة الى هنادي رمضان وهم :عماد حسين الرز_٤٥سنة، مدير مستشفى الشرق الأوسط في بيروت ومحمد عبد العزيز أبي ملحم _٤٥ سنة وكان مساعداً لمدير أحد فروع المصارف ، ورضوان خليل الحاج _ ٣٨سنة تاجر، ويبدو من الموقع الإجتماعي والمهني والثقافة التي يتمتع بها أفراد الشبكة وأعمارهم مدى الأهمية التي كانت تحتلها بالنسبة للموساد الإسرائيلي . فالموقع الإجتماعي والمهني يسهّل لأفراد الشبكة عملية الإختراق لمختلف القطاعات الإجتماعية والمهنية ، كما يسمح لهم موقعهم وثقافتهم وأعمارهم بحرية الحركة ، داخل لبنان وبالقيام بأسفار عديدة دون إمكانية لفت النظر الى حركتهم .

ووصف المصدر الأمني الرفيع بأن عماد حسين الرز العضو الأبرز في الشبكة وبأنه كان يقوم بوظيفة رئيس وموجّه الشبكة دون أن يعني ذلك أنه يحجب أعضاءها الآخرين من السفروالإتصال بمدير الشبكة الإسرائيلي . وظهرت أهمية موقع عماد الرز من خلال تجهيزه بكارت

لهاتف خليوي إسرائيلي من النوع الذي يسمح بإجراء إتصالات دولية عبر الشبكة الإسرائيلية .

ويضيف المصدر الأمني أن التحقيقات قد أثبتت قيام أفراد الشبكة بأسفار عديدة الى عدة دول أوروبية للإجتماع بضباط إسرائيليين داخل السفارة الإسرائيلية في هذه الدولة ، وكان آخرها سفر الرز الى روما في ١٠ شباط ٢٠٠٢ .

نشاط الشبكة ومهامها

نظراً لأهمية أفراد الشبكة وقدرتهم على التحرك وجمع المعلومات أعطيت للشبكة مجموعة من المهمات الإستعلامية الخطيرة الواسعة بحيث أنها لم تقتصر على الموضوع الأمني بمعناه الضيق ، على غرار المهمات التي أعطيت لمجموعة من الشبكات جرى كشفها سابقاً والتي كانت تقتصر مهماتها على جمع المعلومات عن أهداف محدودة ، تتخذ في غالب الأحيان الطابع الأمني الميداني أو التخريبي أو التحضير لعملية إغتيال .

لقد تركزت مهمات الشبكة على المواضيع الآتية :

١ــ في الشأن الأمني : جمع المعلومات عن إنتشار وحدات الجيشين اللبناني والسوري في مختلف المناطق ، وقد شدد الجانب الإسرائيلي على ضرورة جمع المعلومات عن عملية إعادة إنتشار القوات السورية بعد إنسحابها من بيروت ومناطق جبل لبنان .

٢_ محاولة إختراق تنظيم حزب الله والمنظمات الإسلامية الأخرى ، وجمع المعلومات عن إنتشار حزب الله في الجنوب ومواقع قياداته ومعلومات عن القياديين ، ويبدو أن أفراد الشبكة قد نجحوا في الإتصال مع بعض القيادات السياسية في الحزب وخصوصاً النواب منهم .

٣_ الرصد السياسي : كلفت الشبكة بالقيام بعمليات جمع معلومات سياسية ورصد أنشطة القيادات والفعاليات وقد زوّدت بالفعل الموساد الإسرائيلي بمعلومات قيمة وأساسية عن عدد كبير من النواب والوزراء وقد رصدت لسنوات طويلة نشاطات عدد كبير من النواب والوزراء والفعاليات .

٤_رصد النشاط الإقتصادي:كلفت الشبكة برصد النشاط الإقتصادي في لبنان وخصوصاً الوضع المصرفي والمالي وعمليات تبييض الأموال وحسابات بعض الأشخاص والمنظمات وخصوصاً حركة تبييض الأموال وذهبت المخابرات الإسرائيلية الى أبعد من ذلك في اهتمامها بالوضع الإقتصادي من خلال الطلب الى الشبكة لجمع معلومات عن القطاع السياحي وحركة الأجانب والعرب باتجاهه بعد أحداث ١١ أيلول .

٥_ البحث عن المعلومات الخاصة بالأسرى الإسرائيليين ، وعن أماكن دفن بعض الإسرائيليين الذين قتلوا أو ماتوا في الأسر ومنهم رون أراد. وشكل المال الحافز الأساسي لهذا النشاط الكبير الذي أنيط بأفراد

الشبكة حيث قبض كل منهم خلال السنوات التي امتدت من العام ١٩٩٣ الى حين ضبط الشبكة عشرات آلاف الدولارات كل سنة .

ويعتبر المصدر الأمني الرفيع أن تنظيم هذه الشبكة المثقف وانتقاء أفرادها بدقة وقدرتهم على التخفّي لسنوات الى جانب المهمات الواسعة التي كلفوا بها تؤشر الى الأهمية التي تعلّقها الأجهزة الإسرائيلية على إختراق المجتمع اللبناني بكل مؤسساته ، وهي تشكل تهديداً خطيراً لمستقبل لبنان وهذا ما يستدعي اليقظة وتكثيف النشاط المضاد الذي تضطلع به مديرية المخابرات والأجهزة الأمنية الأخرى .

يعيد ضبط الشبكة هاجس الأمن والتهديد الإسرائيلي الى الواجهة خصوصاً بعدما تبين أن النوايا الإسرائيلية تتعدى مفهوم التهديد بمعناه الضيق والذي يتوقف عند حدود المواجهة في الجنوب ليشمل كل المصالح الحيوية اللبنانية .

إنها ولا شك ، "كارثة" أصابت الموساد في الصميم ، والحبل على الجرار.

المراجع

١ـ جريدة "الديار" . العدد ٤٨١٠ الخميس ٢٨شباط ٢٠٠٢ ص. ١

ـ والعدد ٤٨١٣ الأحد في ٣ آذار ٢٠٠٢.

٢ـجريدة "السفير" العدد ٩١٣٦ الأربعاء ٢٧ شباط ٢٠٠٢ص. ١٦

٣ـ جريدة "النهار" الأربعاء ٢٧ شباط ٢٠٠٢

الفصل الخامس عشر

الإختراق السوفياتي للإستخبارات الإسرائيلية
أو" الخطر الأحمر"

"الخطر الأحمر"

شكلت عمليات الإختراق السوفياتي لأجهزة الإستخبارات الإسرائيلية حالة نموذجية من نوعها في عالم التجسس .
وكانت بالنسبة لقادة الموساد ، ولقادة الأجهزة الأمنية الأخرى ، بمثابة ضربات "المنجل" على رقابهم ، و "المطرقة" على أدمغتهم . وبتعبير أكثر دقّة ، فإن الموساد أصيب " بالسيدا الأمنية" أو " بالإيدز الأمني" قبل أن تعرف ظاهرة الإيدز وتنتشر ، بالشكل الذي عرفت فيه وانتشرت فيه بالغرب .

وبالفعل ، يعتبر الإختراق السوفياتي للمجتمع الإسرائيلي عامة، وللأجهزة الأمنية الإسرائيلية ، خاصة، وللموساد على الأخص ، من أكثر الضربات إيلاماً لهذا الجهاز الذي يدّعي قادته دوماً بأنه منزّه عن الخطأ ، كما عن الإختراق والهزّات الداخلية؛ مع العلم أن هذا الجهاز ،

وأكثر من أي جهاز إستخباري آخر ، مصاب بأدران وأورام خبيثة ، تجعل عافيته وسلامة صحته على المحك .

على هذا الأساس ، ليس بمقدور رؤساء الموساد ، على إختلاف ألوانهم وامزجتهم وطموحهم ، أن يخفوا فضائح هذا الجهاز على مرّ تاريخه . إذ من المؤكد أن أيّ رئيس للمخابرات الإسرائيلية لم ينجُ من فضيحة أو أكثر ، إن لم تودِ بحياته الشخصية ، فبحياته السياسية والعسكرية ، ودفعته إما الى الإستقالة أو الإقالة ... وطبيعي أن يكون طعمها في كلتا الحالتين ، مرّ .

ويعترف أحد رؤساء الموساد الأسبق ، إيسر هارئيل ، أنه "ليس هناك أمهر من الروس في إلقاء الشباك" (١) العنكبوتية وإصطياد الضحية . وبنوع من "المباهاة" بالقدرات الخارقة لجهاز الموساد في الميدان الإستخباري ، يشير هارئيل بقوله :" ومما لا شك فيه ، أن المحاولات السوفياتية تلك ، لم تغب عن أعين جهاز الإستخبارات الإسرائيلي الذي كان يراقبها،ويراقب جميع خطواتها بعين الصقر "(٢).

بيد أن التناقض الذي وقع فيه إيسر هارئيل في هذا الإطار ، وشكّل دحضاً واضحاً لمزاعم القدرة الإستخبارية الإسرائيلية ، يتمثل في إعترافه أن معظم إكتشاف العملاء السوفيات وغيرهم تمّ بطريق الصدفة ، فضلاً عن أن "العنصر اليهودي" قد شكل جلّ حالات الإختراق هذه ؛ وليس

معنى ذلك سوى الإسفين الكبير في نعش "المسلّمات"الصهيونيه واليهوديه ، وبالتالي معظم المزاعم والأباطيل التي تتبجّج بها على مرأى من دول العالم ومسمعها ، مدّعية أن "اليهودي" لا يمكن أن "يخون" اليهودي الآخر ، ولا دولته ولا ديانته !!! .

والأهم من كل ذلك ، أنه لم يكن معظم العملاء الأجانب الذين أكتشفت علاقتهم بالسوفيات أو بإستخبارات الدول الشرقية والعربية وغيرها، من النوع العادي والبسيط ، بل كان معظمهم من العلماء ورجال الفكر والسياسة ، أو من أركان العسكرية الإسرائيلية وهيئاتها القيادية . بمعنى أن هذا التغلغل لم يقتصر على الجسم الإسرائيلي نفسه، سياسياً وعسكرياً ، حيث استقر أحياناً في جمجمة أصحاب القرار...

أما عن الطريقة التي اعتمدها السوفيات " لإقتناص" العملاء في دولة الإحتلال الصهيوني ، خصوصاً العلماء منهم ، يؤكد إيسر هارئيل أنها كانت فعلاً "طريقة ذكية وماكرة ؛ فقبل أي إتصال مع أحد العلماء ، كان جهاز الإستخبارات السوفياتي يجمع عنه جميع المعلومات الممكنة ، عن عمله وعائلته وماضيه وعلاقاته وإرتباطاته ، ونقاط ضعفه ، ومن ثم يتوجه إليه أعضاء البعثة (العلمية السوفياتية) وهم مزوّدون بتلك الكمية الهائلة من المعلومات "(٣) .وعبر هذا الأسلوب ، يجد العالِم نفسه أمام أشخاص يعرفون عنه كل شيئ ، في الوقت الذي نسي هو

بذاته بعض التفاصيل ، فيذكره هؤلاء الأشخاص بها. عندها يدرك أنه في قبضة أناس يتحكّمون ، ليس برقبته فقط ، بل وبعقله وبدماغه أيضاً ... فيبدو أمامهم قزماً بالرغم من علوّ كعبه وهمّته ومنصبه وبحر معلوماته ، فيذعن صاغراً للإستفادة من علوم هؤلاء ومعلوماتهم _ الكنـــز ...

إنطلاقاً من هذا الواقع ، يجدر بنا أن نتطرق الى بعض العّينات التي تمثل نوعاً من الحقائق والوقائع الدامغة في هذا الإطار . وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نذكر ما يلي:

أولا : قضية إسرائيل بير :

تعتبر قضية الدكتور إسرائيل بير من أكثر القضايا حساسية وخطورة بالنسبة لجهاز الإستخبارات الإسرائيلية (الموساد) ، حيث أصبح وضعه فعلاً على محكّ المصداقية ، وأدرك عقم "أسطوريته وطرزانيته" ، فضلاً عما حملته هذه القضية من إنعكاسات على أوضاع وزارة الدفاع الإسرائيلية ذاتها ، حيث كان إسرائيل بير أحد أبرز أركانها . حتى أن البعض كان يسميّه "ليدل هارت الإسرائيلي" (٤) كما جاء في كتاب بار زوهار .

لقد أدين إسرائيل بير بالتجسس لصالح الإتحاد السوفياتي . وقد جنّده مندوب "وكالة تاس" (السوفياتية) في دولة الإحتلال الصهيوني ويدعى"لوسيب"، واستخدمه العميل السوفياتي سوكولوف .

هذا ، ومن خلال تسليط الضوء على شخصية إسرائيل بير ووظائفه وطبيعة عمله، ندرك أهمية الخلل الفاضح في جهاز الموساد "الأسطوري".

كان إسرائيل بير خلال حرب ١٩٤٨، قد وصل الى رتبة " مقدّم "، وأصبح أحد المساعدين الرئيسيين لرئيس الشعبة التنفيذية إيغال يادين . وحال إنتهاء الحرب عيّن رئيساً لشعبة التخطيط في الجيش الإسرائيلي ... وعندما تمّ تعيين إيغال يادين رئيساً للأركان ، توقع بير أن يعيّن نائباً له . وعندما عيّن العميد (مكليف) نائباً ليادين ، إستقال بير من وظيفته ... لكنه عاد سنة ١٩٥٥ الى وزارة الدفاع ، حيث ألقيت على عاتقه مهمة كتابة التاريخ الرسمي لحرب ١٩٤٨ (والتي يطلق عليها إسم "حرب الإستقلال " في المنظار الصهيوني) .

فضلاً عن ذلك ، كان إسرائيل بير أحد نشطاء القياديين في حزب "مبام"،وبالتحديد،كان أحد نشطاء الشعبة الأمنية في هذا الحزب ، والتي كانت مسؤولة بشكل أساسي عن الإهتمام بمجنّدي الحزب في الجيش الإسرائيلي،وبتوجيه أعضاء الكنيست في الشؤون والقضايا الأمنية .
بالإضافة لكونه محلّلاً عسكرياً لصحيفة "عل همشمار "، فقد تعززت مكانة إسرائيل بير في أعقاب حرب ١٩٥٦(العدوان الثلاثي عل مصر) وأصبح شخصية دائمة في مكتب شمعون بيريز ، مدير عام وزارة الدفاع؛ كما أصبح بمثابة الشخصية العسكرية الوحيدة التي توضح سياسة الأمن

الإسرائيلية ، للشخصيات الأجنبية . وهكذا أصبح إسرائيل بير أحد الشخصيات المهمة ، التي تلازم شمعون بيريز وتسير في ركابه وركاب حاشيته ، وازدادت مكانته كمنظّر عسكري كبير ...

وفي بداية عام ١٩٥٦ ، أصبح بير المحلّل العسكري لصحيفة هآرتس. وفي بداية عام ١٩٥٩، رأس مدرسة المؤرخين العسكريين في دولة الإحتلال الصهيوني ، التي إفتتحت في جامعة تل أبيب ، حيث كان ضباط الجيش الإسرائيلي يتلقّون علومهم التاريخية ، وأصبح بير معروفاً، بأنه أرفع مؤرخ إسرائيلي عسكري ... وبفضل موقعه كأمين سر مدير الدفاع ، فلم يكن بمقدور أي ضابط أن يشك في هذا الرجل الذي كان يحصل على المعلومات كما يحصل "الوعاء على المياه المتدفقة من حنفية مفتوحة " . هذا بالإضافة الى وظيفة أخرى كان يشغلها مع شمعون بيريز هي وظيفة "المساعد الأمني" له . فضلاً عن تكليفه من قبل وزارة الدفاع الإسرائيلية بأن يكون عضواً في لجنتي التخطيط لساعات الطوارئ ولجنة التحقيق في أعمال بنحاس لافون ، الذي كان يشغل آنذاك منصب وزير الدفاع . هذا ، إضافة الى عمله كمحاضر في "كلية القيادة والأركان" التابعة للجيش الإسرائيلي ،ورئيساً للكادر العسكري التاريخي في جامعة تل أبيب .

فوق كل ذلك ، فقد كان إسرائيل بير من أقرب المقربين الى دافيد بن غوريون ، ووصفته المصادر المختلفة بأنه المستشار الشخصي له ، حيث

لم يكن بن غوريون يسلّم دفتر مذكراته الشخصية (التي تحمل طابع السرّية فوق العادة ، والتي كان يجهلها كثير من الوزراء الصهاينة) إلا لإسرائيل بير فقط .

ألقي القبض على إسرائيل بير بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٦١، بعد لقاء جرى بينه وبين سوكولوف، سلّمه فيه محفظة تحتوي أوراقاً سرّية ومفكرة بن غوريون الشخصية ... وعندما أبلغ إيسر هارئيل بن غوريون بأمر إعتقال إسرائيل بير ، ذهل بن غوريون وقال :" كنت غارقاً في محيط من الأكاذيب ".

هزّت هذه الفضيحة أركان دولة الإحتلال الصهيوني من أساسها ، سياسياً وعسكرياً وأمنياً . لكن الجهاز الذي كان أكثر تأثراً بهذه الفضيحة ومخاطرها كان جهاز الإستخبارات الإسرائيلي نفسه ..."المنــزّه عن الخطأ وعن الفشل وعن الإختراق !!! "، والذي عجز عن كشف الإسم الحقيقي لإسرائيل بير ، باعتباره لغزاً من ألغاز جهاز الإستخبارات السوفياتية ، وسراً من أسرارها القابعة في أحد ملفاتها التي تضم السيرة الحقيقية لهذا الرجل (٥) . ولا ندري إن كان الموساد قد توصّل بعد إنهيار الإتحاد السوفياتي ، وتعاونه الأمني مع الـ "كي.جي.بي" الى الإسم الحقيقي لإسرائيل بير أم لا ؟ .

ونتيجة المحاكمة التي استغرقت شهوراً طويلة ، حكم على إسرائيل بير بالسجن عشر سنوات بدءاً من تاريخ إعتقاله في ٣١ آذار ١٩٦١.

لكن إستئناف الحكم من قبل بير والإدعاء العام ، حدا بالمحكمة العليا التي كان يرأسها يومذاك إسحق ولشن ، لاتخاذ قرار بزيادة عقوبة بير وجعلها خمس عشرة سنة ، بالسجن الفعلي بدلاً من عشر . لكنه لم يقضِ مدة الحكم سجيناً حيث توفي داخل سجنه بعد سنوات قليلة من توقيفه .

ومما يجدر ذكره في هذا المجال ، وتبياناً للحقيقة التي تعرّي جهاز الموساد من إدّعاءاته " السوبرمانية والأسطورية "، هو ما ذكره ريتشارد ديكون ، أحد كبار رجال الإستخبارات البريطانية عندما قال إستناداً الى كوكريدج حول إسرائيل بير : " ما كان ليُكشَف بير أبداً لولا الهارب الشيوعي ، الكولونيل مايكل غولينفيسكي ، من المخابرات البولونية ، الذي اتصل بوكالة المخابرات المركزية الأميركية في برلين الغربية . وقد هزّت كشوفاته وإفشاءاته العديد من أجهزة المخابرات حتى أساساتها(٦) وتكفي هذه الإشارة للدلالة على عقم المزاعم الموسادية ومعجزاتها ...

كما أن مؤلفي كتاب " حروب إسرائيل السرّية ..."، إيان بلاك وبيتي موريس ، يشيران الى هذه القضية أيضاً بالقول أن إيسر هارئيل "نفى في وقت لاحق تخمينات أفادت بأن وكالات إستخبارات صديقة قد ساعدت الشين بيت في كشف بير . وحسب ما ورد في تلك التقارير، حذر جهاز الإستخبارات البريطانية الإسرائيليين سابقاً من أن إسم بير قد وجد ضمن أوراق غوردون لونسدال ، وهو نفسه الجاسوس

السوفياتي كونون ملودي الذي أعتقل في كانون الأول ١٩٦١ ، ثم سجن لعلاقته بشبكة التجسس الشهيرة والمعروفة بإسم بورتسماوث . وزعمت مصادر أخرى بأن بير عمل مع هيغ هامبيلتون، رجل الإقتصاد الكندي الذي سجن في بريطانيا عام ١٩٨٢ بجريمة التجسس على حلف شمال الأطلسي لصالح السوفيات للفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦١ "(٧) .

وفي مجمل الحالات إن كشف إسرائيل بير ، عن طريق الموساد أو عن طريق أجهزة إستخبارية حليفة له ، لا يدل إلا على شيء واحد هو إهتزاز الثقة بالموساد ، وبالأجهزة الأمنية الإسرائيلية كلها، وبالتالي سقوط هيبتها ومعنوياتها ؛ كما يتوضح من خلال ذلك أن خرقها ليس مستحيلاً ، بل هو شأن طبيعي مهما أضفوا على هذا الجهاز طابع "العملقة" و" إستحالة الخردقة والإختراق ..." .

ثانياً : قضية أهارون كوهين :

مثّلت قضية تجسّس البروفسور أهارون كوهين لصالح الإتحاد السوفياتي أيضاً ، ضربة مؤلمة على دماغ المؤسسة العسكرية والتكنولوجية والسياسية الإسرائيلية ، فضلاً عن تأثيرها الهائل على المؤسسة الأمنية الصهيونية ذاتها، خاصة بعد أن اعترف رئيس الموساد وقتذاك ، إيسر هارئيل أن المعلومات التي حصل عليها جهاز الموساد

بشأن قضية أهارون كوهين ، والتي أدت الى إعتقاله ، "وصلت إليه صدفة "(٨) .

وبالنظر الى أهمية أهارون كوهين واعتباره من المستشرقين الكبار في دولة الإحتلال الصهيوني ، وبحجّة تأليف عدد من الكتب حول العرب في الشرق الأوسط ، ربط كوهين علاقته بالسوفيات ، واستعان بالكتب السوفياتية منهم لجمع معلوماته وتغذية معرفته وأبحاثه _ كما قال _ .

والجدير بالذكر ، أن أهارون كوهين كان من أنشط الحزبيّين في حركة "هشومير هتصعير" (الحارس الشاب) في الثلاثينات . كما كان نشيطاً في تأييده للعرب ، إضافة الى كونه فيما بعد رئيساً للشعبة العربية التابعة للكيبوتس القطري . وعندما ألقي القبض عليه كان قد وصل الى القمة الهرمية في "حزب مبام"، ومنافساً لزعيم الحزب مائير يعاري ونائبه يعقوب حزان .

كان البروفسور أهارون كوهين يسكن في كيبوتس "شاعر هعماكيم" (بوابة الأغوار)، وكان لقضيته التجسسية "نكهة" مميّزة في الأوساط الإسرائيلية . ويؤكد إيسر هارئيل نفسه ذلك بقوله :" كانت قضية أهارون كوهين ذات خصائص مميزة ؛ فكوهين كان عضواً في كيبوتس ، ووجهاً جماهيرياً معروفاً ، ونشيطاً حزبياً لامعاً . ولكل هذه الأسباب

مجتمعة ، فقد تحولت محاكمته الى محاكمة ذات صبغة سياسية ، وضعت جهاز الإستخبارات الإسرائيلي وأمانته على محك الإختبار " (٩) .

كان أهارون كوهين يلتقي بعدد من مسؤولي جهاز الإستخبارات السوفياتية العاملين في دولة الإحتلال الصهيوني ، والذين يتخذون من العمل الدبلوماسي في سفارة بلادهم هناك ، ساتراً وغطاءً لعملهم التجسسي . ونذكر من بينهم "فيسجونوف" و "سوكولوف" و " فيتالي بابلوفسكي" عضو البعثة العلمية السوفياتية الموجودة في القدس ، والذي كان يجتمع سراً مع كوهين في حقول الكيبوتس قبل إلقاء القبض على أهارون . وكانت الحقائق والمعطيات التي توفرت لدى أجهزة الأمن الإسرائيلية حتى ذلك اليوم-كما ذكر هارئيل - (١٠)هي على النحو التالي:

١ـ هناك لقاءات دورية تجري بين الدبلوماسي السوفياتي وبين أهارون كوهين .

٢ـ الدبلوماسي السوفياتي يوقف سيارته بجوار بوابة الكيبوتس الخلفية، حيث يجري اللقاء تحت غطاء (عطب في المحرك).

٣ـ أضواء السيارة تكون أثناء وقوفها مطفأة .

٤ـ تقوم السيارة بإنزال الدبلوماسي منها والإبتعاد عن مكان اللقاء .

٥ـ في أعقاب إنتهاء اللقاء المحدد سلفاً ، والذي يستغرق حوالي ساعة، تعود السيارة لالتقاط الدبلوماسي .

٦ـ يقوم أهارون كوهين بانتظار الدبلوماسي الروسي بجوار بوابة الكيبوتس ثم يصطحبه داخل الحقول حتى يحول دون توجّه أي عضو من الكيبوتس للدبلوماسي وسؤاله عما يفعله داخل الكيبوتس .

٧ـ جميع السيارات التي حملتِ الدبلوماسي الروسي كانت مسجّلة على أنها سيارات عملاء إستخبارات سوفيات .

وقد أشارت هذه المعطيات بوضوح ، الى الجهد الذي يبذله الطرفان لإخفاء أمر هذه الإتصالات والعلاقة عن الجميع .

إستخدم رئيس الموساد ، إيسر هارئيل ، الحيلة في إعتقال أهارون كوهين ، عندما إستدعاه لإجراء حوار هادئ معه ـ كما يقول ـ في مكتب الإتصال التابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية ؛ وكان ذلك في السابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩٥٨. وبعد تحقيق مطوّل من هارئيل مع كوهين ، بحضور شموئيل ديبون ، مدير شعبة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية ، تأكد هارئيل على أثره أن أهارون كوهين "يكذب"، فحوّله الى رئيس الشعبة الأمنية مباشرة علّه يتمكن من "إقناعه ببراءته"، لكنه لم يوفّق ـ على ما يبدو ـ بانتزاع الإعتراف بلقاءات كوهين السرّية مع العملاء السوفيات ، الأمر الذي أدى الى نقل القضية للشرطة ، حيث قام الرائد يركوني ، رئيس دائرة شعبة المهام الخاصة في الشرطة باعتقاله فعلاً ... ويؤكد إيسر هارئيل أنه في السادس والعشرين من تشرين الأول ١٩٥٨، طلبت السفارة السوفياتية من السلطات

الإسرائيلية منحها تأشيرة خروج وعودة للدبلوماسي السوفياتي فيتالي بابلوفسكي وزوجته . وفي الثلاثين من نفس الشهر غادرا "إسرائيل" ولم يعودا اليها أبداً (١١) .

وفي الوقت الذي تسرّب فيه خبر إعتقال أهارون كوهين الى الصحف ووسائل الأنباء ، إرتفعت صيحة "الفضيحة السياسية " في دولة الإحتلال الصهيوني ، فضلاً عن "الفضيحة الأمنية" . ونظراً لخطورتها الكبيرة ، فقد عرفت قضية محاكمته مدّاً وجزراً ، قلّما شهدتها السلطات الإسرائيلية على إختلافها من قبل ، حيث صدر الحكم بحقّه في التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٦٢، وذلك عن محكمة حيفا المركزية برئاسة شلوم كوسان ، وقضى بحبسه لمدة خمس سنوات فعلية ، ثم خفّف الحكم فيما بعد الى عامين ونصف ، قضى منها سبعة عشر شهراً في السجن قبل أن يطلق سراحه بعفو من "رئيس دولة الإحتلال الصهيوني" .

ثالثاً : قضية البروفسور كورت سيطة :

لم تكن قضية البروفسور كورت سيطة ، أقل أهمية وخطورة من قضيتي بير وكوهين. إذ كان سيطة عالماً تشيكوسلوفاكياً رفيعاً ، ومن ألمع العلماء وأشهرهم يومذاك في دولة الإحتلال ، كما يقول ميشال بار زوهار (١٢) . يكفي أن نلقي نظرة صغيرة على مكانته لندرك مدى

الضرر الذي نتج عن تعامله مع الإستخبارات التشيكية ، وبالتالي السوفياتية ، نظراً للترابط بين الجهازين والعلاقة المتينة بينهما .

فقد كان البروفسور سيطة رئيس شعبة الفيزياء في كلية الهندسة التطبيقية بحيفا(معهد التخنيون)،والخبير الكبير في أبحاث الفضاء ،وأحتلّ مكانة رفيعة في الأوساط العلمية الإسرائيلية ، وأصبح ذائع الصيت .

إستمرت الإتصالات بين البروفسور كورت سيطة وضباط إتصاله من العملاء التشيكيين ، طيلة خمس سنوات متواصلة ، كان خلالها يلتقي بهم مهما كانت الأوضاع ، أو الأحوال الجوية .

وقد إضطر البروفسور في العديد من المرات للإنتظار ساعات طويلة ، لقدوم العميل التشيكي ، وتحت الأمطار الغزيرة في إحدى الحدائق العامة. أضف الى ذلك دعواته الكثيرة الى الإجتماعات العلمية الأوروبية، وقيامه بزيارة وطنه تشيكوسلوفاكيا لأربع مرات ، حيث تمّ إستجوابه هناك بشكل مطوّل _ كما يقول هارئيل (١٣) _وأمر بأن يستغل زياراته الكثيرة الى الدول الأوروبية ، لجمع المعلومات ، عن الجديد في مجال تخصصه وخاصة في المانيا الغربية .

أما عن دولة الإحتلال الصهيوني ، فقد أعلم سيطة الإستخبارات التشيكية بكل ما بحوزته من مجال العلوم والأبحاث الإسرائيلية ، وعلى وجه الخصوص ، الأبحاث والعلوم العسكرية والنووية . كما طلبت منه أن يخبرها بجميع ما يعلمه عن طلبته اليهود ، ممن هاجروا من إحدى

الدول الشيوعية ، كي يمكن ممارسة الضغوط على أقربائهم الباقين ، لحثّهم عل إرغام أولئك الطلبة ، على التعاون معها .

ومهما حاول إيسر هارئيل أن يقزّم خطر سيطة ويفرغه من قيمته الحقة ، سرعان ما يبرز "صديق هارئيل" نفسه ، ريتشارد ديكون معترفاً بقوله :" إن إسرائيل تلقّت في أوائل الستّينات ، ضربتين كبيرتين في حرب المخابرات هذه ، وقد تكشفت الواحدة منهما عن نصر هام جداً للإتحاد السوفياتي . وكانت الأولى حالة البروفسور كورت سيطة الألماني السوديتي الكهل ، الذي شغل منصباً بحثياً هاماً ، بوصفه عالماً نووياً مختّصاً في الإشعاع الكوني لفترة طويلة في منشأة هامة جداً في إسرائيل ، وشكل تهديداً لا لإسرائيل فقط ، بل للولايات المتحدة الأميركية ولأوروبا الغربية كلها(١٤).

ويضيف ديكون قائلاً :"…. كان بعض العمل الذي قام به البروفسور كورت سيطة في معهد التخنيون بحيفا ، لصالح سلاح الجو الأميركي . فقد كان يُقَدّر تقديراً عالياً على كلا جانبي المحيط الأطلسي بوصفه عالماً كبيراً (١٥)" .

ألقي القبض على البروفسور سيطة في شهر نيسان ١٩٦٠ ؛ وبدأت محاكمته في الخامس من تشرين الثاني ١٩٦٠ أمام المحكمة المركزية في حيفا . ومثّله في الدفاع المحامي يعقوب سَولومون . ونطقت المحكمة

بقرار الحكم في التاسع من شباط ١٩٦١ حيث قضى بسجنه لمدة خمس سنوات (بينما يقول ريتشارد ديكون سبع سنوات) .

والجدير بالذكر ، أن محاكمة البروفسور كورت سيطة "جرت بشكل مغلق ، ولكن بحضور بعثات من الفيزيائيين من كلية الهندسة التطبيقية ، ومن الجامعة العبرية في القدس ، ومن معهد "وايزمان" للعلوم في "رحوبوت" بعد أن حصلوا على تصريح خاص حسب طلب إتحاد الفيزيائيين الإسرائيليين ، الأمر الذي كان بمثابة تعبير واضح، عن عدم ثقتهم بجهاز الأمن الإسرائيلي ، وبالمحاكمة الدائرة على حدّ قول إيسر هارئيل (١٦) .

والواقع أن إعتراف إيسر هارئيل "بعدم الثقة بجهاز الأمن الإسرائيلي" الى هذا الحد ، ليس أمراً بسيطاً أبداً ، بل يحمل في جوهره كثيراً من الأبعاد والأهمية ، باعتباره حالة من الخلل التي لا يخلو منها جهاز أو مؤسسة من الأجهزة الإسرائيلية ومؤسساتها ...

وإلا ما معنى أن يصدر رئيس دولة الإحتلال الصهيوني عفواً عن البروفسور كورت سيطة في ٢ نيسان ١٩٦٣ بعد خمسة عشر شهراً على سجنه ، فغادر دولة الإحتلال بلا عودة ؟.

رابعاً : قضية الأرمني هاغوب عنتريسيان :

يعتبر هاغوب عنتريسيان من أوائل الجواسيس السوفيات الذين ألقي عليهم القبض في دولة الإحتلال الصهيوني بعد سنوات قليلة من الإعلان عن قيام "الكيان" الغاصب على أرض فلسطين العربية. وهذا دليل ساطع على مدى الأهمية التي كان يوليها الإتحاد السوفياتي وجهاز مخابراته لمستقبل الكيان الصهيوني .

ففي تشرين الأول سنة ١٩٥٢، ألقي القبض على هاغوب عنتريسيان الأرمني ، البالغ من العمر ٢٨سنة ، والمقيم في القدس القديمة، ووجهت إليه تهمة التجسس للإتحاد السوفياتي ... وزيادة في إضفاء طابع الحيطة والحذر والمراقبة الدقيقة على جهاز الإستخبارات الإسرائيلية ، يشير ريتشارد ديكون (رجل المخابرات البريطانية والإسرائيلية معاً) الى " أن عنتريسيان كان تحت رقابة سلطات الأمن الإسرائيلية منذ عودته من أرمينيا السوفياتية قبل ثمانية عشر شهراً ، وفي مناسبة سابقة ألقي القبض عليه واحتجز فترة قصيرة في أريحا لمحاولته عبور جسر اللنبي الى الأردن . وكشفت التحقيقات التالية أنه كان يرسل معلومات سرّية عن "إسرائيل" الى عميل في السفارة السوفياتية في بيروت التي سافر اليها في عدد من المناسبات "(١٧).

رغم ذلك ، يبقى أن سنوات عديدة عاشها عنتريسيان ينقل فيها معلومات الى السوفيات ، لا يمكن إلا أن تكون إختراقاً للمجتمع وأجهزته التي تأخذ طابع الأسطورة والقداسة في بعض الأحيان (بالمنظار الصهيوني وحلفائه)، مهما حاول الصهاينة التقليل من خطورة وأهمية المعلومات المنقولة .

خامساً : قضية ماركوس كلينغبرغ :

تعتبر هذه القضية أيضاً من أخطر القضايا التجسسية التي هزّت الأجهزة الإستخبارية الإسرائيلية وزعزعت ثقة الكثيرين بها، نظراً للأهمية التي ترتديها مهمة هذا الجاسوس اليهودي لصالح الإتحاد السوفياتي السابق .

فبعد مضي أكثر من خمسة عشر عاماً على إعتقاله ، قررت سلطات الإحتلال الإسرائيلية إطلاق سراح الجاسوس اليهودي الذي عمل لمصلحة الإتحاد السوفياتي السابق ، ماركوس كلينغبرغ .

وقالت مصادر "قضائية" يهودية أن " محكمة الصلح " في مدينة بئر السبع في صحراء النقب قررت إطلاق سراح الجاسوس الذي أمضى ١٥سنة ونصف في السجن اليهودي ، وذلك في غضون خمسة عشر يوماً من تاريخ القرار .

ويعتبر كلينغبرغ (٧٩عاماً) المدير المساعد لمؤسسة "نيس زيونا " للأبحاث البيولوجية سابقاً ، والذي حكم عليه بالسجن ٢٠ سنة عام

١٩٨٣، من أخطر الجواسيس الذين إعتقلوا في الكيان . ويحتمل أن يكون في حوزته حالياً أسرار تعرض أمن الكيان للخطر ، حسب زعم سلطات الإحتلال .

وبرّرت السلطات الإسرائيلية إطلاق سراحه قبل إنتهاء فترة حكمه بتدهور حالته الصحية (١٨) .

(١) إيسر هارئيل " منجل في النجمة السداسيه ". ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل . الأردن . الطبعة الأولى . عمّان ١٩٨٩ ص. ١٨

(٢) المرجع نفسه . ص.١٩

(٣) المرجع نفسه . ص.١٧

(٤)ميشال بارزوهار . ص.١٩٥. Michel Bar Zohar,

J ai risqué ma vie . Paris , Fayard ١٩٧١, P.١٩٥

(٥)راجع في ذلك كتابنا :" أسرار من التاريخ :الدبلوماسية السوداء ". دار الكاتب . بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٥. ص٥٣ وما بعدها .

كذلك : _ إيسر هارئيل " منجل في النجمة السداسية " . ص٩٧_٢٠٤.

وريتشارد ديكون "المخابرات الإسرائيلية : تاريخها _ إداراتها _ أشخاصها _ أعمالها ..."ترجمة محمود فلاحة . دار طلاس . الطبعة الثانية . دمشق ١٩٨٨. ص٣٥٧_٣٧٤

وأيضاً : ميشال بارزوهار - Michel Bar Zohar , "J ai risqué Ma vie (Isser Harrel le No١ des services secrets israeliens) . Ed . Fayard .Paris ١٩٧١ . p.١٩٥-٢١٨

وأيضاً :كتاب " أمراء الموساد" لـــ "يوسي ميلمان ودان رافيف " . ترجمة محمود برهوم وحزامة حبايب . ص٧٩_ ٨٠.

(٦)ريتشارد ديكون " المخابرات الإسرائيلية " مرجع سبق ذكره. ص٣٧١.

(٧) إيان بلاك وبيني موريس "حروب إسرائيل السرّية / تاريخ الأجهزة الإستخبارية الإسرائيلية ". ترجمة عمّار جولاق وعبد الرحيم الفرا . الأهلية للنشر والتوزيع . عمان / الأردن . الطبعة الأولى ١٩٩٢. ص ١٦٥_ ١٧٢.

(٨) للتوسع في هذا الموضوع ، يستحسن العودة الى كتاب :

- Michel Bar Zohar , op. , p. ١٨٠- ١٩٠

وكذلك : إيسر هارئيل "منجل في النجمة السداسية " ص ٥٠

وريتشارد ديكون " المخابرات الإسرائيلية ... " ص ٣٦٣

ويوسي ميلمان ودان رافيف " أمراء الموساد " ترجمة محمود برهوم، حزامة حبايب . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩١ ص. ٧٨ _ ٧٩ .

(٩) إيسر هارئيل . مرجع سبق ذكره . ص ٣٠

(١٠) المرجع السابق نفسه . ص ٣٨

(١١) يسر هارئيل . المرجع نفسه . ص ٤٣-٤٤ وأيضاً : إيان بلاك وبيني موريس " حروب إسرائيل السرّية " . مرجع نفسه . ص ١٦٣-١٦.

(١٢) بار زوهار . ص ١٩٠ . - Michel Bar Zohar , op. p.١٩٠

(١٣) إيسر هارئيل . مرجع سبق ذكره . ص ٢٠٦.

(١٤)ريتشارد ديكون " المخابرات الإسرائيلية ..." ص ٣٦٥. وكذلك : د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد " . دار الجليل للنشر . عمان/ الأردن . الطبعة الأولى ١٩٨٧. ص ٢٢٩.

(١٥) ريتشارد ديكون . المرجع نفسه . ص ٣٦٦-٣٦٧.

(١٦) إيسر هارئيل . مرجع سبق ذكره . ص ٢١٠ . وللتفصيل في ذلك يستحسن مراجعة الصفحات من ٢٠٤ حتى ٢٢١ من كتاب هارئيل هذا .

كذلك : بار زوهار ص. ١٩٠-١٩٤. **Michel Bar Zohar, j ai risqué ma vie . op. , p. ١٩٠-١٩٤.**

(١٧) ريتشارد ديكون . مرجع سبق ذكره . ص ١٣٨ نقلاً عن صحيفة " الديلي تلغراف " بتاريخ ٢٨ تشرين الأول ١٩٥٢.

(١٨) مجلة " فلسطين الثورة " . العدد ٧٦٩. الموافق في ١٠ أيلول ١٩٩٨ . ص ٩.

الفصل السادس عشر

خلاصة البحث

بعد هذا البحث التفصيلي حول واقع جهاز الإستخبارات الإسرائيلية (الموساد)، نستطيع القول أن من يمتلك " فنّ القدرة " على تحويل الهزيمة الى إنتصار ، هو الذي يكفل النجاح في أحيان كثيرة (ولكن ليس بشكل نهائي ومؤبّد). وطبيعي أن يرتكز " فنّ القدرة " على أسس مهمة جداً ومتميّزة ، منها مثلاً :

ـ الحرب النفسية.

ـ التقليل من أهمية إنتصار الخصم.

ـ الضربات الخاطفة ولو لأهداف صغيرة وإستغلالها إعلامياً إلخ ....

لكن هذا الجهاز رسب أحياناً في إمتحان " عدم القدرة على الإنكار" بعد أن ضبط بالجرم المشهود، كما حصل في عملية " ليلهامر" في النروج مثلاً .

في هذا الصدد ، يقول يهو شفاط هراكابي : " لا يمكن أن توجد إستخبارات جيدة في مجتمع من الحمقى ... إن إسرائيل مجتمع يميل للهستيريا ... فإنتصاراتها تستقبل بابتهاج إستثنائي ، وهزائمها باكتئاب (قومي) شديد ... إن الإسرائيليين (شعب) عملته المتداولة

المبالغة ، فهم إما يقومون بتقدير قدرات أعدائهم بشكل مفرط ، وإما يستخفّون بشكل مفرط أيضاً ، ويعاملون (أبطالهم) بعبادة غير خجولة ، ويعاملون الذين يفشلون بوحشية وقسوة متناهية " (١) .

هذا ، وإن الموساد تأثرت الى حدّ كبير بهذا الجو الهستيري واليائس. ومع ذلك يبقى الجاسوس البشري " بنداً مركزياً " في كل جداول هذا الجهاز وخططه الإرهابية ، رغم الإدعاءات " السوبر مانية " والتكنولوجية ، لأن مهمته تعدّت نطاق إستقصاء المعلومات، وتجاوزها الى بثّ الفوضى وإثارة القلق والإرباك والتدمير ، وبثّ الإشاعات المخربة ، وارتكاب أية جريمة أو قذارة مهما كان نوعها .

من ناحية أخرى ، شكل غياب " الخطّة الإستخبارية العربية الموحّدة " لمواجهة الموساد ، خللاً فاضحاً في عملية الصراع العربي ـ الصهيوني على صعيد الإستخبارات . وفي الوقت نفسه ساهم في إضفاء الطابع " الأسطوري " وترويجها حول " سوبرمانية " الموساد و " معجزاته " . هذا فضلاً عن غياب فعالية وتأثير " قسم الحرب النفسية " العربي إزاء مثيله في جهاز الموساد ، أعطى زخماً وإندفاعاً لترويج الدعاوى " الموسادية " ومزاعمها .

وما يجدر تسجيله أيضاً هو أن جهاز الموساد ، بقدر ما يجيد " فنّ الدعاية والإعلام " في نجاحاته وانتصاراته ، فإنه يجيد أيضاً وبالقدر نفسه فنّ التضليل والتمويه للتغطية على فشله . كما يبذل قصارى

جهوده للتقليل من انتصارات أعدائه ، وتحويلها الى هزائم وإخفاقات إذا إستطاع ذلك .

في هذا الإطار ، يجب العمل بكل إمكانياتنا وجهودنا على تكوين "وعي مخابراتي عربي " لدى الناس ، يشكل لهم نواة أساسية وخميرة معرفية ، في تفنيد مزاعم العدو وأباطيله الدعاوية ومواجهتها بعمل جدّي وفعّال ، مضاد وهادف ، يساهم في إبقاء " جهاز الحذر العربي" مستنفراً باستمرار ، لأن السيطرة على العقول أهم بكثير من السيطرة على الأرض واحتلالها .

من هنا ، يتوجب علينا مخاطبة ضعاف النفوس ، والعملاء الذين فضلوا الخيانة على خدمة الوطن ، وباعوا أنفسهم لأعداء الله والوطن والإنسان . وليعلموا أن كل أموال الأرض وكنوزها ، وكل السلاسل الذهبية والقلادت ، وكل الأوسمة التي منحت لهم _ إذا كانت قد منحت _ كمكافآت على خيانتهم ... كلها ، لا تساوي دمعة واحدة من عيني طفل تيتّم بسبب عمالتهم ، ولا تساوي صرخة واحدة من قلب أم كوته نار حارقة على ولد أو وزج ، لهذا السبب ...

ذلك لأن : الأوطان لم تكن في يوم من الأيام سلعة تباع وتشترى ... ولن تكون...

ومن يتنازل عن حبّة تراب من أرضه ووطنه ، لا يستحق أن يدفن فيه، حتى لا يفسد وينجّس ... ومن لا تحميه مبادئه ، لا يمكن لكل جحافل الأرض أن تحميه ... وإذا نام الناس ، فعين الحق لا تنام، ولا تعرف النوم بتاتاً ... والضمير الذي يباع ، لا يُرد ولا يبدل (جرياً على عادة السلع التجارية) ...

إضافة لذلك ، نودّ الإشارة الى مسألة هامة ، وعلى غاية كبيرة من الأهمية ، وهي أنه منذ البدء ، زرعت الموساد في نفوس المستوطنين الصهاينة في فلسطين وخارجها ، فكرة تعتمد على أنها تتمتع بـــ "ثقة بالنفس " قلّ نظيرها ، وبأن الإستخبارات الإسرائيلية " لا تخطئ ولا تقهر ولا تخترق "... ومع الأيام ، تأكد اليهود والصهاينة قبل غيرهم ، أن الموساد بالغت كثيراً في " ثقتها بنفسها " ، فتعرّضت للقهر والقهقرى والخطأ أكثر من أي جهاز إستخباري آخر ، وأصيب بـــ " الإيدز الأمني " قبل إنتشار ظاهرة الإيدز في الغرب .

والجدير بالذكر أيضاً ، أن الإستخبارات الإسرائيلية بدأت حياتها _ كما رأينا_بالفضيحة والخطأ ... لأن قطّاع الطرق والقراصنة الذين تولّوا المسؤولية الرسمية للموساد ، كان من الصعب عليهم تقبّل القيود المفروضة عليهم من قبل البيئة البيروقراطية . لقد عمل عملاء الموساد _ والإستخبارات العسكرية _ لصالح الوكالتين في نفس الوقت مما سبّب في إرباك الطرفين وجرّهما الى الخطأ ... ولقد

حاول قادة الموساد حسم هذا الموضوع ، فوجد كل منهم نفسه في محيط من الأخطاء والفشل والفضائح ... (٢)

هذا ، ولأن " صاحب البيت أدرى بالذي فيه " ، تبدو شهادة أحد مسؤولي الموساد السابقين ، فيكتور أوستروفسكي ، خير دليل على حقيقة هذا الموساد ، حيث يقول: " عندما وقع عليّ الإختيار للعمل في الموساد ، شعرت بالفخر وبأنني منحت إمتيازاً بإنضمامي الى ما اعتبرته النخبة في هذا الجهاز . لكن ما دفعني الى نشر الحوادث المذكورة في هذا الكتاب (عن طريق الخداع) هو ما رأيته هناك من مُثل منحرفة ، وبراغماتية ذاتية مقرونة بالجشع والشهوة والإحتقار الشامل للحياة البشرية " .
ويضيف أوستروفسكي قائلاً : " والموساد بصفته الهيئة الإستخبارية التي عهد اليها مسؤولية تمهيد الطريق للقادة كي تأخذ إسرائيل مكانها بين الأمم ، قد خان الأمانة ، وأصبح يعمل لمصلحته الشخصية ، وبدافع من هذه المصلحة جرّت الأمّة الى طريق الإنهيار. وهو أمر لم أستطع السكوت عليه ، كما لا أستطيع أن أغامر بمصداقية هذا الكتاب بإخفاء الحقائق خلف أسماء مزيّفة وشخصيات غامضة (رغم أنني إستعملت الأسماء الأولى فقط لبعض العاملين في هذا الحقل،حفاظاً على حياتهم)(٣)

من ناحية أخرى تؤكد شهادة رئيس الموساد نفسه ، مئير عميت ، الذي ردّ على نقد رئيس الموساد السابق إيسر هارئيل ، مصداقية كلام فيكتور أوستروفسكي من ناحية ، والصراع على النفوذ والمصلحة الشخصية من ناحية ثانية قائلاً : " لم أواجه طوال حياتي مثل هذا التجميع لأنصاف الحقائق ، حقائق تؤخذ من السياق وتطلى بالكذب . تفسيري الوحيد لهذه الظاهرة المحزنة هو أن إيسر هارئيل ، الذي صفق الباب خلفه عندما ترك الموساد ، ظنّ أن من المستحيل أن يسير العمل بدونه . والحقيقة المدهشة أنه بعدما ترك ، تحسّن عمل الموساد بصورة كبيرة جداً " (٤) . وهذا ما يدل على مدى الأهمية المعطاة لـ :"فنّ فعالية الكذب والكذب المضاد " من قبل الموساد ورؤسائها.

بينما يقول ريتشارد ديكون عن إيسر هارئيل وكأنه يدافع عنه ضد خصومه: "إن لهارئيل في عنق إسرائيل دَيْناً كبيراً ، إذ أنه منذ البداية رأى أن مشكلات إسرائيل هي مشكلات عالمية ، وجعل المخابرات الإسرائيلية مؤسسة كبرى" (٥) .

وباختصار نقول أن المعرفة قوة ، والمعرفة شرف ... حتى ولو لم يكن كل ما يُعرف يُقال . والمعرفة هي من أقوى أسلحة العصر ، وكل عصر . يجب علينا معرفة عدونا ومعرفة صديقنا بالضبط ...

يجب معرفة نقاط الضعف ونقاط القوة لدى العدو لنتمكن من المواجهة والإنتصار .

وبدون هذه المعرفة ، تكون المعركة في وضع غير متكافئ ، وستكون الهزيمة هي الدرس الأول الذي يتصدر كتاب " مستقبلنا ".

وإذا لم نتعلم من هذا الدرس ، وإذا لم نستخلص منه العبرة ، لنستفيد منها ، فإنه سيكون ، ولا شك ، بمثابة الدرس الأول والوحيد الذي يضمّه كتاب "مستقبلنا" هذا ... لأننا سنصبح بعدها ... بلا مستقبل .

(١) ستيوارت ستيفن"أسياد الجاسوسية الإسرائيلية ". ص ٣٢٥. وأيضاً " د.وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد " .ص ٤٦٢.

(٢) أنظر التفاصيل في كتاب د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف "الوجه الحقيقي للموساد " مرجع سبق ذكره . ص ٢٦٣-٢٧١.

(٣) فيكتور أوستروفسكي وكلير هوي " عن طريق الخداع ، صورة مروّعة للموساد من الداخل " . ترجمة هشام عبد الله ، ماهر كيالي ، جورج خوري . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩٠ . كلمة الغلاف الأخير .

(٤) راجع كتاب : إيلان بلاك وبيتي موريس "حروب إسرائيل السرّية " ترجمة عمار جولاق وعبد الرحيم الفرّا . الأهلية للنشر والتوزيع . عمّان ١٩٩٢. ص ٢٠٥.

(٥) ريتشارد ديكون " المخابرات الإسرائيلية ". ص ١٥٠.

الملاحق والجداول

ملحق

رؤساء دولة الإحتلال الصهيوني
منذ قيامها حتى اليوم

	الإسم	من سنة	الى سنة	ملاحظات
١	حاييم وايزمان	١٩٤٩	١٩٥٢	
٢	إسحق بن تسفي	١٩٥٢	١٩٦٣	
٣	زالمان شازار	١٩٦٣	١٩٧٣	
٤	افرايم كاتسير	١٩٧٣	١٩٧٨	
٥	إسحق نافون	١٩٧٨	١٩٨٣	
٦	حاييم هرتزوغ	١٩٨٣	١٩٩٣	
٧	عازار وايزمان	١٩٩٣	٢٠٠٠	
٨	موشيه كاتساف	٢٠٠٠	_	

المراجع : محمد شريدة " شخصيات إسرائيلية ". مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق . بيروت . طبعة أولى ١٩٩٥. ص ٣٥ _ ٣٦.

وأيضاً : مجلة " الحرية " . العدد ٧١٧ (١٧٩١) . من ١٥ _ ٢١/٣/ ١٩٩٨.

١ _ حاييم فايتسمان (١٩٤٩ _ ١٩٥٢)

هو عالم في الكيمياء . يعتبره الإسرائيليون " صاحب إنجازات كبيرة وعظيمة " ولعب " دوراً هاماً من أجل ولادة دولة إسرائيل " . وينقلون عن تشرشل قوله في مديح فايتسمان ، " إذا طلب فايتسمان شيئاً يصعب عدم الإستجابة له ".

إنتخب فايتسمان أول رئيس لدولة إسرائيل بناءً لإقتراح قدمه بنحاس سافير الذي كان حينذاك وزيراً "للعدل" في الحكومة الإسرائيلية المؤقتة. وقد أيد رئيس الحكومة ووزير "دفاعها" دافيد بن غوريون هذا الإقتراح رغم ما كان بينه وبين فايتسمان من تباين في وجهات النظر . وكان فايتسمان آنذلك في بعثة رسمية في الولايات المتحدة حين سمع من المذياع نبأ إنتخابه رئيساً لدولة إسرائيل .

يصف الإسرائيليون زوجة فايتسمان ، فيرا ، بأنها كانت أرستقراطية ويؤكدون أنها لم تتعلم العبرية أبداً ، وأن اللغة المستعملة في بيت الرئيس كانت الإنكليزية والروسية. كما يؤكد الإسرائيليون أن فيرا ، كانت تسيطر على زوجها.

ويصف البروفسور يوسف غورني _ الذي ألفّ كتاباً عن فايتسمان _ واقعة يقول فيها أن وفد حزب مبام لم يتمكن مَن زيارة الرئيس في منزله إلا بعد موافقة الزوجة ، نظراً لأن موشي سنيه كان في عداد الوفد .

وخطيئة سنيه أنه دعم بن غوريون في مواجهة فايتسمان في الصراع على زعامة الحركة الصهيونية .

ويوصف فايتسمان بأنه كان يحب البذخ . وقد شيد لنفسه منزلاً فخماً في رحوبوت وصف فيما بعد بـ"القصر" . كانت تقف عند بابه سيارة لنكولن ، هي واحدة من إثنتين وحيدتين في العالم ، قدمها له هدية منتج هذا النوع من السيارات .

٢ـ إسحق بن تسابي (١٩٥٢ ـ١٩٦٣)

بعد وفاة فايتسمان بدأ البحث عن خلف له . فاقترح بن غوريون لهذا المنصب ألبرت أينشتاين الذي رد على الإقتراح ، كما يؤرخ الإسرائيليون ، بقوله " لا تجربة لي في هذه الأمور ، وأنا على استعداد لاستلام ما يناسبني من الوظائف ". فكان الخيار لصالح إسحق بن تسابي.

بعد إنتخابه طلبت زوجته راحيل أن تسمى "رئيسة" على غرار زوجة الحاخام التي تسمى " حاخامة". ورفضت أن تكون مجرد إمرأة تقف الى جانب زوجها ـ هكذا يصفها المؤرخون الإسرائيليون ـ.

وقرر الزوجان بن تسابي مغادرة البيت الخشبي ـ المسمى بالكوخ ـ الذي كانا يسكنانه في القدس ، وانتقلا الى مسكن خشبي أكبر ، شكت وزارة المالية من كلفة صيانته ، واقترحت على الرئيس وزوجته الإنتقال الى إحدى الفيلات فرفضا . وكان الرئيس ، كما يصفونه ، يتمسك بـ"الكوخ" كرمز "للتواضع" رغم فداحة كلفته المالية .

حين أنهى بن تسابي ولايتيه الأولى والثانية قرر ترشيح نفسه لولاية ثالثة ، لكن نظراً لتدهور صحته ، أقنعه المقربون منه بالتخلي عن الفكرة. ولم تَمْضِ عدة أشهر حتى توفي .

٣_ زلمان شازار (١٩٦٣ _ ١٩٧٣)

بعد وفاة بن تسابي طرح بن غوريون إسم شازار رئيساً للدولة . وقد أقرّ هذا الإقتراح بعد مشاورات أجراها شازار مع المقربين منه ، وأبرزهم مارتين بوبر وغرشوم شالوم . وكان شالوم المساعد الأبرز لشازار في إدارة شؤونه .

وحين إقترح شازار ترشيح نفسه لولاية ثانية نشب جدال عميق داخل حزبه ، إذ اعترض لوبيه الياف مبرراً موقفه بتقدم شازار في السن. وعندما إقترحت غولدا مائير لهذا المنصب ردت على هذا الإقتراح بغضب شديد ووصفته بأنه " إقتراح وقح ".

عرف شازار بعلاقاته النسائية . وتوفي بعد أن غادر مقر الرئاسة لكنه شيع وفق المراسم الرسمية لتشييع الرؤساء .

٤_ افرايم كتسير (١٩٧٣ _ ١٩٧٨)

الإقتراح بترشيح البروفسور افرايم كتسير رئيساً للبلاد وصله حين كان يشارك في مؤتمر علمي في بوسطن . إذ هاتفته غولدا مائير رئيسة الحكومة في منتصف الليل واقترحت عليه هذا المنصب . وكان على

مدار أربع ليالي يجيبها قائلاً أنها أخطأت العنوان وأن الرقم التلفوني خاطئ .

غولدا مائير أوضحت له حسب الروايات الإسرائيلية، إن رئيس البلاد يجب أن يكون عالماً معروفاً وشخصية عالمية مرموقة ، وقد رضخ كتسير لهذا الطلب بعد أن تأكد أن لقب الرئيس لن يعيق فرصة حصوله على جائزة نوبل .

الإجراء الأول الذي اتخذه الرئيس الجديد تغيير إسمه لانتقادات حادة بسبب نفقاته العالية والتي كانت زوجته واحدة من أسبابها . وقد وصف الإسرائيليون هذه الزوجة بأنها " غريبة الطباع ". وكانت تهوى النوم في فندق هيلتون كثيراً ، بعد إنتهاء ولايته ومدتها خمس سنوات رفض كتسير ترشيح نفسه لولاية ثانية .

٥_ إسحق نافون (١٩٧٨ _ ١٩٨٣)

دخل نافون معركة الرئاسة ضد منافسه المدعوم من رئيس الحكومة مناحيم بيغن إسحق شافيه وهو "عالم متدين وغير معروف بالشارع الإسرائيلي"،كما وصفته الصحافة الإسرائيلية آنذاك.فاستعيض عن شافيه بمرشح آخر هو أليميلخ رعليث.ومع ذلك كان الفوز من نصيب نافون .

شهدت علاقات نافون وبيغن توترات ظاهرة ، فأثناء زيارة الرئيس الأميركي جيمي كارتر الى البلاد، أقام له المأدبة الرسمية رئيس الحكومة

بيغن فاحتج نافون للخرق الدبلوماسي مؤكداً أنه هو المضيف كما تقتضي الأصول .

نافون من مواليد فلسطين وكان يجيد العربية جيداً .

٦_ حاييم هرتسوغ (١٩٨٣ _ ١٩٩٣)

يصفه الإسرائيليون بأنه "ولد ليكون رئيس دولة ". ويقولون أن "تاريخه حافل بالإنجازات وإنه مثقف وله علاقات واسعة ". لكنه تعرض لانتقادات من بعض الأوساط الإسرائيلية لأنه مارس صلاحياته وأصدر عفواً عاماً شمل رجال الأمن الذين تسببوا بوفاة معتقلين فلسطينيين تحت التعذيب في القضية المعروفة بـــ" قضية خط ٣٠٠". كما أصدر عفواً عن رجال التنظيم السرّي اليهودي ، ولزيارته سجن الرملة ومصافحته تسابي غور قاتل الطفل أورون يردن والسماح للصحافة بتصويرهما معاً . بعدها أضطر هرتسوغ لتقديم إعتذار لعائلة الطفل ، ولم يقدم إعتذاراً لعائلات الفلسطينيين ضحايا "قضية خط ٣٠٠" وضحايا "رجال التنظيم السرّي اليهودي ".

٧_ عيزرا فايتسمان (١٩٩٣_ ٢٠٠٠)

تنافس عيزرا فايتسمان على رئاسة الدولة في حزب العمل مقابل لوبيه ألياف وشلومو هيليل ، وفاز بأغلبية ٥٢ بالمئة من الأصوات . وحين

علم بالنتائج علق قائلاً "بودي أن أعرف ما كان سيقوله عمي حاييم لو كان حياً ".

يصفه الإسرائيليون بـــ" الرئيس المحبوب ". يكثر من زيارته لعائلات الجنود الإسرائيليين القتلى . لكن تصريحاته "ليست دائماً في صالحه وكثيراً ما تدخلت زوجته لمعالجة آثار تلك التصريحات ".

وعندما أعيد إنتخابه يوم ١٩٩٨/٣/٥ لولاية ثانية قال أنه يعتزم تأدية مهامه بالصورة التي قام بها في الولاية السابقة أي أنه لن يتردد في مواصلة التعبير عن رأيه في القضايا السياسية والإجتماعية وقال "سأتصرف بالشكل الذي أراه مناسباً . أستطيع أن أفعل أي شيء يعتقدون أنه لا يجب أن أفعله" .

٨ ــ موشيه كاتساف : (٢٠٠٠ ــ ٠٠٠).

هو الرئيس الحالي لدولة العدو الصهيوني خلفاً لـــ عيزرا فايتسمان.

رؤساء " الموساد " منذ تأسيسها حتى اليوم

	الإسم	من سنة	الى سنة	ملاحظات
١	أيسر بنيري	١٩٤٨/٦/١	/١٢ ١٩٤٨	(أيسر الكبير)طرد من الجيش عام ١٩٤٩ وسحبت منه رتبته العسكرية _ مقدم_ وتوفي عام ١٩٥٨ بنوبات قلبية.
٢	روبين شيلوح	١٩٥١	١٩٥٢	توفي عام ١٩٥٩ بحادث سيارة.
٣	أيسر هارئيل	١٩٥٢	١٩٦٣	داهية المخابرات بلا منازع.
٤	مئير أميت	١٩٦٣	١٩٦٨	حدثت في عهده عملية إعدام ايلي كوهين في دمشق
٥	تسفي زامير	١٩٦٨ /١١	١٩٧٤/٩	حدثت في عهده عملية ليلهامر في النروج واغتيال المغربي أحمد بوشيكي بدلاً من " أبو حسن سلامة "
٦	إسحق حوفي	١٩٧٤/٩	/٦/١ ١٩٨٢	
٧	يكوتيل آدم			كان من المقرر أن يتسلم رئاسة الموساد في حزيران ١٩٨٢ لكنه قتل بالقرب من الدامور في لبنان بتاريخ ٨٢/٦/٨ مع العقيد حاييم سيلع من قبل شبل فلسطيني على سطح مبنى الأنترناشيونال كوليج في المشرف.
٨	ناحوم أدموني	٩/ ١٩٨٢	١٩٨٩	أول رئيس للموساد من خارج صفوف العسكريين١٩٨٩.
٩	شبطاي شافيت	١٩٨٩	١٩٩٦	كان على خلاف دائم مع رئيس جهاز(أمان) يوري ساغي.
١٠	داني ياتوم	١٩٩٦	١٩٩٨	قائد الفشل والفضائح في تاريخ الجهاز.
١١	افرايم هاليفي	١٩٩٨	٢٠٠٢	أنهى خدمته في آب ٢٠٠٢ ممنوع من دخول أميركا لتجنيده بولارد . وعيّن رئيساً للأمن القومي في مجلس الوزراء خلفاً لعوزي دايان الذي تفاعد في أيلول ٢٠٠٢ وخلفه مائير داغان .
١٢	مائير داغان	٢٠٠٢	_	_

رؤساء الإستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان)

	الإسم	من سنة	الى سنة	ملاحظات
١	حاييم هرتزوغ	١٩٤٨	١٩٥٠	أصبح رئيس إسرائيل بعد إسحق نافون سنة ١٩٨٢.
٢	بنيامين غيبلي	١٩٥٠	١٩٥٥	حصلت في عهده " فضيحة لافون " وأقصي من منصبه.
٣	يهوشفاط هراكابي	١٩٥٥	١٩٥٩	كانت عقيدته "التغلغل في العقول" وأمر بالإغتيالات الأولى.
٤	حاييم هرتزوغ	١٩٥٩	١٩٦١	
٥	مئير أميت	١٩٦١	١٩٦٣	تعرض الموساد في عهده الى إخفاقات كثيرة.
٦	أهارون ياريف	١٩٦٣	١٩٧٢	كان مسؤولاً عن أداء إسرائيل في عدوان ١٩٦٧
٧	الياهو زعيرا	١٩٧٢	١٩٧٤	أقصي من منصبه بسبب فشله في حرب تشرين ١٩٧٣.
٨	شلومو غازيت	١٩٧٤	١٩٧٦	فوجئ بزيارة السادات الى القدس
٩	دوف تماري	١٩٧٦	١٩٧٧	
١٠	حاييم بنياميني	١٩٧٧	١٩٧٩	
١١	تسفي شيلر	١٩٧٩	١٩٧٩	
١٢	يهوشع ساغي	١٩٧٩	١٩٨٣	أقصي من منصبه بسبب إجتياح لبنان ومجزرتي

				صبرا وشاتيلا .
١٣	ايهود باراك	١٩٨٣	١٩٨٦	كان يلقب بـــ "نابليون إسرائيل "
١٤	أمنون شاحاك	١٩٨٦	١٩٨٩	كان مسؤولاً عن قمع الإنتفاضة الشعبية في فلسطين عام ١٩٨٧.
١٥	يوري ساغي	١٩٩٠	١٩٩٤	كان على خلاف شديد مع رئيس الموساد شبطاي شافيط حول توحيد النشاطات الأمنية في الخارج.
١٦	موشيه يعلون	١٩٩٤	١٩٩٨	تمّ في عهده تحطيم الطوافتين العسكريتين لنخبة النخبة ، والإنزال الفاشل في أنصارية.
١٧	عاموس ملكا	١٩٩٨	حتى اليوم	يجهد لرفع كفاءة الجهاز بعد الإخفاقات الكبيرة .

نبذة مختصرة عن قادة الإستخبارات العسكرية

١ـ حاييم هرتزوغ:

عميد إحتياط ،رئيس شعبة المخابرات العسكرية لمرتين ، ومعلق عسكري في الإذاعة ، مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة ،اعتلى منصب رئاسة الدولة من سنة١٩٨٣ الى سنة١٩٩٣.

وُلد في مدينة بلفاست عام ١٩١٨ ، والده حاخام في السوربون وكمبردج وجامعة لندن . إلتحق بالهاغانا ، عام ١٩٣٥ ، وترأس إتحاد الطلاب اليهود في بريطانيا وأيرلندا في ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ . شارك في عدة حركات صهيونية (بيرى يهودا هايو عليم مكابي) . خلال الحرب

العالمية الثانية التحق بكلية الضباط البريطانية ومر بعدة دورات في كلية الأركان ، وشغل عدة مناصب في الإستخبارات العسكرية البريطانية. وصل الى رتبة رائد في المخابرات العسكرية البريطانية واشترك في الإنزال في النورماندي . سرح من المخابرات البريطانية بعد إنتهاء الحرب برتبة مقدم .

تسلم فرع الأمن في الوكالة اليهودية عام ١٩٤٧ _ ١٩٤٩ .

عُين رئيساً للمخابرات العسكرية الإسرائيلية ١٩٤٨ _ ١٩٥٠.

تسلم قيادة منطقة القدس عام ١٩٥٧.

أصبح رئيس أركان المنطقة الجنوبية عام ١٩٥٩.

أصبح رئيس المخابرات العسكرية للمرة الثانية عام ١٩٥٩ _ ١٩٦١.

٢_ بنيامين جبلى : ١٩٥٠_ ١٩٥٣

٣_ يهوشفاط هركابي :

عميد إحتياط ، رئيس المخابرات العسكرية ١٩٥٥ _ ١٩٥٩ ، مستشار لشؤون المخابرات لرئيس الحكومة إسحاق رابين ، باحث في معهد الدراسات الإستراتيجية في جامعة تل أبيب . خبير في شؤون الشرق الأوسط . يحمل شهادة الدكتوراه من الجامعة العبرية في الإقتصاد السياسي .

وُلد في حيفا ١٩٢١.

١٩٥٠ _ ١٩٥٤ نائب رئيس المخابرات العسكرية.

١٩٥٣ _١٩٥٩ رئيس المخابرات العسكرية ورئيساً بالوكالة .

١٩٦٢ عُين مدير مكتب رئيس الوزراء بالوكالة .

١٩٦٨ _ ١٩٧٣ مسؤول البحث الإستراتيجي في وزارة الدفاع .

عمل في الجامعة العبرية كأستاذ في الشؤون الدولية وتاريخ العالم الإسلامي .١٩٧٤ عُين رئيس وحدة التخطيط الإستراتيجي بعيد المدى.

٤ _ مئير عميت :

لواء إحتياط ، رئيس الموساد ١٩٦٣ _ ١٩٦٧ ، رئيس شعبة المخابرات العسكرية ١٩٦١ _ ١٩٦٣ .

٥-أهارون ياريف :

وُلد في موسكو ١٩٢٠ .

١٩٤١ إلتحق بسرايا فلسطين في الجيش البريطاني ثم بالفيلق اليهودي . وتدرج من رتبة رقيب في شمال أفريقيا الى رتبة ملازم ثان . ثم نقل الى الصرفند بفلسطين والتحق بدورة ضباط .

٥ أيار ١٩٤٥ إلتحق بالكلية العسكرية الأولى في إيطاليا .

١٩٤٦ سرّح من الجيش البريطاني وعاد الى فلسطين وعمل مدرباً لدورة قادة ميدان،١٩٤٨ عُين مساعداً لرئيس أركان الهاجانا .

شارك في تنظيم سلاح الطيران ، ثم التحقَ بلواء الكسندروني بقيادة دان ايذن ، وعين نائب قائد كتيبة ثم ضابط ركن في كتيبة الكرمل في

اللواء السابع ، وبعد ذلك رفع الى رتبة رائد وأصبح قائد كتيبة ، ثم أرسل الى دورة قائد كتائب وعاد لتسليم الكتيبة في لواء الكرمل .

١٩٥٠ رقّي الى رتبة مقدم ثم أرسل الى كلية الأركان الفرنسية .

١٩٥١ عاد ليعمل في شعبة العمليات .

١٩٥٢ عين رئيساً للجنة تأسيس كلية القيادة والأركان .

١٩٥٦ عين رئيساً لأركان المنطقة الوسطى .

١٩٥٧ عمل في السلك الدبلوماسي في الولايات المتحدة وكندا.

آذار ١٩٦٠ عين قائد للواء غولاني .

تموز ١٩٦٠ معاون رئيس شعبة الإستخبارات العسكرية .

١٩٦٣ _ ١٩٧٢ عين رئيساً لشعبة المخابرات الإسرائيلية .

١٩٧٢ عمل منسقاً لهيئة مكافحة الإرهاب .

١٩٧٣ ترأس الجانب الإسرائيلي في مفاوضات الكيلومتر ١٠١ .

١٩٧٤ عين وزير إعلام في حكومة أسحاق رابين .

يجيد عدة لغات العبرية ، الإنكليزية ، الألمانية ، الفرنسية وله عدة مؤلفات منها : (أيام كبيرة) عن حرب ١٩٦٧ .

عمل رئيساً لمركز الدراسات الإستراتيجية بجامعة تل أبيب .

٦ _ الياهوزعيرا :

عميد رئيس الإستخبارات العسكرية أثناء حرب ١٩٧٢ _ ١٩٧٤.

١٩٦١ وُلد في حيفا .١٩٤٦ إنضم الى البلماخ .

١٩٤٨ إشترك في لواء (يفتاح) كقائد كتيبة .
١٩٥٠ أرسل الى الولايات المتحدة في دورة قائد كتيبة .
١٩٥١تخرج من الجامعة العبرية بدرجة بكالوريوس علوم إقتصادية وإحصاء .
١٩٥٣ عين عضواً في الهيئة التأسيسة في مدرسة سلاح المشاة .
١٩٥٤ _ ١٩٥٥ عين مديراً لمكتب رئيس الأركان .
١٩٥٦ شارك في عدوان ١٩٥٦ من خلال سلاح المشاة .
١٩٥٧ إلتحق بكلية الأركان في الولايات المتحدة .
١٩٥٨ عين رئيساً لفرع العمليات في قيادة الأركان العامة .
١٩٦٠ قائد لواء مظلّي .
١٩٦٣ رفع الى رتبة عقيد والتحق بجهاز الإستخبارات .
١٩٦٧ أرسل لاتباع دورة إستخبارات في الولايات المتحدة .
١٩٧٠ عين ملحقاً عسكرياً في الولايات المتحدة وكندا .
١٩٧٢ عين رئيساً للمخابرات العسكرية بعد أهارون ياريف .
١٩٧٤ أقيل من منصبه بعد تقرير لجنة إغرانات .

٧ _ شلومو غازيت :

عميد إحتياط رئيس الاستخبارات العسكرية ١٩٧٤_١٩٧٦، وُلد في تركيا ١٩٢٦، ،إنضم الى البلماخ عام ١٩٤٤،عمل محرراً في صحيفة الجيش بعد حرب ١٩٤٨،درس في كلية الأركان الفرنسية

عام ١٩٧٤،إنضم للمخابرات وأصبح رئيساً للمخابرات ، عمل منسقاً لأعمال الجيش الإسرائيلي في المناطق المحتلة ،مدير جامعة بئر السبع.

٨ _ اللواء يهوشع ساغي :

رئيس الإستخبارات العسكرية ١٩٧٩ _ ١٩٨٣ .

١٩٣٣ وُلد في القدس ،١٩٥١ إلتحق بالجيش في سلاح المخابرات ، وفي نهاية خدمته الإلزامية إلتحق بكلية الضباط .

١٩٦٠ عين ضابط إستخبارات في اللواء السابع .

١٩٦٧ ضابط إستخبارات المنطقة الجنوبية . خلال حرب الإستنزاف بقي في منصبه ١٩٧٣ ضابط استخبارات في وحدة شارون ثم عين مديراً لمدرسة الإستخبارات .

١٩٧٤ مساعد رئيس شعبة الإستخبارات لشؤون الأبحاث .

١٩٧٩ رئيس شعبة الإستخبارات .

١٩٨٣/٣/١ أنهى مهام منصبه كرئيس شعبة المخابرات العسكرية تنفيذاً لتوصيات لجنة كاهان .

١٩٨٣/٦/١٧ عين اللواء يهوشع ساغي قائداً لكلية الأمن بدلاً من اللواء جاكي أراز ولكنه قرر مؤخراً إعتزال الخدمة العسكرية واستقال من الجيش .

٩ _ أهود براك : ١٩٨٣ _ ١٩٨٧

١٩٤٢ وُلد في مستوطنة مشمار هاشارن .

١٩٥٩ التحق بالجيش الإسرائيلي .

تولى قائد فصيلة ، فسرية فمعاون قائد كتيبة ، فقائد كتيبة .

في نهاية حرب الإستتراف كان قائد سرية دبابات، ثم قائد كتيبة دبابات، ثم تولى منصب قائد تشكيل إحتياط ثم تشكيل نظامي ، في المدرعات ،

١٩٦٨ تخرج من الجامعة العبرية بكالوريوس رياضيات وفيزياء .

١٩٧٨ ماجستير علوم عسكرية ، تحليل معارك من جامعة ساتافورد كاليفورنيا .

١٩٨١ عين رئيساً لشعبه التخطيط .

١٩٨٧/١٢/٣١ أنهى عمله كرئيس لشعبة التخطيط .

تولى منصب رئاسة الأركان الإسرائيلية . ثم رئاسة الحكومة الإسرائيلية خلفاً لبنيامين نتنياهو .

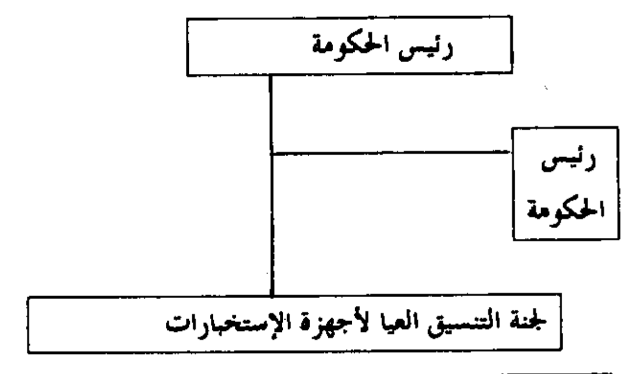
١٠ _ أمنون شاحاك : ١٩٨٧

١١ _ يوري ساغي حتى ١٩٩٤ .عينه شارون رئيساً لهيئة الأركان في أيلول ٢٠٠٢.

١٢ _ موشيه يعلون ١٩٩٤ _١٩٩٨

١٣ _ عاموس ملكا ١٩٩٨ حتى اليوم

الهيكل التنظيمي لأجهزة الإستخبارات الإسرائيلية.



رئاسة الوزراء	وزارة الدفاع	وزارة الشرطة	وزارة الخارجية	وزارة الهجرة
مؤسسة الإستخبارات والمهمات الخاصة(الموساد)	شعبة الإستخبارات العسكرية (الأمان)	مصلحة الأمن العام (الشين بيت)	شعبة الأبحاث والتخطيط السياسي	مصلحة يهود الإغتراب

رؤساء جهاز الشين بيت/الشاباك

(مكتب قوى الأمن الداخلي الإسرائيلي تعادل الـــ(F.B.I) الأميركي)

	الإسم	من سنة	الى سنة	ملاحظات
١	إيسر هارئيل (الصغير)	١٩٤٨	١٩٥٢	
٢	إيزي روت دوروت	١٩٥٢	١٩٥٣	
٣	عاموس مانور	١٩٥٤	١٩٦٣	
٤	يوسف هارملين	١٩٦٣	١٩٧٤	
٥	أبراهام أحيطوف	١٩٧٤	١٩٨١	
٦	أبراهام شالوم	١٩٨١	١٩٨٦	
٧	يوسف هارملين	١٩٨٦	١٩٨٨	
٨	يعقوب باري	١٩٨٨	١٩٩٢	
٩	كرمي غليون	١٩٩٢	١٩٩٦	
١٠	عامي ايلون	١٩٩٦	٢٠٠٠	
١١	آفي ديختر	٢٠٠٠	حتى اليوم	

المراجع : ـ قُصي عدنان عباسي " المخابرات الإسرائيلية " دار علاء الدين . دمشق . الطبعة الأولى .ص ٥١

ـ العقيد أبو الطيب " الإستخبارات الصهيونية / العدو الأول " . مكتبة مدبولي ـ القاهرة ١٩٩٣ . ص ١٢٦ ـ ١٣١.

ـ جريدة " النهار" . الثلاثاء ٦ آب ٢٠٠٢.

رؤساء الشين بيت(*)

١ ـ إيسر هارئيل " أيسر الصغير "	١٩٤٨ - ١٩٥٢
٢- إيزي روت دوروت	١٩٥٢ - ١٩٥٣
٣- عموس مانور	١٩٥٤- ١٩٦٣
٤- يوسف هرملين	١٩٦٣ - ١٩٧٤
٥- أبراهام أحيطوف	١٩٧٤ - ١٩٨٠
٦- أبراهام شالوم	١٩٨٠ - ١٩٨٦

لمحة عن بعض رؤساء الشين بيت :

ايزى روت دوروت.

ولد في فيينا عام ١٩١٦ ، لأسرة إختفت هناك أثناء الحرب العالمية الأولى ، وترعرع في كندا ، وهاجر الى "إسرائيل" كطالب ، وهو في العشرين من العمر ، ودرس في كلية العلوم السياسية ، في الجامعة العبرية، وفي نفس الوقت عمل كحارس في القدس ، وفي مرج عامر ، في إطار اللواء اليهودي ، وعندما سرح من الخدمة ، عُرِض على إيسر هارئيل ، فاجتمعا في مقهى في شارع بن يهودا على مسافة قصيرة من قيادة خدمة المعلومات ومنذ ذلك لم ينفصلا .

وبسبب سيطرته على عدة لغات عمل كسفير خاص لهارئيل في عمليات مختلفة ، فقد عمل نائباً له في خدمات الأمن ، وعندما نقل إيسر هارئيل الى الموساد عين"دوروت " قائداً لخدمات الأمن العامة خلفاً له .

وخلال فترة عمله ، ظهر تنظيم رجال " مابام " في الخدمات ، وقضية المايكروفون الذي زرع في مكتب مئير يعاري والتنظيم السري في صرفند ، وحوادث التجسس الأولى التي ضمت يهودا أيضاً ، مثل عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي اتّهم بالتجسس لصالح الإتحاد السوفياتي وعوقب وأصبح فيما بعد ملكاً لأحياء تل أبيب .

عمل دوروت في منصبه حوالي عام ، وعندها طلب العودة الى العمل في إطار " الموساد " وفور ذلك عمل نائباً لهرئيل في الموساد ، وعندما أحيل الى التقاعد إشترك مع إيسر هارئيل في مشاريع إقتصادية مختلفة ، لكنه تخلى عنها لصالح إدارة مركز عجزة في رمات جان كان ملكاً له ، وقد خلّف دوروت ولدين أحدهما يدرس في الخارج ، وتقيم زوجته في رمات جان ، وقد توفي دوروت سنة(١٩٨٧).

عاموس مانور :

عندما إستقال دوروت ، طلب شباب بن غوريون أن يعطى المنصب لهم ، فقدم أيسر هارئيل الى "العجوز " مرشحه عاموس مانور ، ووقع العجوز على التعيين دون تردد ، وعليه فقدَ وصل مانور الى خدمات الأمن العامة بتعيين شخصي من إيسر هارئيل ، وكان مانور مهاجراً

جديداً من بنسلفانيا وهو من مواليد ١٩١٨ ، وعشية الحرب كان يدرس الهندسة في فرنسا ثم أرسل للعمل قهراً في أوشفيتس وبعد الحرب نشط في مركز للهجرة في رومانيا،وفي هذا الإطار هاجر الى " إسرائيل " مع زوجته وانضم فوراً لخَدمات الأمن العامة ، وفي نهاية عام ١٩٥٣ عين رئيساً لخدمات الأمن العامة ، التي كانت تابعة لإيسر هارئيل ، وقد عمل في هذا المنصب مدة ١١ سنة ، ومن الأحداث البارزة التي وقعت خلال عمله ، قضية كستنر والبروفيسور سيطة في معهد التخنيون في حيفا والتشيكي الذي إكتشف متلبساً بالتجسس وأهارون كوهين وإسرائيل بير .

وقد كان مانور سياسياً مقرباً من سابير ، وقد أدت إستقالة إيسر هارئيل المفاجئة الى تعيين متسرع لقائم بأعماله ، وكان مانور المرشح الطبيعي ، ولكن تمّ إختيار مئير عميت من الإستخبارات العسكرية لهذا المنصب ، وكانت الحجة في ذلك أنهم بحثوا عن ما نور ، لكنه كان في طريقه لقضاء اجازة في كيوبتس معجان ولم يكن بالإمكان العثور عليه ، وبعد ذلك إستقال بن غوريون ، وتسلم عميت " الموساد " بصورة رسمية ، فغادر ما نور وهو يشعر بالإهانة والغضب .

وقد أعدّ مانور في خدمات الأمن يوسف هرملين الذي كان نائباً له وأبراهام أحيطوف .

يوسف هرملين :

إستدعى هرملين من الخارج الى " إسرائيل" لتسلم منصب رئيس خدمات الأمن العامة خلفاً لما نور ، وفي الفترة التي عمل فيها رئيساً للخدمات ، كان إيسر هارئيل في الساحة يعمل مستشاراً لرئيس الحكومة ليفي أشكول لشؤون الإستخبارات .

وقد وصل هرملين الى خدمات الأمن العامة برتبة رائد في الإستخبارات ، وكان يعمل في مجال الحماية والنظريات ، وقد وُلد في فيينا عام ١٩٢٣ ، لأبوين رحلا من بولندا في أعقاب الحرب . وعندما كان شاباً درس لغات أجنبية ، في لندن وجنيف ، وعندما بلغ السادسة عشرة من العمر أرسل مع شقيقته الى فلسطين للدراسة في كلية في "بن شيمن "، أما والداه فقد رحلا الى المكسيك ، وكان معه في كليته بن شيمن شمعون برسكى " بيرس " وغيئولا كوهين ، وكان معلم التجارة يعقوب غلمان ، والد سوتيا بيرس ، بعد ذلك تجنّد في الجيش البريطاني ، ومن ثم في الهاجانا ، حيث تعرّف على إيسر هارئيل .

وخلال عمله في خدمات الأمن توفيت زوجته من مرض عضال وتزوج ثانية من أرملة حرب ... خلال فترة عمله ظهرت البوادر الأولى للإرهاب ، ونمت الحاجة الى الإنتظام في المناطق الجديدة التي احتلت عام ١٩٦٧، وقد أسندت مهمة التنظيم هذه الى أحيطوف .

وكان أكبر نجاح تحقق في فترة عمله هو إلقاء القبض على المطران كبوشي واودي أديب .

وقد سرح يوسف هرملين من الخدمة بحفل رائع ، وبعد ذلك عمل في مجموعة كبيرة من الوظائفَ الإقتصادية ، في القطاع الخاص وعمل سفيراً في باريس وجنوب أفريقيا، نائباً للمدير العام لمكتب مراقبة الدولة ، وهو مسؤول عن مراقبة وزارة الدفاع . لكنه عاد وتسلّم رئاسة الشين – بيت من عام ١٩٨٦ – ١٩٨٨ .

أبراهام أحيطوف :

لقد حلّ أبراهام أحيطوف محل يوسف هرملين وشغل هذا المنصب بين عامي ١٩٨٠/٧٤، وقد أدّت نتائج حرب عام ١٩٦٧الى توسيع حجم خدمات الأمن العامة ونشاطاها،وقد قاد أحيطوف الخدمة بشكلها الموسّع من خلال تركيزه على النوعية نسبياً،رغم المتطلبات الفورية في الميدان .

ولد أحيطوف في ألمانيا عام ١٩٣٠، وهاجر الى فلسطين وهو في الخامسة من العمر مع والديه المتدينين ودرس في المدرسة الدينية التابعة لأغودات يسرائيل وفي الجيش أنهى دورة قادة حظائر بقيادة يوفال نئمان وجرح في حادث طريق ، ولازم المستشفى مدة عام ومنذ ذلك الوقت وهو يتعالج . وقد جنّده هرملين في خدمات الأمن العامة وهو يحمل

شهادة ماجستير في القانون، وفي الخمسينيات عمل في شعبة التدريب في رئاسة الأركان وتعرّف على موشيه ديان، بعد ذلك أعير الى الموساد .

لقد كانت وسائل الإعلام تعرف أحيطوف أكثر من أسلافه ، وربما كان ذلك يتعلق بالتطورات الفورية .

بعد خروجه الى السوق المدني عُرض عليه إدارة شركة الكهرباء لكنه رفض ، وأما الآن فهو يعمل في بنك العمال كمساعد كبير للمدير العام في شؤون البناء والمرافق الإقتصادية ، وقد كان مقرباً من ليفنسون .

أبراهام شالوم :

كان أبراهام شالوم المرشح الطبيعي لخلافة أحيطوف ، وقد وصل الى خدمات الأمن من البالماخ .

وقد وُلد عام ١٩٢٨ ، في النمسا ، ووصل الى فلسطين طفلاً ، وخلال فترته عملت خدمات الأمن العامة في لبنان حيث منيت بخسائر جسيمة في الأرواح .

آفي ديختر :

عيّن بعد عامي ايلون . يعرف عنه أنه من أصحاب نظرية التصفية الشاملة والإقتلاع . على هذا الأساس ، قال في المجلس الوزاري المصغر (الإسرائيلي) في نهاية الأسبوع الأول من شهر آب ٢٠٠٢:

" أن هناك انتحاريين فلسطينيين أكثر من العبوات الناسفة (...) .هناك المئات من القنابل البشرية ، ولم يعد في وسعنا الاكتفاء بتنفيذ عمليات تصفية موضعية "

المراجع

١- العقيد أبو الطيب "الإستخبارات الإسرائيلية العدو الأول "مكتبة مدبولي. القاهرة ١٩٩٣. ص ١٢٦_١٣١.

٢-"النهار". العدد ٢١٣٤٢. الثلاثاء في ٦ آب ٢٠٠٢. ص ٢٠.

ملحق

بعض حالات الإختراق العربية ضد الموساد

	الإسم	عمل لصالح	أعتقل في	ملاحظات
١	أدوار شتاين	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٥٢	يهودي حكم ١٤ سنة
٢	غيورا باخ	المخابرات المصرية	إسرائيل وسجن	
٣	باول فرانك	المخابرات المصرية	إسرائيل	كشف شبكة المخربين اليهود في مصر عام ١٩٥٤.
٤	أولريخ شنافط	المخابرات المصرية	إسرائيل	حكم سبع سنوات وطرد من إسرائيل بعد أن قضاها.
٥	يوسف أوبير	المخابرات المصرية	إختفى في أورربا	يهودي /نقيب في الجيش الإسرائيلي.
٦	بيتر كلاين	المخابرات المصرية	في إسرائيل	حكم عشر سنوات / عقيد
٧	ألكسندر يولين	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٥٦	نقيب/ حكم ١٥ سنة
٨	القبيادس كوكاس	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٥٧	يوناني/ حكم ست سنوات
٩	القس يواكيم الأنطوني	المخابرات المصرية	باب المند ب ١٩٥٦	رئيس الكنيسة القبطية في يافا
١٠	نتانئيل ماالحي	المخابرات المصرية	إيلات ١٩٦١	شاب إسرائيلي
١١	كيفورك يعقوبيان	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٣	أرمني مصري/أطلق سراحه عام ١٩٦٦.بعد مبادلة .
١٢	شموئيل باروخ	المخابرات النصرية	إسرائيل ١٩٦٤	حكم لمدة ١٨ عاماً
١٣	عبد الرزاق الزعبي	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٤	حكم لمدة ٦ سنوات
١٤	إميل لبيب نجار	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٩	حكم لمدة عشر سنوات
١٥	عرفات سليم أبو دبية	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٨	حكم ٨ سنوات
١٦	عبد الرحيم فرحان	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٧٠	حكم ١٢ سنة

١٧	توفيق فياض بطاح	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٧٠	حكم ٨ سنوات
١٨	إسحق كرمر	المخابرات السورية	إسرائيل	يهودي/ حكم عشر سنوات
١٩	جوزف مانتط	المخابرات السورية	إسرائيل	فرنسي/ حكم عشر سنوات
٢٠	باهر عبد الحميد	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٥٨	دير حنا/ حكم عدة سنوات
٢١	نبيل وأسامة خوري	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٥٨	شقيقان من عكا/ حوكما
٢٢	حسن الجربوني	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٥٨	حوكم لعدة سنوات
٢٣	محمد ياسين	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٥٨	حوكم لعدة سنوات
٢٤	إبراهيم القمحاوي	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٥٨	من طمرة/ حوكم
٢٥	يوسف كنعان	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٥٨	من طمرة / حوكم
٢٦	يوسف داموني	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٦٥	من وادي النسناس/ حيفا
٢٧	جاكي داموني	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٦٥	شقيق يوسف داموني من حيفا
٢٨	ستيليوس بابا جيارجيوس	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٦٧	جندي قبرصي/ حوكم ٧ سنوات
٢٩	نايفة قهوجي	المخابرات الأردنية ثم السورية	إسرائيل	حكمت سنتين
٣٠	رأفت الهجّان	المخابرات المصرية	لم يكشف	من أهم جواسيس العرب في إسرائيل
٣١	رمزي الأسمر	المخابرات السورية	لم يكشف	من اللدّ /وكان يقيم في قبرص
٣٢	فوزي الأسمر	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٧٠	جنّده أخوه رمزي
٣٣	أندريه بن أبير	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٦٩	حكم لمدة عشر سنوات
٣٤	داود تركي	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٧٢	شكل تنظيماً مخابراتياً لصالح سوريا من ٣١ شخصاً بينهم ستة يهود/ إعتقلوا
٣٥	كمال كنج	المخابرات السورية	إسرائيل ١٩٧١	حكم لمدة ٢٣ عاماً أطلق سراحه في تموز ١٩٧٣.

٣٦	هاري هاجان	المخابرات المصرية	لم تكشف	جُندت عام ١٩٥٦ أميركية
٣٧	حاييم أدغين	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٧	جند عام ١٩٥٨. زوّدها بمعلومات عن صناعة الصواريخ اليهودي
٣٨	حاييم عقبة	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٨	يهودي. جند عام ١٩٥٨
٣٩	رحاييم موسته حجاج	المخابرات اللبنانية	إسرائيل ١٩٦٦	يهودي. جند عام ١٩٦٣.
٤٠	مايرا إيلاتي	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٧	
٤١	شمعون كرامر	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٦٧	
٤٢	إميل دروبية	المخابرات المصرية	إسرائيل ١٩٧٢	جند عام ١٩٦٨

المرجع : د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف " الوجه الحقيقي للموساد " . ص ٤٦٩ – ٤٧٣ .

وأيضاً : نزار عمار " الإستخبارات الإسرائيلية " . ص ١٧٩ – ١٩٢

بعض عمليات الموساد

ضد أعضاء وقيادات الثورة الفسطينية

١- غسان عبد الرازق كنفاني :

- رئيس تحرير مجلة الهدف وعضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

- أُغتيل في بيروت في ١٩٧٢/٧/٨ .

٢ - أنيس الصايغ :

- مدير مركز الأبحاث والدراسات الفلسطينية في بيروت .

- جرت محاولة لاغتياله في بيروت بتاريخ ١٩٧٢/٧/١٩ .

٣ - بسام أبو شريف :

- الناطق الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - رئيس تحرير مجلة الهدف .

- جرت محاولة لاغتياله بواسطة طرد ملغوم وذلك في بيروت بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٧٢ .

٤ - وائل عادل زعيتر :

- ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في روما .

- أُغتيل في روما يوم ١٩٧٢/١٠/١٧ .

٥ - محاولة اغتيال أحمد وافي في الجزائر بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٢٥

٦ - محاولة اغتيال حماد في فرانكفورت بتاريخ ١٩٧٢/١١/٢٩ .

٧ – محاولة اغتيال عمر صوفان في السويد بتاريخ ١٩٧٢/١١/٢٩ .

٨ –محاولة اغتيال أحمد عوض الله في الدنمارك بتاريخ ١٩٧٢/١١/٢٩.

٩ – الدكتور محمود الهمشري :

– ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا .

– في يوم ١٩٧٢/١٢/٨ انفجر جهاز الهاتف في بيته نتيجة قنبلة موقوتة وأصيب بجروح خطيرة الى أن فارق الحياة في ١٩٧٣/١/٩ في باريس .

١٠ – حسين علي أبو الخير :

– ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص .

– أغتيل ليلة ١٩٧٣/١/٢٥ نتيجة انفجار عبوة ناسفة في سريره في أحد فنادق نيقوسيا العاصمة القبرصية .

١١ – باسل رؤوف الكبيسي :

– أحد الأعضاء البارزين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

– أ غتيل في أحد شوارع باريس يوم ١٩٧٣/٤/٦ على أيدي إثنين من القتلة المحترفين .

١٢ – حسين عباد الشبر :

– أحد رجالات الإرتباط الرئيسيين بين منظمة التحرير الفلسطينية والإستخبارات الروسية .

– أغتيل في قبرص .

١٣ – د. كمال ناصر :

– وُلد في بير زيت سنة ١٩٤٢ .

– عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير والناطق الرسمي باسمها .

– أغتيل في بيروت بتاريَخ ١٩٧٣/٤/١٠ عندما هاجمت وحدة من الكوماندوز الإسرائيلية أحد شوارع بيروت .

١٤ – كمال عدوان :

– عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ومسؤول قطاع الأرض المحتلة .

– أغتيل في بيروت بتاريخ ١٩٧٣/٤/١٠ مع كمال ناصر وأبو يوسف النجار.

١٥ – محمد يوسف النجار :

– عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ورئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية .

– أغتيل في منــــزله بشارع فردان في بيروت يوم ١٩٧٣/٤/١٠ ، وأغتيلت معه زوجته .

١٦ – إغتيال موسى أبو زيد في أثينا في شهر نيسان / ١٩٧٣.

١٧ – محمد أبو ديه :

– مواطن جزائري

– عضو في منظمة التحرير الفلسطينية .

– أغتيل في باريس يوم ١٩٧٣/٦/٢٨ .

١٨ – أحمد بوشيكي :

– مواطن مغربي .

– أُغتيل بالخطأ ، اعتقاداً بأنه أبو علي حسن سلامة ، وذلك في أوسلو / النرويج ، يوم ١٩٧٣/٧/٢١.

١٩ – محمود ولد صالح :

– أحد المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية

– أُغتيل في باريس في ١٩٧٧/٢/٢ .

٢٠ – د. عز الدين القلق :

– ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا .

– أُغتيل في مكتبه في باريس يوم ١٩٧٨/٨/٢ .

٢١ – عدنان حماد :

– مساعد عز الدين القلق .

– أُغتيل في باريس يوم ١٩٧٨/٨/٢ .

٢٢ – علي حسن سلامة:

– عضو المجلس الثوري لحركة فتح وقائد قوات الـ١٧ .

– أُغتيل في بيروت يوم ١٩٧٩/١/٢٢ .

٢٣ – زهير محسن :

– أمين عام منظمة الصاعقة وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير/ رئيس الدائرة العسكرية.

- أغتيل يوم ١٩٧٩/٧/٢٥ في مدينة "كان" جنوب فرنسا .

٢٤ – إبراهيم عبد العزيز :

- أحد المسؤولين في حركة فتح .
- أغتيل في قبرص مساء يوم السبت ١٩٧٩/١٢/١٥ .

٢٥ – سمير طوقان :

- عضو مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص .
- أغتيل في قبرص يوم السبت ١٩٧٩/١٢/١٥ .

٢٦ – يوسف مبارك :

- صاحب المكتبة العربية في باريس .
- أغتيل في باريس يوم ١٩٨٠/١/١٨ .

٢٧ – د. نعيم خضر :

- مدير مكتب منظمة التحرير في بلجيكا .
- أغتيل في بروكسل / بلجيكا يوم ١٩٨١/٦/١ .

٢٨ – محمد داود محمد عودة " أبو داود " :

- عضو المجلس الثوري لحركة فتح وعضو المجلس الوطني الفلسطيني .
- جرت محاولة لاغتياله في وارسو في شهر آب ١٩٨١ .

٢٩ – ماجد أبو شرار :

- عضو اللجنة المركزية في حركة فتح ، ومسؤول الإعلام الموحد في منظمة التحرير الفلسطينية .
- أغتيل في روما في ١٩٨١/١٠/٩ .

٣٠ - محمد طه :

- ضابط أمن في حركة فتح .
- أغتيل في روما في ١٩٨٢/٦/١٦ .

٣١ -عزيز مطر:

- طالب فلسطيني كان يدرس الطب في جامعة روما .
- أغتيل أمام منـــزله في روما بتاريخ ١٩٨٢/٦/١٦ .

٣٢ - كمال حسن أبو دلو :

- نائب مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في روما .
- أغتيل في روما يوم ١٩٨٢/٦/١٧ .

٣٣ - فضل سعيد الضاني :

- نائب مدير منظمة التحرير في باريس .
- أغتيل يوم ١٩٨٢/٧/٢٣ .

٣٤ - مأمون شكري مريش :

- أحد مساعدي أبو جهاد ، كان مكلفاً بتسيير قسم العمليات الخارجية في حركة فتح .
- أغتيل في أثينا في ١٩٨٣/٨/٢٠ .

٣٥ – جميل عبد القادر أبو الرب :

– مدير شركة الملاحة البحرية في اليونان .

– أغتيل في أثينا يوم ١٩٨٣/١٢/٢٢ .

٣٦ – إسماعيل عيسى درويش :

-عضو في حركة فتح ومن الضباط العاملين في قطاع الأرض المحتلة.

– أغتيل في رومانيا يوم ١٩٨٤/١٢/١٤ .

٣٧ – خالد أحمد نـــزال :

– سكرتير اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين .

– أغتيل يوم ١٩٨٦/٦/٩ .

٣٨ – منذر جودت أبو غزالة :

– عضو المجلس الثوري لحركة فتح / عضو المجلس العسكري الأعلى / قائد القوى البحرية .

– أغتيل يوم ١٩٨٦/٦/٩ .

٣٩ – أبو حسن قاسم :

– من كوادر القطاع الغربي .

– أغتيل في ليماسول (قبرص) يوم ١٩٨٨/٢/١٤ .

٤٠ – مروان كيالي :

– من كوادر القطاع الغربي .

– أغتيل في ليماسول (قبرص) يوم ١٩٨٨/٢/١٤ .

٤١ – الشهيد حمدي :

– من كوادر القطاع الغربي .

– أُغتيل في ليماسول (قبرص) يوم ١٤/٢/١٩٨٨ .

٤٢ – خليل الوزير (أبو جهاد) :

– نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية .

– عضو اللجنة المركزية لحركة فتح .

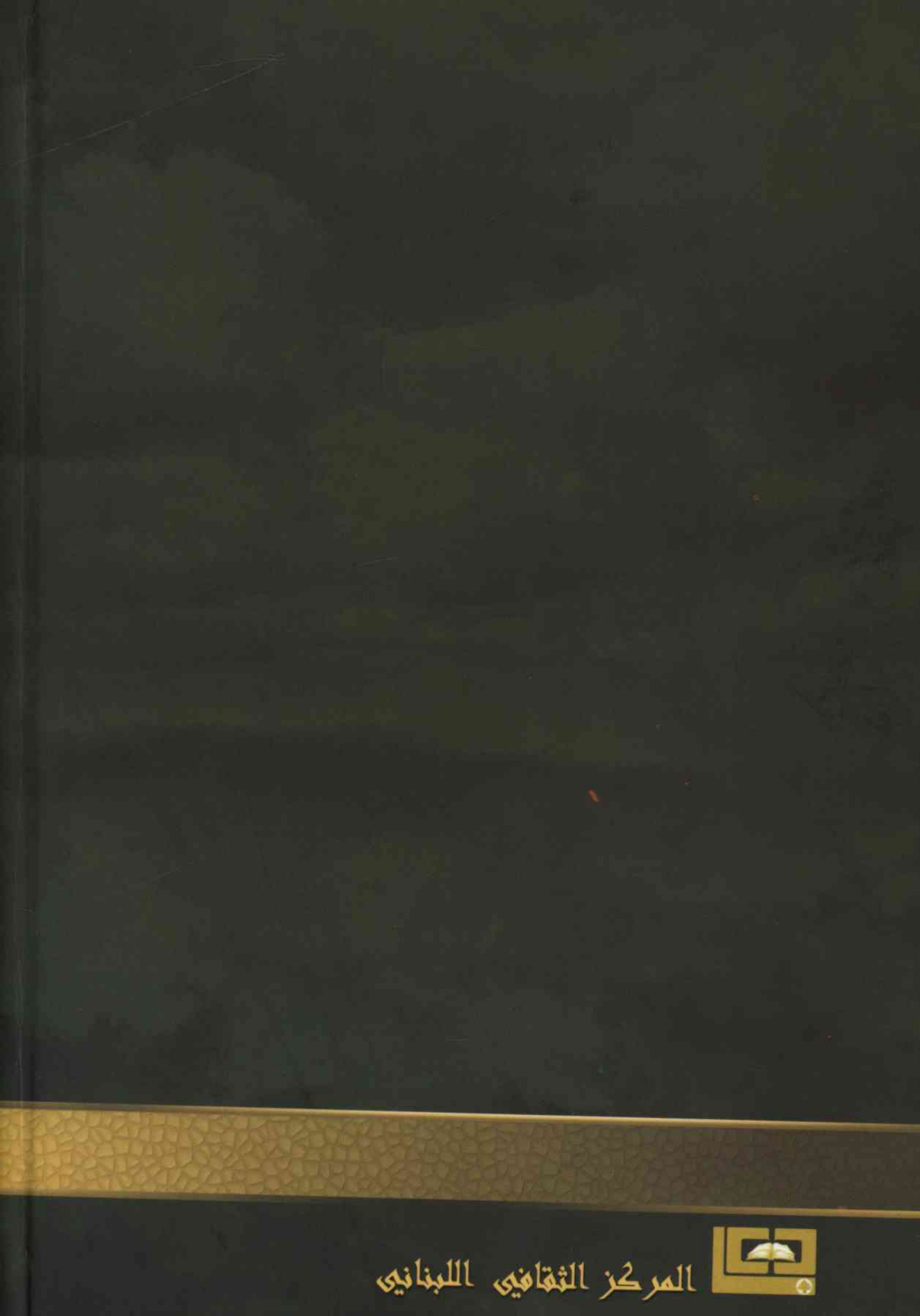
– أُغتيل صباح يوم ١٦/٤/١٩٨٨ في تونس .

المراجع

العقيد أبو الطيب " الإستخبارات الإسرائيلية العدو الأول " . مكتبة مدبولي . القاهرة . ص ٨٤– ٩٢ .

وأيضاً راجع كتاب "الوجه الحقيقي للموساد " . ص ٤٦٣ – ٤٦٧ .

الفهـــرس


المركز الثقافي اللبناني